دكتور
محمد رمزي أحمد فواز

من أعلام الدعوة الإسلامية

سيدنا سعيد بن المسيب
رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تبارك وتعالى :

« من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

وقال جل شأنه :

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا »

(صدق الله العظيم)

الإهداء

- إلى كل مسلم غيور على إسلامه مستمسك به ..
- إلى كل مسلم مطبق لتعاليم دينه ، وينادى بها بكل فخر واعتزاز ..
- إلى كل العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ..
- إلى كل مسلم يفخر برجال الإسلام ، وسلفه الصالح ويعمل على نشر فضائلهم ..
- إلى كل طلاب العلم الذين يدافعون به عن شرع الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ..

الدكتور / محمد رمزى احمد فواز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأعزنا به .. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بلغ الرسالة ، وأدى امانة ، وهدى الأمة ، وكشف الغمة .. ورضى الله تعالى عن الصحابة أجمعين والتابعين ، وتابع التابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. رفعوا لواء الإسلام وفدوه بمهجهم ، وصاروا نماذج فريدة يحتذى بها .

أما بعد

فلقد قيض الله تبارك وتعالى للإسلام رجالا ، اعتنقوه ، ودعوا إليه ، وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ، وسيدنا سعيد بن المسيب واحد من هؤلاء الرجال الأبرار .. فهو درة التابعين وسيدهم .. وعلم الدعاة إلى الإسلام ورائدهم بلا مدافع .. وفقيه الفقهاء .. وحامى حمى الإسلام ، والمدافع عن حوزته .. والعفيف التقى النقى الورع .. والعابد الزاهد .. والمحدث الثقة .. والمفسر المتقن .. وسيدنا سعيد : تلميذ الصحابة الأجلاء .. وأستاذ التابعين الأتقياء .. وشيخ شيوخ تابعى التابعين .. وهو سراج المتهجدين .. وإمام الأئمة .. وزين الملة .. وارث ميراث النبوة .. ومبين الحلال والحرمة .. وحجة الإسلام .. والبحر الزاخر .. والنجم الزاهر .. وعالم العلماء .. أبوه صحابى .. ، وكذلك جده ...

لذا فقد وفقنى الله عز وجل للكتابة عنه ، وجعلت هذا البحث عنوانه من أعلام الدعوة الإسلامية : سيدنا سعيد بن المسيب رضى عنه . فكشفت عن حياته ، وبينت جهوده فى نشر الدعوة الإسلامية ، وتثبيت دعائمها ،

سواء بالقول أم بالسلوك أم بالمواقف الصلبة الشجاعـــة . ولقد كان واجبى — كما هو واجب كل من يعمل فى حقل الدعوة الإسلامية — أن أبين لأجيالنا — وبخاصة لشباب الدعوة الإسلامية — دور سلفنا الصالح فى هذا المضمار ، ليكون أمامهم القدوة والمثل ، وليشمروا عن ساعد الجد ، ليواصلوا المسيرة المباركة ، ولتمضى قافلة الهـدى والنور ، ليظل الدين محفوظا ، والدعوة الإسلامية صوتها عاليا ، ورايتها خفاقة فوق ربوع الدنيا ، وليتم على أرض الله تطبيق شرع الله تبارك وتعالى ، فضلا عن العمل لنيل رضاه جل ذكره .

وأسأل الله عز وجل أن يتقبل منى هذا العمل ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى .

الفقير إلى الله تعالى

الدكتور / محمد رمزى أحمد فواز

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بشبين الكوم جامعة الأزهر

المبحث الأول

سيدنا سعيد : نشأته ومكانته العلمية

نسبه : هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشى . ويكنى بأبى محمد . وهو من كبار التابعين .. وهو سيدهم على الإطلاق[1] .

والده : هو المسيب[2] بن حزن ، وهو صحابى جليل القدر ، رفيع المنزلة ، له دوره البارز فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، وكذلك فى الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، ومن المعالم الواضحة فى هذا ، أنه كان واحدا ممن بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان — تحت الشجرة — وأصحابها لهم المقام السامى عند الله تعالى ، قال الله عز وجل « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا »[3] .

فهذه فيوضات ربانية أفاضها الله تعالى على أهل بيعة الرضوان .

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٣٣/٥ ، دار الغد العربى ، وفيات الأعيان .. لابن خلكان ٣٧٥/٢ ، دار الثقافة ، العبر للذهبى ٨٢/١ دار الكتب العلمية .

(٢) بكسر الياء المشددة ، لأن سعيد كان يكره من ينطقها بالفتح ، وفيات الأعيان ٣٧٦/٢ وانظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ١٢٨٧/٤

(٣) سورة الفتح الآية ١٨

وفى الحديث الصحيح « عن طارق عن سعيد بن المسيب قال : كان أبى ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة . قال : فانطلقنا فى قابل حاجين فخفى علينا مكانها فإن كان تبينت لكم فأنتم أعلم »[١] .

فهذا الحديث يثبت أن المسيب رضى الله عنه كان ممن شهدها ، ويتأكد فضل أصحاب هذه البيعة بما ورد فى السنة من أحاديث منها :

« .. عن عمرو عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة ، فقال لنا ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض »[٢] .

« وعن جابر قال : اخبرتنى أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها ، قالت : بلى يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت : « وإن منكم إلا واردها » فقال النبى ﷺ : قد قال الله عز وجل « ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »[٣] .

« وعن جابر أن عبدا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبا فقال : يارسول الله ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، لا يدخلها فإنه شهد بدرا والحديبية »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الفضائل ، باب : استحباب مبايعة الإمام ١٣/٥ ، المكتبة المصرية

(٢) أخرجه مسلم فى الكتاب والباب السابقين ١٣/٥ .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل أصحاب شجرة الرضوان ١٦/٥٨ ، والآيتان من سورة مريم ٧١، ٧٢

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل حاطب بن أبى بلتعه ١٦/٥٧

وهكذا يتأكد الفضل ، والدرجات السامقة لأهل هذه البيعة ، وكان والد سعيد ممن رتع في هذه الرياض ، وانغمس في فيوضات الرحمن .

وكان المسيب رضي الله عنه ممن جاهد في سبيل الله تعالى بالسنان ، فتروى كتب السير أنه شهد فتوح الشام ، وقال ابن حجر لم يتحرر لي متى مات[1] وابن كثير ذكر أنه مات في خلافة سيدنا عثمان ، ولم يحدد سنة وفاته[2] .

وقال ابن عبد البر : (وقد كان المسيب رجلا شريفاً ، وكان يعمل في التجارة)[3] .

ومما يزيد من قدر سيدنا المسيب والد سيدنا سعيد أنه كان من رجال الحديث ، وثبت في كتب السنة أنه روى مجموعة من الأحاديث[4] .

جد سيدنا سعيد : هو حزن بن أبي وهب ، وهو الآخر صحابي جليل ، وقد ذكر العيني أنه (كان من المهاجرين ، ومن أشراف قريش في الجاهلية ، قال الكلاباذي : روى عن حزن ابنه المسيب حديثاً واحداً في الأدب ، وحديثاً آخر موقوفاً في ذكر أيام الجاهلية ، والحديث من افراده)[5] .

---

(١) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ١٢٢/٦

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٩٠/٤

(٣) انظر : الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ١٤٠٠/٣ ، نهضة مصر .

(٤) انظر : مقدمة البخاري لإبن حجر ص ٥٨٧

(٥) عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري ٢٥٩/١٨ ط أولى ، مطبعة البابي الحلبي وحزن بسكون الزاي وفتح الحاء .

وقد روت له كتب السنة حديثين :

الأول: « حدثنا سفيان قال: كان عمرو يقول: حدثنا سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال : جاء سيل فى الجاهلية فكسا ما بين الجبلين ، قال سفيان ويقول: إن هذا الحديث له شأن »[١]، ومعنى : فكسا ما بين الجبلين أى ملأ ما بين الجبلين اللذين فى جانب الكعبة :. وقوله :إن هذا الحديث له شأن .. أى قصة ، وذكر موسى بن عقبة أن السيل كان يأتى من فوق الردم الذى بأعـــلاء مكة فيجريه ، فتخوفوا أن يدخل الماء الكعبة ، فأرادوا ، تشييد بنيانها[٢] .

وفى فتح البارى : قصة بناء الكعبة ، وقد شارك رسول الله ﷺ فى بنائها وهو شاب ، وذكر أن جد جد سعيد بن المسيب أشار على قريش ألا يبنوها إلا من مال طيب كما هو عند ابن إسحاق ، كما ذكر قصة اختلافهم فى وضع الحجر الأسود ، واحتكامهم إلى أول داخل عليهم ، وكان رسول الله ﷺ ، كل ذلك قبل مبعثه[٣] .

ونشير هنا إلى أن جد جد سعيد بن المسيب — أبا وهب — أشار على قريش بأن يكون بناء الكعبـــة من مال طيب ، وسوف يظهر أثر هذا فى نشأة سعيد بن المسيب، وكل مراحل حياته ، من ذلك تحرى الحلال فى كل شىء .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : بدء الخلق ، باب : أيام الجاهلية ١١٦/٧ ، ١١٧

(٢) انظر : فتح البارى لإبن حجر ١١٧/٧

(٣) انظر : المرجع السابق ١١٥/٧

الحديث الثاني :

« عن جبير بن شيبة قال: جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده حزناً قدم على النبي ﷺ فقال : ما أسمك ؟ قال : اسمي حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : ما أنا بمغير إسما سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فمازالت فينا الحزونة بعد »[1] . والحزن : هو ما غلظ من الأرض وهو ضد السهل ، واستعمل فى الخلق ، يقال :فى فلان حزونة أى فى خلقه غلظة وقسوة[2].

ولقد كان من هدى رسول الله ﷺ أن يغير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة وجميلة ، والشواهد على هذا كثيرة .

جاء فى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ غير اسم العاصى، وعزيز ، وعتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ، فسماه هشام، وسمى حرباً : سلماً ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وأرضا تسمى : عفرة سماها : خضرة ، وشعب الضلالة سماه : شعب الهدى ، وبنى الزنية سماهم : بنى الرشد ، وسمى بنى مغوية بنى رشدة[3] ، لأن هذا له علاقة بمكونات شخصية الإنسان ، والإسلام جميل ويحب الجمال فى كل شيء .

وهذا درس تربوى أصيل يحفز أمتنا الإسلامية بالإستمساك بلغتها

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : الأدب ، باب : اسم الحزن، وباب: تحويل الاسم إلى أحسن منه ٤٧٣/١٠ ، ٧٥

(٢) انظر : لسان العرب لإبن منظور ٨٦٢/٢ ، دار المعارف .

(٣) روى كل هذا وغيره أبو داود فى سننه، فى كتاب الأدب ، باب: تغيير الإسم القبيح ٨٩/٤ ، وقال : تركت أسانيدها اختصاراً .

العربية فى كل شىء، ولا تنقاد لعوامل التغريب التى تضيع هويتها، وتذيب ذاتيتها، قال الطبرى (لا ينبغى لأحد أن يسمى باسم قبيح المعنى، ولا باسم معناه التزكية والمدح ونحوه، ولا باسم معناه الذم والسب، بل ينبغى أن يسمى به ما كان حقاً وصدقاً)[١]، كما لا ينبغى أن يسمى المسلم أولاده بأسماء الأعاجم.

وفضلا عن هذا فإن الإنسان ينادى يوم القيامة باسمه واسم أبيه أمام الخلائق، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[٢]، فالإسلام يبغى التيسير والتسهيل، ويكره الجفوة والغلظة والقساوة...

ولكن لماذا توقف سيدنا حزن فى تغيير اسمه؟.

لقد كان الرجل قريب عهد بتقاليد الجاهلية، وما جلبت عليه من الجفوة والأنفة، وكانت الأخلاق الغليظة تنفعهم فى تلك البيئة الجافة والقاسية، فتمنع عنهم الضيم والمسكنة، ولقد صرح بذلك جد سيدنا سعيد — حزن — فى بعض الروايات حيث رد على رسول الله ﷺ وقال «لا السهل يوطأ ويمتهن».

وقال ابن حجر (ويجمع بين الروايتين بأنه أى حزن قال كلا الكلامين فنقل بعض الرواة ما لم ينقله الآخر)[٣].

ويمكن التماس عذر آخر لجد سيدنا سعيد — حزن — وهو أن

---

(١) انظر: عمدة القارى، للعينى ١٨/٢٦٠

(٢) رواه أبو داود عن أبى الدرداء فى كتاب: الأدب، باب فى تغيير الأسماء ٤/٢٨٧

(٣) فتح البارى ١٠/٤٧٣

الرجل كان قريب عهد بالإسلام ، ولم يدرك مرامى هذا التغيير ، والأهداف التى يرمى إليها الإسلام من هذا ، ولذلك لم يعنفه الرسول ﷺ بما تمسك به ، لأنه داعية ، والداعية يقدر الظروف والأحوال والبيئة . .

ومع كل هذا فقد أصاب أسرته كما أخبر حفيده — سيدنا سعيد — أن الحزونة مازالت فيهم بعد ، حتى أن أهل النسب ذكروا أن فى ولده سوء خلق معرف فيهم لا يكاد يعدم منهم(١) .

وهذا درس تربوى بليغ لمن يتوقفون أمام تعاليم رسول الإسلام ، ولا يستجيبون له استجابة قوية ونشطة وفورية ، دون ما تباطء وتكاسل فإذا كان حزن توقف فى هذا الشأن البسيط وأصابهم ما أصابهم ، فكيف بمن يخالفون تعاليم الإسلام فى غير ذلك من شرب خمر ، وترك الصلاة ، وعدم إتيان الزكاة ، وترك إقامة شرع الله ، وتطبيق تعاليم رسول الله فى الشئون السياسية والإقتصادية والتربوية والإعلامية الخ .

إن ترك تعاليم الإسلام ، والبعد عنها ، أو التباطء فى تنفيذها كل ذلك يؤدى إلى عواقب وخيمة ولا شك .

وإذا كانت هذه الأسرة وما تفرع منها أصابها ما أصابها من الجفوة والغلظة والحزونة ، فإن الذى أترجم له وهو سيدنا سعيد بن المسيب قد أفضت به هذه القسوة إلى البغض فى الله تبارك وتعالى . والجهاد فى تنفيذ أحكام شرع الله ، وتطبيق هدى رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر عمدة القارى ، العينى ٢٦٠/١٨ ، وفتح البارى لابن حجر ٤٧٣/١٠ .

— كما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى —

وعلى هذا فسيدنا حزن :

(أ) صحابي جليل ، وللصحبة شرف لايدانيه شرف .

(ب) أن الرجل كان من المهاجرين مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة[١] ، وللمهاجرين منزلتهم ودرجتهم الرفيعة — كما سوف نبينه إن شاء الله تعالى .

(حـ) أن الرجل كان من أصحاب الحديث ، ورجال الحديث لهم فضلهم[٢].

(د) نقطة هامة : وهي أن سيدنا سعيد هو الذي روى الحديث عن جده ، فذكر الرجل بكل صدق وأمانة ما كان في أهله بكل شجاعة ، وهـذا — من الآن — يؤكد لنا مدى دقة الرجل وأمانته وثقته وصدقه » .

أم سيدنا سعيد بن المسيب :

هي (أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي..[٣]) وأضاف بن حجر في ترجمته لها (أم سعيد بنت صخر بن حكيم ابن أمية بن

---

(١) انظر عمدة القارى ٢٥٨/١٨ .

(٢) انظر الحديثين في : تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى ٥٩/٣ ، ٦٠ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٩/٥ ، دار صادر ، بيروت .

حارثة بن الأوقص السلمية ، زوج المسيب بن حزن المخزومى ، وأم أولاده : سعيد ، والسائب ، وعبـــد الرحمن ، قتل أبوها كافرا ، وأسلم زوجها ، وولدت له أولاده بعد ذلك فهى من أهل هذا القسم[١]) أى من الصحابيات . ولم يذكر اسمها كما لم يذكره ابن سعد ...

وعلى هذا نستطيع أن نكشف الغطاء عن البيئة التى نشأ فيها سعيد بن المسيب فأبوه وجده صحابيان جليلان ، ومن أهل بيعة الرضوان ، والمهاجرين الأبرار ، وجد جده كان من أشراف قريش ، وهو الذى أشار عليهم بأن يكون بناء الكعبة من مال طيب حـلال ، ووالدته هى الأخرى صحابية رفيعة القدر ، فكلهم من أسرة كريمة ، لها قدم وسبق فى الإسلام ، تأبى الضيم ، ولا ترضى إلا معـالى الأمور ، وشرفها لايدانيه شرف بين قريش .

مولد سيدنا سعيد المسيب رضى الله عنه :

ولد سيدنا سعيد لسنتين مضتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أى سنة خمس عشرة من الهجرة .. وقيل ولد لأربع سنين مضت من خلافة عمر ، وقيل غير ذلك ، والصحيح فى كتب التراجم الأول[٢].

وعلى هـــذا فسعيد بن المسيب من كبار التابعين ، وهو سيدهم بلا منازع .

---

(١) الإصابة ٨/٢٢٠ .
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٥/١٣٣ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٧٨ ، وعمدة القارى للعينى ١٨/٢٥٩ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧/٣٢٧ .

أهمية معرفة التابعى :

إن معرفة التابعى أصل عظيم فى الإسلام : فهم الرجال الثقاة الذين حملوا إلينا الإسلام بأصلية . القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، كما حملوا إلينا آثار صحابة رسول الله ﷺ ، وبينوا لنا سلوكهم فى كل شئون الحياة وفق تعاليم الإسلام ، وهم الأبرار الذين تحملوا المشاق والصعاب فى حفظهما، والذود عنهما ، حتى وصلا إلينا فى قمة النقاء ، دون لبس أو أدنى تغيير أو تحريف ، وهم المثل النادر الذى يقتدى بهم فى الحياة من دقة ، وضبط ، وعدالة ، وصدق ، وإتقان ، وتصل ضرورة معرفة التابعى إلى القمة السامقة بخصوص سنة رسول الله ﷺ . قال السيوطى (معرفة التابعين رضى الله عنهم هو وماقبله — معرفة الصحابة — أصلان بهما يعرف — الحديث — المرسل والمتصل[1]) .

من هو التابعى؟ :

قال الجرجانى (التابعى : كل مسلم صحب صحابياً ، وقيل من لقيه وهو الأظهر[2] ..).

وقال السيوطى (معرفة التابعين : واحدهم تابعى وتابع ، واختلف فى حده — أى تعريفه — قال الخطيب : هو من صحب صحابيا ، ولا يكفى فيه بمجرد اللقى ، بخلاف الصحابى مع النبى ﷺ ، فالإجتماع به يؤثر فى النور

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ٢ / ٢٣٤ حققه د/ عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار إحياء علوم السنة ط ١٣٩٩هـ ، وانظر : معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٤١ .

(٢) الديباج المذهب للجرجانى ، تحقيق د/ عبدالغفار سليمان ص٧٤، دار الحديث .

القلبي أضعاف ما يؤثره الإجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار:
وقيل: هو من لقيه ـ أي لقي صحابياً ـ وإن لم يصحبه، كما قيل في الصحابي
وعليه الحاكم. قال ابن الصلاح: وهو الأقرب.. قال العراقي: وعليه
عمل الأكثرين من أهل الحديث[١].

وقد اشترط بعض المحدثين في التابعي شروطا فقد(اشترط ابن حبان
أن يكون رآه — أي رأى التابعي الصحابي — في سن من يحفظ عنه فإن
كان صغيرا لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته [٢])، وقال ابن الصلاح
(مطلق التابعي مخصوص بالتابع بإحسان: قال العراقي: إن أراد
الإحسان الإسلام فواضح. إلا أن الإحسان أمر زائد عليه. فإن أراد
به الكمال في الإسلام والعدالة فلم أرى من اشترط ذلك في حد التابعي [٣]
عموماً.

أما التابعين الذين لهم ثقلهم ودورهم في حمل السنة والفقه والتفسير وغير
ذلك من العلوم فقد اشترط العلماء الإحسان والعدالة[٤].

منزلة التابعي:

إن قدر التابعي ومنزلته لا تدانيها منزلة ـ بعد صحابة رسول الله ﷺ ـ

(١) تدريب الراوي ٢ / ٢٣٤، طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢ هـ.
(٢) المرجع السابق ٢/٢٣٥: وانظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ٤/٣٠٧٧ ط دار الشعب.
(٣) تدريب الراوي ٢/٢٣٥.
(٤) انظر: انظر المرجعين السابقين.

ويكفيهم شرفا، أن الله عز وجل أعلى قدرهم، وأثنى عليهم، في قرآنه المجيد الخالد فقال تعالى «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»[١].

فالآية الكريمة أكدت:

(ا) الإشادة بفضلهم ومكانتهم عند ربهم..

(ب) رضا الله تبارك وتعالى عنهم.. ومن هذا الرضا:

(ج) أعد — لاحظ التعبير بالماضي — النعيم.. وهذا النعيم:

(د) خالد دائم.. وهذا الخلود:

(هـ) أبدى سرمدى لا ينفد.. وكل هذا ولا شك:

(و) فوز عظيم.. ومن أجل كل هذا:

(ز) وجب توقيرهم، وتقديرهم، والثناء عليهم، والعمل على نشر فضائلهم، والإقتداء بهم..

والسنة النبوية أكدت كل هذا «فعن أبي سعيد الخدري — رضى الله عنه — قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقولون لهم: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٠.

صاحب من صحـــاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون : نعم ، فيفتح لهم »[١] .

وقال رسول الله ﷺ : « خير أمتى قرنى ثم الذين يـلونهم ثم الذين يلونهم — قال عمران — رواى الحـديث — فـلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ، ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السِّمَن »[٢] .

قال فى الفتح : (والقرن : أهل زمان واحـد متقارب ، اشتركوا فى أمر من الأمور المقصودة ، ويقال : إن ذلك مخصوص بمـا إذا اجتمعوا فى زمن نبى أو رئيس يجمعهم على مـلة أو مذهب أو عمل ، ويطلق القرن على مدة من الزمان ، واختلفوا فى تحديدها … وقد وقع فى حديث عبدالله ابن بسر عند مسلم مايدل على أن القرن مائة وهو المشهور …والمراد بقرن النبى ﷺ فى هـذا الحديث الصحابة … وقوله : « ثم الذين يـلونهم » أى القرن الذى بعدهم وهم التابعون ، « ثم الذين يلونهم » وهم أتباع التابعين . واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين ، والتابعون من أتباع التابعين ..)[٣] .

وقال رسول الله ﷺ « لاتزالون بخير مادام فيكم من رآنى وصاحبنى والله لاتزالون بخير مادام فيكم من رأى من رآنى وصاحبنى» الحديث[٤] .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : فضائل النبى ﷺ … ٢/٧ ، ٣ ، ومعنى فئام : جماعة .

(٢) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٤/٧ ، عن عمران ابن حصين .

(٣) فتح البارى لإبن حجر ٤/٧ ، ٥ (بتصرف) .

(٤) المرجع السابق ٤/٧ وقال ابن حجر : أخـــرجه ابن أبى شيبة وإسناده حسن عن واثلة .

ومن النصوص السابقة يتضح :

— أن فضل صحابة رسول الله ﷺ لا يعدله أحد ممن يأتي بعدهم .

— أن فضل التابعين لا يعدله فضل بعد صحابة رسول الله ﷺ .

— أن فضل تابع التابعين لا يعدله فضل بعد فضل التابعين لأصحاب رسول الله ﷺ .

— إن هؤلاء كانت لهم هذه الدرجات بشهادة القرآن ورسول الله لأنهم :

— أصحاب السبق للإسلام ، وللسابق الفضل الأول .

— كما أنهم أصحاب الهجرة ، والذب عن رسول الإسلام وماجاء به .

— تحملوا الأذى في سبيل نشر الإسلام وأحكامه .

— كانوا غرباء لكثرة الأعداء حينئذ ... هذا بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ

وبالنسبة للتابعين وسيدنا سعيد سيدهم :

— تحملوا المشاق في سبيل تلقي علوم الإسلام من أصحاب رسول الله ﷺ .

— تحملوا أعباء الدعوة الإسلامية ، ونشرها في كل مكان ذهبوا إليه .

— ضربوا أروع الأمثلة في ضبط الشرع والأحكام ، والثقة والأمانة والعدالة في تلقيهم عمن سبقوهم من أصحاب رسول الله ﷺ .

— كانوا خير خلف لخير سلف ، تحملوا الأمانة عمن كانوا قبلهم وأوصلوها لمن بعدهم بكل دقة وإتقان وإخلاص .

ـ إن الصحابة والتابعين وتابعى التابعين لهم فى أعناقنا كل الحب والتوقير .

ـ أنهم اتبعوا شرع الله وسنة رسوله ، ولم يبتدعوا فيهما ..

سيدنا سعيد طالباً :

نشأ الصحابة يرتعون فى رياض رسول الله ﷺ ، واستمعوا منه القرآن الكريم ، وأرتوا من معينه العذب ، وتشربوا المعالم التربوية من أعذب وأطهر فاه على ظهر الأرض .. وأدركوا مرامى الإسلام وهو يشيد ويرفع العلماء ، ويعلى قدرهم فى القرآن والسنة .

فضل العلم ومنزلة العلماء :

استمع الصحابة إلى كلام رب العالمين فى فضل العلم والعلماء ، وذلك من أول قبس ربانى يشرق على الأرض ، ويشع نور العلم والمعرفة ويبدد ظلمات الجهل ، وذلك فى قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم »[1] .

كما استمعوا وتفهموا جيداً الآيات القرآنية الكثيرة الواردة فى هذا مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل أنشزوا فأنشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير »[2] .

---

(١) سورة العلق الآيات ١ : ٥

(٢) سورة المجادلة الآية ١١

وقوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم »[1] .

فجمع الله جل ذكره أولى العلم مع ذاته المقدسة ، وملائكته المقربين فى آية واحدة ، لتقرير أعظم أساس من أسس الإسلام وهو : التوحيد ..

وقوله جل ثناؤه : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون »[2] .

واستمعوا كذلك إلى الأحاديث النبوية المطهرة من رسول الله ﷺ وهو يبين لهم ولأمته منزلة العلم والعلماء فى الإسلام ومكانتهم ، وذلك لشحذ الهمم ، واستنهاض العقول للعلم ، لأن العلم هو إحدى الاسس الاساسية لبناء ونهضة الامة الإسلامية ... من ذلك قوله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله »[3] .

قال ابن حجر : (هـذا الحديث مشتمل على ثلاثة أحكام : أحدها : فضل التفقه فى الدين ، وثانيها : أن المعطى فى الحقيقة هو الله ، وثالثها : أن بعض هذه الامة يبقى على الحق أبداً ... وقال النووى : يحتمل أن تكون هذه الطائفة فرقة من أنواع المؤمنين ممن يقيم أمر الله تعالى من مجاهد وفقيه ومحدث وزاهد ، وآمر بالمعروف ، وغير ذلك من أنواع الخير ولا يلزم اجتماعهم فى مكان واحد ، بل يجوز أن يكونوا متفرقين...

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٣

(٣) أخرجه البخارى عن معاوية بن أبى سفيان فى كتاب : العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ١ /١٣٤

ونكر خيراً ليشمل القليل والكثير ، والتنكير للتعظيم لان المقام يقتضيه ومفهوم الحديث : أن من لم يتفقه فى الدين أى يعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير)[١] .

وقوله ﷺ : « لاحسد إلا فى اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[٢] .

قال صاحب الفتح : (.. أما الحسد المذكور فى الحديث فهو الغبطة ، وأطلق عليها مجازاً ، وهى أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسة ، فإن كان فى الطاعة فهو محمود ، ومنه « فليتنافس المتنافسون »)[٣] . وأيضا قوله ﷺ : « العلماء ورثة الانبياء »[٤] .. من هنا إنهال الصحابة رضوان الله عليهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، والعلوم والمعارف المتعلقة بهما ، ورسول الله ﷺ يشرح ويبين لهم ، ويرشدهم بأسلوبه التربوى الفذ ، لإعدادهم لحمل الامانة لمن بعدهم ، كما أدرك الصحابة منزلة طلاب العلم فى الإسلام ، ورسول الله يحتضنهم تحت جناحيه الحانيين ، فهو الاستاذ ، والمربى ، وهو المعلم الاول استمعوا إليه خاشعين وهو يقول لهم فى حق طلاب العلم . وراغبى المعرفة .

---

(١) فتح البارى ١٣٤/١ (بتصرف) .

(٢) أخرجه البخارى عن عبدالله بن مسعود فى كتاب : العلم ، باب الاغتباط فى العلم والحكمة ، وقال عمر : تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا ١٣٥/١ ، ١٣٦ .

(٣) ابن حجر ١٣٦/١ (٤) سيأتى تخريجه .

— منزلة طالب العلم فى الإسلام — :

يقول مشجعا لطلاب العلم . ومبينا لهم منزلتهم عند الله تعالى « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله فى عليه الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأبه عمله لم يسرع به نسبه »[1] .

كما أدركوا جيدا قوله ﷺ « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذه بحظ وافر »[2] .

وتفهموا كذلك ما جاء « عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىء على برده أحمر ، فقلت له يارسول الله إنى جئت لطلب العلم ، فقال : مرحبا بطالب العلم .

---

(١) أخرجه مسلم عن أبى هريرة فى كتاب : « الذكر والدعاء » ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ١٧ / ٢١

(٢) رواه أبو داود فى كتاب : العلم ، باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣ ، دار التراث العربى

إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»[١] .

وأيضا « عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة»[٢] .

إلى غير ذلك من الأحاديث :

أدرك الصحابة كل هذا فانكبوا شغوفين على العلم ، ورسول الله ﷺ بينهم ، ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا في تربية وتعليم الناس وبخاصة أولادهم .

وكان سعيد بن المسيب من هؤلاء الطلاب ، فحرص منذ نعومة أظفاره على طلب العلم ، والتزود من مناهل المعرفة ، وكان قد بلغ مبلغ الرجال في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه ولم يترك الفرصة تضيع عليه ، وجلة صحابة رسول الله ﷺ هنا وهناك ، وفي حنايا صدورهم علم رسول الله ﷺ ، وما زالت أحاديثه غضة ، فسمع منهم ، وارتووا من معينهم الصافي ، وجد واجتهد ، وتتلمذ على أيديهم ، وأخذ عنهم منهاج الإسلام في شئون الحياة كلها وبخاصة منهاجه في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل ، واستقر في أعماق قلبه حب الإسلام ، ومبادئه السامية ، وتشربته عواطفه ، وأصبح

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد ١/٥٣ ط وزارة الأوقاف

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ، باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه ١/٧٩ ، دار احياء التراث العربي

الإسلام والدعوة إليه، ونشر أحكامه شغله الشاغل. بل قلبه وروحه وحياته، حتى صار علما من أعلام الإسلام، وقدوة يقتدى به، ويحكى الرجل عن نفسه وجهاده فى طلب العلم، فيقول (كنت أرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد)[1] وكان الرجل فطنا، وحريصا كل الحرص على العلم شغوفا به (قال سلام، يقول عمران، والله ما أراه مر على أذنه شىء قط إلا وعاه قلبه، يعنى سعيد بن المسيب)[2].

وامتلأ سعيد علما، وصار بحرا، وأفاض على الناس من علمه، الذى ناله من شيوخه الأجلاء.

شيوخ سيدنا سعيد بن المسيب:

إن سعيد بن المسيب لم يظهر بعلمه، وورعه، وشجاعته، ورسوخ إيمانه من فراغ، أو بعلوم تلقاها من الفرس أو الروم أو غيرهما، بل كانت المدرسة التى تربى فى رحابها، ونهل من فيض علمها، تحوى أفذاذا وعباقرة، وعلماء أجلاء، ونبلاء فضلاء، إنهم صحابة رسول الله ﷺ، فمنهم أخذ، وعلى أيديهم تربى، وعلى أعينهم صنع، فتخرج الرجل من تلك الجامعة الفريدة التى لن تشرق الشمس على مثلها أبدا.. وعندما نذكر مجموعة من أسماء شيوخه وأساتذته ندرك مكانة سيدنا سعيد بن المسيب العلمية.

قال الزهرى بعد أن سأله سائل عمن أخذ سعيد بن المسيب علمه فقال:

---

(١) البداية والنهاية كثير ١٣٤/٥، وانظر: حلية الأولياء لأبى نعيم ٢٢٢/٤

(٢) الطبقات الكبرى لإبن سعد ١٢٢/٥ دار صادر، بيروت

(عن زيد بن ثابت ، وجالس سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عباس عبد الله بن عمر ، ودخل على أزواج النبي ﷺ رضى الله عنهن . وكان قد سمع عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طلب ، وصهيب بن سنان ، محمد بن مسلمة ، وجل روايته المسندة عن أبي هريرة وكان زوج ابنته)[١] .

وقال الذهبي (رأى — سعيد بن المسيب — عمر ، وسمع عثمان ، وعليا ، وزيد بن ثابت ، وأبا موسى الأشعرى ، وسعدا . وعائشة ، وأبا هريرة ، وابن عباس ، وروى عن أبي بن كعب ، وسعد بن عبادة ، وأبي ذر ، وأبي الدرداء ، وغيرهم)[٢] .

وقال ابن كثير (أخذ سعيد بن المسيب وروى عن عمر بن الخطاب وقيل سمع منه ، كما روى عن عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عثمان ، وعلى وسعيد وأبي هريرة .. كما روى عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء كما أنه رضى الله عنه حـــدث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم)[٣] .

وقال العيني (إن سعيد بن المسيب قد روى عن قريب من أربعين صحابيا)[٤] .

وقال ابن حجر (روى عن أبي بكر مرسلا ، وعن عمر وعثمان وعلى وسعد بن أبي وقاص وحكيم بن حزام وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص ، وأبيه المسيب ومعمر بن عبد الله بن نضلة وأبي ذر ، وأبي الدرداء وحسان ابن ثابت وزيد بن ثابت وعبدالله بن زيد المازني وعتاب

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٨٠/٨

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ ، مؤسسة الرسالة

(٣) البداية والنهاية ٥ / ١٣٣ ، ٣٤ ، وانظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٣٧٥

(٤) عمدة القارى ١٨ / ٢٥٩

بن أسيد وعثمان بن أبى العاصى وأبى ثعلبة الخشنى وأبى قتادة وأبى موسى وأبى سعيد وأبى هريرة وكان زوج ابنه وعائشة وإسماء بنت عميس وخولة بنت حكيم وفاطمة بنت قيس، وأم سليم وأم شريك وخلق)[1]

وعلى هذا فالرجل تمتع فى وسط هذه الرياض النضرة، واستقى من هذه المناهل العذبة الرائقة، وتغذى على هذه الموائد الكريمة، وامتلأ نورا وعلما وورعا وزهدا وخشية وتقوى وإحسانا، وقوة فى الحق، ولقد كان صورة مجسدة وممثلة لشيوخة الأجلاء، ومثلا طيبا فريدا لتلاميذه الأوفياء.. هذا والترجمة لشيوخ سعيد أمر يطول، ثم هم أعلام وأشهر من الترجمة عنهم، لكنى أذكر هنا بعض تلاميذ الرجل.

تلاميذ سيدنا سعيد بن المسيب :

إن الأستاذ عندما يبذل كل جهده، ويلقى علمه على مسامع تلاميذه يكون قد أدى رسالته، وطابت نفسه بأداء الواجب، وعندما يجد الأستاذ أن جهده فى أداء رسالته قد أينعت وأثمرت تلاميذ نجباء، حملوا علمه فى قلوبهم، وبذلوا هم الآخرون جهودهم فى نقل العلم وانتشارة فإنه يكون أطيب نفسا، وأهنأ بالا، ونالته سعادة غامرة تملأ فؤاده.. وقد تخرج فى مدرسة سعيد بن المسيب عباقرة ملؤا الدنيا بعلومهم ومعارفهم، وأناروا للناس سبل الهدى والخير، وصاروا أعلاما للدعاة، بهم يقتدون، وعلى نهجهم يسلكون.

وتروى كتب السير والتراجم أن سعيد بن المسيب تتلمذ عليه نخبة ممتازة من الرجال من هؤلاء.

---

(١) تهذيب التهذيب لإبن حجر ٤ /٧٤، ٧٥ ط اولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر

ابن شهاب ، يحيى بن سعيد ، عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، وعطاء الخرسانى ، وعمارة بن صياد ، محمد بن عبد الله بن أبى مريم ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط الليثى ، وعمرو بن شعيب . وإبراهيم بن عقبة ، وعبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وأبى الزنادوهو عبدالله بن ذكوان ، وجميل بن عبد الرحمن المؤذن ، ويونس بن يوسف ، وزيد بن أسلم ، وداود ابن الحصين ، وأبى حازم وهو سلمة بن دينار ، وموسى بن ميسرة ، وربيعة بن عبد الرحمن ، وصداقة بن ميسرة [١] .

وقال ابن حجر وروى عنه (ابنه محمد وسالم بن عبد الله بن عمرو والزهرى وقتال وشريك بن أبى نمر وأبو الزناد وسمى وسعد بن إبراهيم وعمرو بن مرة ويحيى بن سعيد الأنصارى وداود بن أبى هند وطلق ابن عبد الرحمن وعبد الحميد بن جبير بن شعبة وعبد الخالق بن سلمة وعبد الحميد بن سهيل وعمرو بن مسلم بن عمارة بن اكيمة وأبو جعفر الباقر وابن المنكدر وهاشم بن هاشم بن عتبة ويونس بن يوسف وجماعة)[٢] .

وإذا أردنا أن نؤكد أثر سيدنا سعيد فى تلاميذه فلنترجم لواحد منهم .

ابن شهاب :

نسبه : أبو بكر ، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحرث بن زهرة ، نسب إلى جد جده لشهرته الزهرى

---

(١) انظر : الموطأ للإمام مالك طبعة دار الشعب .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٧٥

نسب إلى جده الأعلى زهرة بن كلاب ، وهو من رهط آمنة أم النبى ﷺ (١) .

مولده : ولد ابن شهاب الزهرى فى سنة ثمان وخمسين فى آخر خلافة معاوية ابن أبى سفيان من غير اختلاف فى مولده (٢).

ابن شهاب طالباً :

ولد ابن شهاب ومال بقلبه إلى مجالس العلماء ، وارتمى فى رحابهم ، فكان فى المدينة وارتوى من فضلاء علمائها ، وبخاصة سعيد بن المسيب ، ثم ارتحل إلى دمشق ، وحج إلى الكعبة واستفاد ، وكذلك رحل إلى فلسطين ، وبها توفى رحمه الله — كما سيأتى — وقال الليثى : قال ابن شهاب ماصبر أحد على العلم صبرى ، وما نشره أحد قط نشرى (٣). وقال صالح بن كيسان (اجتمعت أنا والزهرى ، ونحن نطلب العلم ، فقلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبى ﷺ ، ثم قال لى — الزهرى — هلم فلنكتب ماجاء عن أصحابه فانه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة، فلا نكتب قال : فكتب ماجاء عنهم ، ولم نكتب فانجح وضيعت) (٤).

---

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر ١٨/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤٤٦/٥

(٢) انظر المرجع السابق ٤٤٧/٥ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣٩٥/٩

(٣) البداية والنهاية ٤٤٩/٥، مذكرة الحفاظ للذهبى ١٠٨/١، دار إحياء التراث العربى .

(٤) انظر البداية والنهاية ٤٥٢/٥ ، ٥٣ ، تذكرة الحفاظ ١٠٨/١

وقال أبو اسحاق (كان الزهرى يرجع من عند عروة فيقول لجارية عنده فيها لكنه: حدثنا عروة ، حدثنا فلان، ويردد عليها ماسمعه منه ، فتقول الجارية : والله ما أدرى ما تقول ، فيقول لها : اسكتى فإنى لا أريدك إنما أريد نفسى [١] .

تلمذته على سعيد بن المسيب :

تذكر كتب التراجم أن ابن شهاب صحب سعيد بن المسيب ، وتتلمذ على يديه ، ونال من فيض علمه ، قال ابن كثير (جالس الزهرى سعيد بن المسيب فى مدينة رسول الله ﷺ ثمان سنين تمس ركبته ركبته)وهو القائل اتبعت سعيد بن المسيب ثلاثة أيام فى طلب حديث [٢] . (وعن مالك بن أنس عن ابن شهاب قال : جلست إلى ثعلبة بن أبى صعير فقال :أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم ، قال : عليك بذاك الشيخ .

يعنى سعيد بن المسيب ، قال . فلزمت سعيداً سبع سنين ، ثم تحولت عنه إلى عروة ، ففجرت ثبج بحره ... فعروة بن الزبير بحر لا تكدره الدلاء ، وسعيد بن المسيب فانتصب للناس ، فذهب اسمه كل مذهب[٣] .

ولقد روى الزهرى عن سعيد بن المسيب أحاديث كثيرة ، وهى موجودة فى كتب السنة ، ولقد أحصيت له عشرات الأحاديث المروية له عن سعيد فى موطأ الإمام مالك [٤] وقال الزرقانى : (له فى الموطأ مرفوعاً مائة وثلاثة وثلاثون حديثاً)[٥]

---

(١) المرجع السابق ٤٤٧/٥ ، ٤٨
(٢) البداية والنهاية ٤٤٩/٥ ،
(٣) المرجع السابق ٤٥٢/٥ ، ٥٣
(٤) انظر : موطأ الإمام مالك
(٥) شرح الزرقانى على الموطأ ١٩/١

نبوغه :

كان الرجل تقياً ورعاً ، وعبداً صالحاً ، وتلميذاً نجيباً ، شغوفاً بالعلم والعلماء ، فأعطاه الله قلباً طاهراً ، وعقلاً راجحاً ، ونفساً زكية ، فلم تستعص عليه المسائل ، ولم يذهب عنه العلم ، قال عنه الليث (ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، لو سمعته يحدث فى الترغيب والترهيب لقلت : ما يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب ، قلت: لا يحسن إلا هذا .

وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعاً جامعاً)[١] .

ومما يدل على نبوغة ، وقوة ذكرته ، ماقدروى أن هشام ابن عبد الملك سأل الزهرى أن يكتب لبنيه شيئاً من حديثه ، فأملى على كاتبه .

أربعمائة حديث ، ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاماً قال للزهرى : إن ذلك الكتاب ضاع ، فقال : لا عليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث ، فأخرج هشام الكتاب الأول ، فإذا هو لم يغادر حرفاً واحداً ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه ، وقال الليث : سمعت ابن شهاب يقول : ما استودعت قلبى شيئاً قط فنسيته[٢] . وقال أبو داود: حديثه — أى الزهرى — ألفان ومائتان النصف منها مسنده[٣] ، وقال الذهبى : حفظ قرأ الزهرى القرآن الكريم فى نحو ثمان وثمانين يوماً[٤] .

---

(١) البداية والنهاية ٤٤٩/٥ ، دار الغد العربى .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٤٤٨/٥
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى ١٠٨/١
(٤) المرجع السابق ١١٠/١

ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى العلماء على ابن شهاب ثناء جميلا ، ووثقوا أقواله ، مما رفعه إلى درجة رفيعة بين عظماء العلماء النبلاء من ذلك :

قال عنه عمر بن عبد العزيز : مارأيت أحداً أحسن سوقا للحديث من الزهرى .

وقال عنه عمرو بن دينار : مارأيت أحدا أنص للحديث من الزهرى ولا أهون من الدنيا والدرهم عنده ، وما الدراهم والدنانير عند الزهرى إلا بمنزلة البعر .

وقال أحمد بن حنبل: أحسن الناس حديثا وأجودهم إسنادا الزهرى.

وقال الليث : مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ، وقال عنه أيضاً:

كان الزهرى اسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استلف ، وكان يطعم الناس الثريد ، ويسقيهم عسلا ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شرابهم .

وقال مكحول وعمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب فإنه ما بقى أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وسئل مكحول ، من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهرى ، قيل ثم من ؟ قال الزهرى :

وقال أيوب : مارأيت أحدا أعلم من الزهرى ، فقيل له ولا الحسن؟ فقال : مارأيت أعلم من الزهرى .

وقال ابن عيينة : محدثوا أهل الحجاز ثلاثة: الزهرى ويحيى بن سعيد وابن جريج .

وقال على بن المدينى : الذين أفتوا أربعة : الزهرى والحكم وحماد وقتادة ، والزهرى أفقههم عندى .

وقال أحمد بن صالح : فصحاء زمانهم : الزهرى وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله .

وقال الإمام مالك وكان تلميذ الإبن شهاب : بقى ابن شهاب وماله فى الدنيا نظير[1].

وقال الزرقانى: فقيه حافظ متفق على جلالته واتقانه ، لقى عشرا من الصحابة[2] .

وقال ابن حجر : اتفقوا على اتقانه وإمامته[3] .

هذا والذين أثنوا عليه كثيرون .

توجيهات تربوية لإبن شهاب :

أثر عن ابن شهاب أقوال كثيرة فيها الحكمة والإعتبار ، ونذكر طرفا منها :

قال الزهرى : إن هذا العلم الذى ادب الله به رسول الله ﷺ، وأدب رسول الله ﷺ به أمته ، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى اليه ، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل.

وقال : الإعتصام بالسنة نجاة :

وقال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ .

وقال : للعلم واد، فإذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه فإنك لاتقطعه حتى يقطع بك .

(١) أنظر : البداية والنهايه ٥ / ٤٤٦ وما بعدها ، وتذكرة الحفاظ ١ / ١٠٩

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ١٩/١

(٣) فتح البارى ١٨/١

وقال : العلم خزائن وتفتحها المسائل .

وقال : كان يصطاد العلم بالمسألة ، كما يصاد الوحش .

وقال : إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة غلبك ، ولم تظفر منه بشيء ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذا رقيقا تظفر به .

وقال : ما عبد الله بشيء أفضل من العلم .

وقال : لا يوثق علم عالم لا يعمل به .

وقال : إياك وغلول الكتب ، قيل وما غلولها ؟ قال: حبسها عن أهلها.

وقال : حضور المجلس — مجلس العلم — بلا نسخه ذل ، رواه عنه الشافعي وهو أحد تلاميذه .

وقال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت .

وقال : استكثروا من شيء لا تمسه النار ، قيل وما هو ؟ قال : المعروف .

وقال : العبادة هي : الورع والزهد ، والعلم هو : الحسنة ، والصبر هو : احتمال المكاره ، والدعوة إلى الله تعالى على العمل الصالح .

وقال : ثلاثة إذا كن في القاضي فليس بقاض : إذا كره اللاوم ، وأحب المحامد ، وكره العزل[1] .

وفاته :

قال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخمسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله بثلاث بشعب زبدا ، فأقام بها فمرض ومات ، وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته لسبع عشرة من

(١) أنظر : البداية والنهاية ٤٤٦/٥ ، تذكرة الحفاظ ١١٠/١

رمضان فى هـــذه السنة ، وقال الزبير بن بكار : توفى الزهرى بأمواله بشعب هذين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة .. ودفن على قارعة الطريق ليدعو اليه المارة ، وقال الحسين بن المتوكل : رأيت قبر الزهرى بشعب زبدا — من فلسطين — مسنما مجصصا[1] .

هكذا ربى سيدنا سعيد تلاميذه ، وها هو الزهرى إحدى ثمراته الطيبة ، فلتقر عينى سعيد بن المسيب ، ونعم العالم والمتعلم .. وسيأتى إن شاء الله تعالى ثناء العلماء على سيدنا سعيد .

(١) أنظر : البداية والنهاية ٥١/٥٤

المبحث الثانى

سيدنا سعيد عابدا :

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضه عليه ، ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته . ولئن استعاذنى أعذته »[1] .

إن قوة الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والاستمساك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله المتين ، والتشبث بكل ما يقرب المسلم بخالقه — إن ذلك — يجعل الإنسان يقبـــل على ربه ، مخلصا فى عبادته ، وسلوكه ، والداعية — خاصة — يعرف حق خالقه فيقبل على عبادته فى حب وخشوع ، وان صلة الداعية بالله تعالى هى السفينة التى توصله إلى مرفأ الامان ، وهى العاصمة له من عواصف الاحداث، وهى المنارة التى تهدى الحيارى وسط دياجير الظلام ، وتأخذ بيده من وسط الفتن والكروب، وتجعل له مخرجا من كل هم وغم .. والداعية حامل رسالة ، ولا بد له من مقابلة العقبات ومواجهتها ، ولا بد له — كذلك — فى هذه المواجهة من قوة يستمد منها العون والمدد ، ولا يتمكن من ذلك إلا إذا كان وثيق الصلة برب القوى والقدر ، ولا تتأكد صلته بالله تعالى إلا

---

(1)

إذا كانت له أوراد يواظب عليها من ذكر وتهجد ونوافل — فضلا عن الفرائض — وسيدنا سعيد بن المسيب كان مثلا صالحا للعالم العابد، فتروى كتب التراجم والسير أن سعيد بن المسيب حج إلى بيت الله الحرام أربعين حجة، وقال عن نفسه: مافاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة .. وما نظرت إلى قفا رجل فى الصلاة منذ خمسين سنة[1]، وذلك لتلبيته النداء — دون تباطىء أو تراخى — وأيضا لمحافظته على الصف الأول، وكان الرجل يقوم بتربية نفسه ويروضها على طاعة الله عز وجل، ويستعد بهذا لمواجهة الأحداث التى تواجه أية داعية مخلص، وأيضا يستعد للقاء ربه.

وتعينه هذه التربية على تحصيل العلم ويجتهد فى هذا ماوسعه، وحتى لايقع — كما يقع الكثير من العلماء الآن — تحت طائلة الإنفصام أو الإنفصال بين القول والفعل .. ، ويروى عنه أنه — رضى الله عنه — صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة[2]، فكان الرجل يمضى ليلة فى طاعة ربه قائما قانتا متهجدا ساجدا، وثبت عنه أنه كان يسرد الصوم[3]

فسعيد بن المسيب لم يواظب على الفرائض فحسب، بل أخذ نفسه بالنوافل والمواظبة عليها، ولكى لا أطيل أذكر طرفا حول فضل صلاة الجماعة، والترهيب من تركها، وفضيلة الصف الأول، والتهجد بالليل، مما كان يواظب عليه سعيد.

(١، ٢) أنظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٧٥، ٧٦

(٣) أنظر: صفة الصفوة، لابن الجوزى ٢/٨٠، دار المعرفة.

فضل صلاة الجماعة :

إن واجب الداعية أن يكون أول من يقوم بتنفيذ تعاليم الإسلام ، ويكون قدوة حسنة لمن وراءه .. فالناس إليه ينظرون ، وبه يقتدون ، وأولى هذه الواجبات أداء الصلاة فى أوقاتها ، وفى جماعة ، فإن للجماعة فوائد جمة منها : ضبط الوقت - والوقت عند المسلم له قيمته - والإنضباط ، والتعود على النظام ، والتدريب العملى عليه ، فى الجماعة ، فى كل شئون الحياة ، وتذويب الفوارق بين أفراد الجماعة المسلمة ، وإظهـــار شعائر الإسلام ، وتعليم الصغير والجاهل ، وسؤال الحاضر عن الغائب ، وزيارة الصحيح للمريض ، وتوثيق العلاقات الإجتماعية ، من تعاون وإخلاص ومحبة ، ومواساة الخ فضلا عن نيل فضل الله تعالى ورحمته وكرمه لضيوف بيوته .. وقد ذكر ابن حجر كثيرا من فضائل صلاة الجماعة منها : إجابة المؤذن بنية الصلاه فى الجماعة ، وصلاة الملائكة عليه واستغفارهم له ، وشهادتهم له . وإجابه الإقامة ، والسلامة من الشيطان حين يفر عند الإقامة وإدارك تكبيرة الإحرام ، وتسوية الصفوف وسد فرجها ، وجواب الإمام عند قوله سمع الله لمن حمده ، والأمن من السهو غالبـاً ، وتنبيه الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه ، وحصول الخشوع والسلامة عما يلهى غالباً ، وتحسين الهيئة ، واحتفاف الملائكة به ، والتدريب على تجويد القراءة ، وتعلم الأركان والأبعاض ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإرغام الشيطان بالإجتماع على العبادة ، والتعاون على الطاعة ، ونشاط المتكاسل ، والسلامة من صفة النفاق ، ومن إساءة غيره الظن بأنه ترك الصلاة رأسا ، ورد السلام على الإمام ، والإنتفاع بإجتماعهم على الدعاء والذكر ، وعودة بركة الكامل على الناقص ، وقيام نظام الألفة بين الجيران ، وحصول تعاهدهم فى أوقات الصلاة[1] ..

---

(١) انظر : فتح البارى ٢/١٠٥ (بتصرف) .

وقد استخلص العلماء فوائد جمة فى صلاة الجماعة من جملة أحاديث نبوية شريفة نذكر منها :

— « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[١] » .

— وقال رسول الله ﷺ « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى مصلاه ، اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة[٢] » .

وقد روى الإمام مالك فى الموطأ أثرا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبين مدى حرص الصحابة على صلاة الجماعة ، وحث بعضهم بعضاً على المواظبة عليها فقال « عن ابن شهاب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى خيثمة أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبى خيثمة فى صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوى ، فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها : لم أر سليمان فى الصبح . فقالت: إنه بات يصلى ، فغلبته عيناه ، فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح فى الجماعة أحب إلى من أن أقوم الليل[٣] » .

---

(١) أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر ، فى كتاب: الصلاة، باب : فضل صلاة الجماعة ٢/١٠٤ ، والفذ : المنفرد فتح البارى ٢/ ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة فى الكتاب والباب السابقين .

(٣) أخرجه مالك فى كتاب : صلاة الجماعة ، باب: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ ص ١٠١ ، صححه ورقمه . . محمد فؤاد عبد الباقى ، ط : دار الشعب .

ويلاحظ فى هذا :

• سؤال عمر عمن تخلف عن صلاة الجماعة ولو مرة واحدة ، وبخاصة صلاة الصبح .

• أن صلاة الجماعة أفضل من قيام الليل إذا كان سبباً فى ضياعها .

• إن سليمان عندما غاب عن صلاة الصبح فى جماعة لم يكن يقضى ليله فى لهو وعبث ، بل قضاه الرجل قائما قانتا ساجدا لله رب العالمين ، ومع هذا فقد عتب عمر عليه لأن ثواب الجماعة فاته .. أن سيدنا عمر كان يتفقد أمر الرعية بنفسه سواء فى أمور الدين أم فى أمور الدنيا ، وهؤلاء هم شيوخ سعيد .

وقد اشتد أبو الدرداء فى غضبه عندما وجد قلة لا يواظبون على الصلاة فى جماعة فقد أخرج البخارى (أن سالما قال : سمعت أم الدرداء تقول: دخل على أبو الدرداء وهو مغضب فقلت : ما أغضبك ؟ فقال : والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً [1]) أى مجتمعين .

وقد علق ابن حجر على هذا ، وأبدى أسفه على من ترك صلاة الجماعة، فقال : (ومراد أبى الدرداء أن أعمال المذكورين يحصل فى جميعها النقص والتغيير إلا التجميع فى الصلاة، وهو أمر نسبى ، لأن حال الناس فى زمن النبوة كان أتم مما صار إليه بعدها ، ثم كان فى زمن الشيخين أتم مما صار إليه بعدهما ، وكان ذلك صدر من أبى الدرداء فى أواخر عمره ، وكان ذلك فى أواخر خلافة عثمان . فياليت شعرى إذا كان ذلك العصر

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : الصلاه ، باب : فضل صلاة الفجر فى جماعة ١٠٩/٢ ، وقال ابن حجر : أن أم الدرداء المذكورة هنا هى أم الدرداء الصغرى التابعية واسمها هجيمة أنظر فتح البارى ١٠٩/٢

العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الدرداء ، فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذا الزمان ، وفي الحديث جواز الغضب عند تغير شيء من أمور الدين ، وإنكار المنكر بإظهار الغضب إذا لم يستطع أكثر منه[١]) .. ونحن بدورنا نأسف كل الأسف على ضياع صلاة الجماعة من كثير من المسلمين في زماننا هذا ، وبخاصة من الفئات المتعلمة ، وكثير من المسئولين ، وكأن صلاة الجماعة خاصة فقط بالعامة من الناس وهذا تراه عند دخولك أحد المساجد . .

وقد أورد النسائي ما قاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود عن سلوك صحابة رسول الله ﷺ ، ومدى تشبثهم بالصلاة وفي جماعة «فعن أبي الأحوص عن عبد الله أنه كان يقول : من سره أن يلقى الله عز وجل غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فإن الله عز وجل شرع لنبيه ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، وإني لا أحسب منكم أحدا إلا له مسجد يصلي فيه في بيته فلو صليتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من عبد مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يمشي إلى صلاة إلا كتب الله عز وجل له بكل خطوة يخطوها حسنة أو يرفع له بها درجة أو يكفر عنه بها خطيئة ، ولقد رأيتنا نقارب بين الخطا ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم نفاقه ، ولقد رأيت الرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف[٢] .

وإذا كان الإسلام حرض الجماعة المسلمة على أداء الصلوات الخمس في جماعة ، فإنه ركز وحرضهم أكثر على صلاتي الصبح والعشاء بالذات .

---

(١) المرجع السابق ١٠٩/١ .
(٢) أخرجه النسائي في كتاب الإمامة ١٠٨/٢ ، ١٠٩ دار القلم .

وقد وردت أحاديث تبين فضل ذلك منها :

قول رسول الله ﷺ «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له . ثم الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله . وقال : لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا[1] » .

وقوله ﷺ « ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلا يؤم الناس ثم آخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد[2] » .

وعن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال : بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونهما[3] » .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الصلاة ، باب التهجير إلى الظهر ، عن أبي هريرة ٢/ ١١٠ ، ومعنى التهجير : التبكير ، والحبو معناه : أي يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير ، ولابن أبي شيبة من حديث أبي الدرداء : ولوحبوا على المرافق والركب انظر : فتح الباري لابن حجر ٢/٧٧ ، ١١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب :الصلاة ، باب : فضل العشاء في جماعة عن أبي هريرة ٢/١١١ ، ١٢ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب : صلاة الجماعة ، باب : ما جاء في العتمة والصبح ص١٠١ .

الترهيب من ترك الجماعة :

ولقد وردت أحاديث كثيرة تشدد على من تخلف عن صلاة الجماعة منها:

قوله ﷺ « والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ، والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»[1] .

والمقصود أن أحد هؤلاء المتخلفين عن الجماعة لو علم أنه يدرك الشىء الحقير ، والنزر اليسير من متاع الدنيا ولهوها لبادر إلى حضور الجماعة إيثاراً لذلك على ما أعده الله تعالى له من الثواب على شهود الجماعة، وهذه صفة لا تليق بغير المنافقين[2] وقال ابن حجر (وإنما وصف العرق بالسمن ، والمرماة بالحسن ليكون ثم باعث نفسانى على تحصيلها ، وفيه الإشارة إلى ذم المتخلفين على الصلاة بوصفهم بالحرص على الشىء الحقير

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب : الصلاة ، باب وجوب صلاة الجماعة ١٠٢/٢ ، يلاحظ أن الإمام البخارى بوب باباً فى وجوب صلاة الجماعة وهو قول طائفة من العلماء ، كما سيأتى :

ومعنى العرق : قطعة لحم ، والمرماة : ظلف الشاة ...

وقيل : السهم الصغير الذى يتعلم به الرمى ، وهو أحقر السهام وأرذلها ... انظر فتح البارى ١٠٢/٢ ، وشرح السيوطى لسنن النسائى ١٠٨/٢

(٢) انظر: حاشية السند على شرح سنن النسائى ١٠٨/٢ وانظر :فتح البارى ١٠٣/٢ .

من مطعوم أو ملعوب به مع التفريط فيما يحصل رفيع الدرجات ومنازل الكرامة)[١] .

ومن الأحاديث التي تشدد على من ترك صلاة الجماعة بغير عذر شرعي قوله ﷺ — ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

قال السائب[٢] يعني بالجماعة : الجماعة في الصلاة »[٣] . وقال المنذري (وإن ذئب الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله[٤] .

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال : إنه ليس لي قائد يقودني إلى الصلاة ، فسأله أن يرخص له أن يصلي في بيته فأذن له ، فلما ولى دعاه ، وقال له : أتسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب »[٥] . وفي رواية أخرى « عن ابن أم مكتوم أنه قال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع ، قال : هل تسمع حي على الصلاة ، حي على الفلاح ؟ قال : نعم ، قال : فحي هـــلا ، ولم يرخص له »[٦] .

---

(١) المرجع السابق ١٠٣/٢

(٢) ابن حبيش أحد رواة الحديث .

(٣) أخرجه النسائي عن أبي الدرداء ، في كتاب الإمامة ، باب: التشديد في ترك الجماعة ١٠٦/٢ ، ١٠٧

(٤) الترغيب والترهيب ١٨٢/١

(٥ ، ٦) أخرجها النسائي في كتاب: الإمامة ١٠٩/٢ ، ١١٠، ومعنى: فحي هلا ، قال السندي (هما كلمتان جعلتا كلمة واحدة ، فحي بمعنى أقبل، وهلا بمعنى اسرع ، وجمـــع بينهما للمبالغة) حاشية السندي بشرح سنن النسائي ١١٠/٢

فإذا كان الرجل كفيف البصر ، وليس له قائد ، والطريق موحشا بما فيه من الأشجار والسباع ، ولم يرخص له رسول الله ﷺ أن يصلى فى بيته وهو يسمع النداء ، وذلك لنيل فضل الجماعة . وتحصيل ثوابها ، ورفع درجات أصحابها ، وهذا حب من الرسول لأصحابه ، إذا كان ذلك كذلك فما بالنا نرى رجالا لا يصلون فى المساجد ، ولا نجد من يردعهم، ويأخذ بأيديهم إلى الفضل والرحمة ، ويسوقهم سوقاً إلى ساحة رضوان الله تعالى ، ويبعدهم قصراً عن ساحة الشيطان .

وقد ذكر المنذرى عدة أقوال لعدد من العلماء يرون أن صلاة الجماعة واجبة فقال (روينا عن غير واحد من أصحاب رسول الله — ﷺ أنهم قالوا : من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له ، منهم ابن مسعود وأبو موسى الأشعرى ، وقد روى ذلك عن النبى ﷺ . ومن كان يرى أن حضور الجماعة فرض : عطاء وأحمد بن حنبل وأبو ثور، وقال الشافعى: لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة فى ترك إتيانها إلا من عذر .. وقال الخطابى بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم : وفى هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب . ولو كان ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف . ومن كان فى مثل حال ابن أم مكتوم ، وكان عطاء ابن أبى رباح يقول : ليس لأحد من خلق الله فى الحضر وبالقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة ، وقال الأوزاعى : لا طاعة للوالد فى الجمعة والجماعات)[1] . وقد أورد البخارى أثراً عن الحسن فقال (وقال الحسن إن منعته أمه عن العشاء فى جماعة شفقت عليه لم يطعها)[2] .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ١/١٨٣ ، ٨٤

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب صلاة الجماعة ٣ / ٩٩ .

وقال ابن حجر (وإلى القول بأنها فرض عين — أى الجماعة — ذهب عطاء والأزاعى وأحمد وجماعة من محدثى الشافعية كأبى ثور وابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ، وبالغ داود ومن تبعه فجعلها شرطاً فى صحة الصلاة)[1] .

كما أورد البخارى أثراً آخر يؤكد مدى حرص الصحابة والتابعين وسلف الأمة على حضور الجماعات فقال (وكان الأسود[2] إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد آخر . وجاء أنس إلى مسجد قد صلى فيه فأذن وأقام وصلى جماعة[3] وكان ابن عمر إذا فاتته العشاء فى جماعة قام الليل كله وأحياه[4] .

ولهذا — وغيره — كان سيدنا سعيد بن المسيب يواظب على صلاة صلاة الجماعة . .

فضل الصف الأول :

سبق القول أن سيدنا سعيد بن المسيب صلى خمسين عاما فى الصف الأول فى جميع الصلوات ، وأنه قال : ما رأيت قفا رجل قط فى صلاة . وكان يفعل ذلك لما يدركه من فضيلة الصف الأول فى الصلاة ، والإسلام جعل للصف الأول أفضلية وذلك ندباً وتشجيعاً للمبادرة إلى الصلاة فى جماعة . ومما ورد فى السنة فى هذا :

---

(١) فتح البارى ٩٩/٢

(٢) ابن يزيد النخعى أحد كبار التابعين .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب : فضل صلاة الجماعة ١٠٣/٢ ، ولابن حجر بحث طيب فى حكم صلاة الجماعة هل هى واجبة أم سنة مؤكدة ؟

انظر فتح البارى ٩٩/٢ وما بعدها .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٨/٥

أن رسول الله ﷺ قال «الشهداء : الغرق والمطعون والمبطون والهدم. وقال : لو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا ، ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا ، ولو يعلمون ما فى الصف المقدم لاستهموا[1] » .

وقد ذكر العلماء أسبابا كثيرة لأفضلية الصف الأول منها (المسارعة إلى خلاص الذمة ، والسبق لدخول المسجد ، والقرب من الإمام ، واستماع قراءته ، والتعلم منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدامه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين[2] .

وقال رسول الله ﷺ « خير صفوف الرجال أولهـا وشرها آخرها[3] ، « وعن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ : كان يصلى على الصف الأول ثلاثا وعلى الثانى واحدة[4] .

فضل قيام الليل :

من رحمة الله تبارك وتعالى بخلقه أن خلق الليل والنهار ، وجعل الليل سكنا ، والنهار معاشا ، ومن فضله جل ذكره ، أن هدى المسلمين ألا يغفلوا عن ذكره فى الأوقات التى يظن فيها الغفلة ، ليكون المدد بالله دائما وموصولا ، فتنغمر على المسلم فيوضات ربانية ، ولما كان النهار معاشا ، وقد يشغل الإنسان بحوائجه الدنيوية ، شاء الله تعالى أن يكون للمؤمن

---

(١) أخرجه البخارى — أيضا — فى كتاب الصلاة ، باب : الصف الأول ١٦٥/٢ .

(٢) فتح البارى ١٦٦/٢ .

(٣) ؛ (٤) أخرجهما النسائى فى كتاب الإمامة ٩٣/٢ ، ٩٤

وقتاً يناجي فيه ربه ، ويستغيث به ، ويؤب إليه ، ويطلب منه جل وعلا قضاء حوائجه ، ويستعين به على نوائب الأحداث ، وثقل هموم الدنيا وآلامها ، وفى الليل سكون وهدوء ، لا يوجد مثله فى النهار ، وفى الليل كواكب ونجوم لامعات لا تظهر بالنهار ، ومع الليل ونجومه وكواكبه وهدوئه ، تصفو النفوس ، وترق المشاعر ، وتهدأ الأعصاب ، وتسمو الوجدانات ، وتطمئن القلوب وتخلص فى الذكر والدعاء ، والقراءة فتتلقى نفحات نورانية ربانية ، فتزداد إيماناً ، وهدوءاً ، فتنشط الهمم ويزداد المسلم عزاً وقوة ، وبخاصة العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية .

كل ذلك بما ناله المسلم من حظوة وأنس القيام بين يدى ملك الملوك والناس نيام[1] .

ومن هنا جاء فى الذكر الحكيم آيات تحض على التهجد بالليل ، وكذا فى السنة .

نصوص قرآنية :

يقول جل ذكره : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما »[2] .

ويقول تبارك وتعالى « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون . تتجافى جنوبهم عن المضاجع

---

(١) يلاحظ المسلم : فى الليل كان : نزول القرآن ، والإسراء والمعراج ، ونجاة سيدنا لوط ومن كان معه ، وكذا سيدنا موسى ومن معه إلخ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان : ٦٣ ، ٦٤

يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »[١] .

ويقول جل وعلا « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب »[٢] .

ويقول سبحانه وتعالى « إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون »[٣] .

نصوص نبوية :

أكدت السنة النبوية فضل قيام الليل ، وسبحت سبحاً طويلا فى علو شأن ومنزلة القانتين القائمين بالليل يرجون رحمة ربهم ، منها :

— عن أبى هريرة — رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى حتى تزلع يعنى تشقق قدماه »[٤] .

— « عن المغيرة بن شعبة قال: قام النبى — ﷺ — حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً »[٥] .

---

(١) سورة السجدة الآيات : ١٥ ، ١٦ ، ١٧

(٢) سورة الزمر الآية ٩

(٣) سورة الذاريات الآيات ١٥ : ١٨

(٤ ، ٥) أخرجهما النسائى فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٣ /٢١٨

— « وعن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة زوج النبي ﷺ عن قراءة رسول الله ﷺ وعن صلاته ، فقالت : ما لكم وصلاته : كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ثم نعتت له قراءته ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا »[1] .

وكان النبي ﷺ يأخذ نفسه بما لا يتحمله أصحابه « فعن عبدالله رضى الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء ، قلنا : وما هممت ؟ قال : أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم »[2] .

— صلاة سيدنا داود عليه السلام بالليل :

كان رسول الله ﷺ يشيد بعبادة أخيه داود عليه السلام ، وبخاصة نوافله « فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ أحب الصيام إلى الله — عز وجل — صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه »[3] .

---

(١) أخرجه النسائى فى الكتاب السابق ٢١٤/٣

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : العيدين ، باب : طول القيام فى صلاة الليل ١٥/٣

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب العيدين ، باب : من نام عند السحر ١٣/٣ ، ١٣ ، والنسائى فى كتاب : قيام الليل ٢١٤/٢٠٠ ، ١٥ ، واللفظ له .

إرشادات الرسول ﷺ أهله لقيام الليل :

أراد النبي ﷺ أن يجعل من أهل بيته قدوة صالحة لبيوت المسلمين ، وأراد لهم الخير . فدلهم عليه ، وحرضهم على قيام الليل ، وندبهم إليه . . وهذا درس للمسلمين عامة ، وللدعاة خاصة .

« فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول : سبحان الله ، ماذا أنزل الله من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات : يريد أزواجه لكي يصلين ، رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة »[1] .

— « وعن الزهرى قال أخبرنى على بن حسين أن حسين بن على أخبرنى أن على بن أبى طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال : ألا تصليان ، فقلت : يا رسول الله انفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلى شيئاً . ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ، وهو يقول : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلا »[2] .

قال ابن بطال (فيه فضيلة صلاة الليل ، وإيقاظ النائمين من الأهل ، والقرابة .

وقال الطبرى : لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة فى الليل

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : الفتن ، باب : لا يأتى زمان إلا الذى بعده شر منه ١٣/١٧، ١٨

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : العيدين ... ، ٣ / ٨٠٧

ما كان يزعج ابنته ، وابن عمه فى وقت جعله الله تعالى لخلقه سكناً ، لكنه اختار له إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالا لقوله تعالى « وأمر أهلك بالصلاة » .

وفيه منقبة لعلى رضى الله عنه حيث لم يكتم ما فيه عليه أدنى غضاضة ، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه على كتمه)[1] .

رؤيا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

كان — ﷺ — يربى أتباعه ، ويتعرف على أحوالهم ، ويشير على كل واحد منهم إلى ما يصلحه ، ويقوى إيمانه ، ويرشده إلى سبل الهدى والخير من ذلك قيامه الليل .

« فعن الزهرى عن سالم عن أبيه — رضى الله عنه قال : كان الرجل فى حياة النبى — ﷺ — إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله — ﷺ — فتمنيت أن أرى رؤيا وأقصها على رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، وكنت غلاماً شاباً ، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار فإذا هى مطوية كطى البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر فقال لى : لم ترع فقصصتها على حفصة . فقصتها حفصة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فقال : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل ، فكان لا ينام من الليل إلا قليلا »[2] .

---

(١) فتح البارى لابن حجر ٣ / ٨ ، ٩ (بتصرف) ، والآية ١٣٢ من سورة طه .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : العيدين ، باب : فضل قيام الليل =

قال القرطبي (إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها ، وقيل لا روع عليك وذلك لصلاحه ، غير أنه لم يكن يقوم من الليل ، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها ، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك .

وقال ابن حجر : وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب، وفيه تمني الخير والعلم)(١) .

وفي موضع آخر أخذ ابن حجر من الحديث أن (فيه وقوع الوعيد على ترك السنن ، وجواز وقوع العذاب على ذلك .وهو مشروط بالمواظبة على الترك رغبة عنها... وفيه جواز المبيت في المسجد ، ومشروعة النيابة في قص الرؤيا ، وتأدب ابن عمر مع النبي ﷺ ، ومهابته له ، حيث لم يقص رؤياه بنفسه ، وكأنه لما هالته لم يؤثر أن يقصها بنفسه . فقصها على أخته لإدلاله عليها ، وفضل قيام الليل وغير ذلك ...)(٢) ، وعبد الله ابن عمر كان أحد شيوخ سعيد بن المسيب ، وقد تعلم منه هذا ، وضرب المثل الطيب في كيفية قضاء شباب الإسلام لياليه . وإذا كان هذا مثلا للشباب ، فإن هناك أمثلة للنساء المسلمات .

= ٣ / ٥ ، ومعنى مطويه : مبنية ، لم ترع : أي لا تخف ... انظر فتح البارى ٣ / ٥

(١) فتح البارى ٣/٥

(٢) المرجع السابق ٣٥٢/١٢

نساء يتهجدن :

كانت المرأة المسلمة — هي الأخرى — حريصة على أن تقضي الليل في طاعـــة ربها ، وقد تشدد على نفسها في قيام الليل ، حتى أشفق عليها الرسول ﷺ ومثال ذلك :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال: ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا لزينب فإذا فترت تعلقت : فقال ﷺ لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد . وقال عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إمرأة من بني أسد فدخل على رسول الله ﷺ فقال: من هذه ؟ قلت: فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها ، فقال : مه عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »[1] .

وهنا نجد أن أفراد الأمة الإسلامية يسلكون سبل الطاعة والتقرب إلى الله عز وجل .. وقد فعلوا ذلك لأن التهجد فيه نفحات .

في التهجد نفحات ربانيـة :

من يحرم التهجد يحرم من خير كثير : يحرم من الرحمة ، وجزيل العطاء وغفران الذنوب ، وإجابة الدعوات ، والنصير وقت الملمات ، وما أحوج الداعية لكل هذا « وهو يمضي في ضروب أرض الله » ليعلي كلمة الله .

ودليل ذلك: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليـــل

(١) أخرجه البخاري في كتاب : العيدين « باب : ما يكره من التشديد في العبادة ٣/٢٧،٢٨ .

الآخير يقول: من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »[٢] وفى رواية عند مسلم « حتى ينفجر الفجر »[٢]. قال ابن حجر فى فوائد هذا الحديث (تفضيل صلاة آخر الليل على أوله ... وأن آخر الليـــل أفضل للدعاء والإستغفار ، يشهد له قوله تعالى « والمستغفرين بالأسحار »[٣] .

وأن الدعاء فى ذلك الوقت مجاب ، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين ، لأن سبب التخلف وقوع الخلل فى شرط من شروط الدعاء ، كالاحتراز فى المطعم والمشرب والملبس ، أو لاستعجال الداعى ، أو أن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله تعالى)[٤] إن من ألمت به الهموم وهجمت عليه المصائب وضاقت به السبل ، وعجزت عنه الأسباب « ووقف وحيداً فريداً أمام خصوم الدعوة الإسلامية » ولم يجد مخرجا ، فعليه أن ينهض فى دجى الليل ، وليخشع ويرفع أكف الضراعة يجد الله غفوراً رحيما ، يأخذ بيده ، ويقوى عزيمته ، إن الله تعالى الذى يخرج الفجر من الليل الدامس قادر على أن يمد عباده المسلمين بالقوة ويخرجهم من الهزيمة إلى النصر .. وذلك يتم بصلة العبد بخالقه وتوثيق هذه الصلة بكثرة النوافل وقيام الليل .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العيدين : باب الدعاء والصلاة آخر الليل ٣/٢٣،٢٤ ومعنى (ينزل ربنا) ينزل أمره « أو الملك بأمره فتح البارى ٣/٢٢ .

(٢) المرجع السابق ٣/٢٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧ .

(٤) فتح البارى ٣/٢٤،٢٥ .

جدد حياتك بقيام الليل :

إن الإنسان في مشوار حياته يجد المعاناة والكسل والتراخى فى مواجهة المشكلات ، ويصاب بأمراض نفسانية لعجزه عن المواجهة . مثل الهم والغم ، والقلق والإضطراب والتشاؤم .. والمخرج من هذا أن يوطد المسلم علاقته بربه عزوجل بشتى السبل . ومن هذه السبل قيام الليل فهو يعطيه القوة ، والنشاط والفطنة فى مواجهة الأحداث أولا بأول ، دون أن تتراكم عليه فيجدد حياته وهى مملوءة دائما بقوة دفع ربانية إلى الأمام .

يقول الرسول ﷺ « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »[1] فالحديث يرشدنا إلى علاج ناجح لكثير من الأمراض النفسانية والجسدية .

هل تقبل أن يبول الشيطان فى أذنيك ؟

لو قال رجل لآخر عند نومك سأتبول فى أذنك وفعلها ، فماذا أنت فاعل ؟ وبخاصة لو تكرر منه هذا ! ! إن الذى لا شك فيه أنك تثور وتغضب ستثأر لنفسك بشتى الأساليب . لكن ما الرأى إذا بال فى أذنيك أخس خلق الله ، الملعون فى القرآن والسنة ، والمطرود من رحمة الله تعالى ، إنه الشيطان ، ويقصد بذلك أن تكون خبيس النفس كسولا

---

(١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب العيدين ، باب :عقد الشيطان على قافية الرأس ٣/١٩، ٢٠ وكذا النسائى ٣/٢٠٣

فى كل ما وكل إليك من مهام ، ويبعدك عن ساحة الرحمن فتكون معه حيث هو — والعياذ بالله — ويصور هـذا المشهد المقزز ، وهو بول الشيطان فى أذن الإنسان للإحتراز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذ بأيدينا إلى فضل الله تعالى ، ويبعدنا عن المباول الشيطانية المزرية والمهلكة « فمن أبى وائل عن عبد الله رضى الله عنه قال: ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل ما زال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: بال الشيطان فى أذنه »[1] .

وفى رواية « بال فى أذنيه »[2] . وحول معنى بول الشيطان فى أذنى الإنسان قال ابن حجر (واختلف فى بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته « قال القرطبى وغيره : لا مانع من ذلك ، إذ لا إحالة فيه ، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح ، فلا مانع من أن يبول . وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصـلاة حتى لا يسمع الذكر ، وقيل معناه إن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر وقيل هو كناية عن إزدراء الشيطان به ، وقيل معناه إن الشيطان استولى عليه ، واستخف به حتى إتخذه كالكنيف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشىء أن يبول عليه ، وقيل هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم ، كمن وقع البول فى أذنه ، وأفسد حسه ... وقال الطيبى خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم فإن المسامع هى موارد الإنتباه ، وخص البول لأنه أسهل مدخلا فى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العيدين ، باب : إذا نام ولم يصل ... ، ٣/٢٢ .

(٢) أخرجها النسائى فى كتاب : قيام الليل ، باب : الترغيب فى قيام الليل ٣/٢٠٤ .

التجاويف، وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء)[1] وهكذا فالشيطان أساليبه ويجب مواجهته بوسائل شرعية، منها قيام الليل فهو سمة الأنبياء والصالحين وهو الموصل الممتاز لطريق التقوى والورع والقوة والعزيمة، وهو المعراج الذي يترقى به المسلم أعلى الدرجات عند خالقه.

وبهذا أخذ سعيد بن المسيب نفسه، فقد صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين عاماً، فكان يقضي ليله في طاعة خالقه ساجداً ذاكراً. لقد روى الرجل حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النوم قبل صلاة العشاء والحديث مكروه، «فعن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب كان يقول: يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»[2]. ونص الحديث في صحيح البخاري «فعن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»[3]. قال ابن حجر (... لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم إلى الصبح أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك، ويقول. أسمراً أول الليل ونوماً آخره)[4]. فكان سيدنا سعيد يدرك هذا ويقوم به خير قيام حتى لا يكون القول مخالفاً للفعل، وليضرب المثل أمام الدعاة إلى الله

---

(١) فتح الباري ٢٢/٣، وانظر شرح سنن النسائي للسيوطي ٢٠٥/٣.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب صلاة الليل، باب ما جاء في صلاة الليل ح ٩٤

(٣) أخرجه البخاري في كتاب. مواقيت الصلاة، باب: ما يكره من النوم قبل العشاء ٣٩/٢

(٤) فتح الباري ٥٨/٢

تعالى ، ورحم الله ابن الخطاب فكان يأخذ رعيته بما يصلح من شأنها . وماذا نقول الآن وكثير من الناس يقضون الليالى فيما لا طائل من ورائه بل فيما يضر ويفسد ، من الفتن والقتال ، والفسق والفجور ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقد كان سلفنا الصالح — كما قال أحد الصالحين — رهبان بالليل فرسان بالنهار ورحم الله سيدنا سعيد بن المسيب فهو القائل (ماأعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله تبارك وتعالى ، ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله عز وجل)[1] .

إن سيدنا سعيدبن المسيب — رحمه الله — مهد الطريق لنفسه فى طلبه العلم وأعد العدة ليكون أحد الرجال العلماء العاملين وتهيأ لذلك ، فأخذ بالأسباب الموصلة لهذا ، فأدى ماعليه من الفرائض ، وزاد عليها النوافل وخشع لله ، حتى امتلأ تقوى وورعا ، ليقينه أن العلم يطلب بهما ، والعلم نور ، ونور الله لايهدى للعصاة .. ومن ثم امتلأ الرجل علما ، وصار بحرا فى العـلوم والمعارف المتنوعة .. ويحار الباحث فى تصنيف هذا الرجل

فإن قلت إن سعيد بن المسيب من أهل الحديث والرواية ، فأنت على حق ، وإن قلت إنه من أهل التفسير وعلوم القرآن . فأنت محق .

وإن قلت إنه من أهل الفقه والفتيا . فأنت كذلك على حق . وإن قلت إنه أحد الدعاة البارزين إلى الله تعالى فمعك كل الحق . وإن قلت إن الرجل يضرب به المثل فى مواجهة الظلمة ، وقول الحق ، وتبليغ أحكام الله تعالى فأنت على الحق كل الحق .. فسعيد بن المسيب رجل فريد فى

---

(١) وفيات الأعيان لإبن خلكان ٢/٣٧٥ ، ٧٦

عصره ، ووحيد فى زمانه — وكان يجمع صفات — علماء أهل كل فن والذى لا شك فيه أن هذه العلوم لا غنى عنها لكل داعية إلى الله عز وجل ، ومن يقرأ فى كتب التفسير يجد سعيدا ، ومن يقرأ فى الفقه يجده ، ومن يقرأ فى الحديث يجده ، ومن يقرأ فى الدعوة يجده . ومن يقرأ فى الورع يجده ، ومن يقرأ فى الأدب والمواعظ والحلال والحرام يجده .

وبإلقاء الضوء على المعالم الأساسية لحياة سعيد العلمية والعملية تتضح منزلة الرجل ، ومكانته ، وجزيل عطائه ، وجهوده فى سبيل الاسلام .

المبحث الثالث

سيدنا سعيد بن المسيب محدثا :

إن سعيد بن المسيب هو الفارس الأوحد فى هذا المضمار من بين التابعين جميعا دون منازع، فهو النجم المتألق بينهم، وذلك لإهتمامه بالسنة واعتنائه بها ، وحرصه عليها ، وروايته لها ، وتبليغه إياها ، والعمل بها ...

ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى عدة موضوعات :

الموضوع الأول : أهمية السنة :

لإن كان القرآن الكريم هو وحى الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ ، وهو المعجزة الكبرى ، ودليل رسالته الخاتمة . وهو الدستور الربانى الذى يستهدى به ، وهو الذى أخرج العباد من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس ، وهو الهادى إلى سبل الحق والخير ، وهو الموصل لفوز الناس برضا رب العالمين فى دنياهم وآخرتهم ، لئن كان القرآن الكريم كذلك . فإن سنة رسول الله ﷺ شأنها مع القرآن شأن البيان مع المبين لا يسوغ فصلها عنه ، ولا فهم معانيه وتطبيقها فى واقع دنيا الناس دون الرجوع إليها . والتماس الشرح والتفصيل دونها ، فكلاهما لا يستقل عن الآخر ، ولا يكفى أحدهما عن الآخر ، مادامت السموات والأرض . فإذا كانت الحياة السوية لا تقوم إلا بالقرآن فإن الحياة السوية لا تقوم كذلك إلا بالسنة .

ولقد قال الأعداء بفصل القرآن عن السنة ، والإكتفاء بالقرآن عن السنة ، ولقد جاء الرد من الرسول ﷺ وحذر المسلمين منهم، والإحتراز

من أقوالهم على من الزمان فقال «ألا أنى أوتيت الكتاب ومايعدله ، يوشك شبعان على أريكته أن يقول : بينى وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنه ليس كذلك»(١) . وإذا كانت طاعة الله واجبة فى تطبيق أحكام القرآن ، فإن طاعة رسول الله ﷺ واجبة فى تطبيق سنته ، ولقد وردت فى القرآن آيات محكمة تؤكد وجوب الأخذ بالسنة منها :

قال تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا»(٢) ، ويقول تبارك وتعالى «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»(٣) .

ويقول جل ذكره «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»(٤).

ويقول تبارك وتعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب»(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه فى مقدمة سننه ٦/١ ، والترمذى فى كتاب العلم ، باب ما نهى عنه أن يقال ٣٧/٥ ، والحاكم فى المستدرك ١٠٩/١

(٢) سورة النساء الآية ٨٠

(٣) سورة الفتح الآية ١٠

(٤) سورة النساء الآية ٦٥

(٥) سورة الحشر الآية ٧

ويقول جل شأنه «إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون»(١).

وكذلك فى القرآن الكريم آيات محكمة تبين حكم المخالفين والمعرضين عن سنة رسول الله ﷺ منها :

قوله تبارك وتعالى «لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»(٢).

وقد جاءت السنة الشريفة ، وقد كان لها مع القرآن الكريم اتساق وبيان من ذلك :

— أنها تفصل ما أجمله القرآن ، ومثاله : الصلاة فالله تعالى قد أمرنا بالصلاة فى مثل قـــوله تعالى «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون»(٣) . فجاءت السنة تفصل القول والفعل فى أحكام الصلاة .

— وأنها تقيد ما أطلقه القرآن ، مثال ذلك ، ماجاء فى قوله تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»(٤) فهذا أمر مطلق ، فجاءت السنة فبينت المراد من اليد ، وأنها اليمنى ، كما بينت مقدار القطع ، وأنه من

---

(١) سورة النور الآيتان ٥١ ، ٥٢

(٢) سورة النور الآية ٦٣

(٣) سورة النور الآية ٥٦

(٤) سورة المائدة آية ٣٨

الكوع ، وقد كان محتملا أن يكون من المرفق ، وفى كم يقطع[1] إلخ.

— وأنها مخصصة لأمر عام جاء ذكره فى القرآن مثل قوله تعالى : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[2].

وقد أشفق الصحابة على أنفسهم من أن يكون المراد أى ظلم ولو كان صغيرا ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ، فأوضح الرسول ﷺ أن الظلم فى هذه الآية على عمومه ، والمراد به هنا الشرك[3].

— وقد تكون السنة لبيان حكم سكت عنـــه القرآن ، من ذلك الأحاديث الواردة فى شأن تحريم نكاح المتعة ، والحمر الأهلية[4] إلخ.

وعلى الجملة فإن السنة قد بين الله تعالى أهميتها فى قوله تعالى «وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيـه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»[5].

الموضوع الثانى : وجوب حفظ السنة :

وإذا كانت السنة لها رسالتها وأهميتها — هكذا — من هنا فقد وجب حفظها والعمل بموجبها .. وقد فيض الله تبارك وتعالى لها رجالا

---

(١) أنظر : فتح البارى لإبن حجر ٨٠/١٢

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٢

(٣) أنظر : فتح البارى لابن حجر ٧٣/١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٢/٢

(٤) أنظر : شذرات من علوم السنة د/ الأحمدى أبو النور ص ٢٢ ط وزارة الأوقاف .

(٥) سورة النحل الآيه ٦٤

بررة ، حملوا لواءها ، وناضلوا عنها ، وصاروا على منوالها وبلغوها للناس . . وقد دعا الرسول ﷺ لهم بكل خير لينهضوا لحمل الأمانة ، « فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع »[١].

« وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة الأمراء ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله أمره وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة »[٢] .

« وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : اللهم أرحم خلفائى ، قلنا : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون بعدى يروون أحاديثى ، ويعلمونها الناس »[٣] .

قال السيوطى عن شرف علم الحديث ورجاله (وكيف لاوهو الوصلة إلى رسول الله ﷺ ، والباحث عن تصحيح أقواله وأفعاله ، والذب عن أن ينسب إليه ما لم يقله ، وقيل فى تفسير قوله تعالى « يوم

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب : العلم ، باب : فضل نشر العلم ٣٢٢/٢ وابن ماجة فى المقدمة ، باب : من بلغ علماً ٨٥/١

(٢) رواه ابن ماجه فى الباب السابق ٨٤/١ ، وابن حبان ١٤٣/١ ، دار الكتب العلمية .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

ندعو كل أناس بإمامهم »[١] ليس لأهل الحديث منقبة أشرف من ذلك، لأنه لا إمام لهم غيره ﷺ ، ولأن سائر العلوم الشرعية محتاجه إليه ... وكأن تلقيب المحدث بأمير المؤمنين مأخوذ من هذا الحديث[٢] وقد لقب جماعة ، منهم سفيان ، وابن راهوية والبخارى وغيرهم)[٣] .

الموضوع الثالث : سيدنا سعيد وروايته للحديث :

أدرك سيدنا سعيد بنور بصيرته أهمية السنة . ووجوب حفظها ، وجزيل العطاء الربانى لحامليها ، وعاصر جلة صحابة رسول الله ﷺ ، وكان من بينهم من بشر بالجنة ، فلم يترك الفرصة تضيع ، بل انتهزها ، وشمر عن ساعد الجد ،وأعد نفسه وروضها على الإستقامة . وأخذ يتنقل على شيوخه الأجلاء ، يأخذ عنهم العلم ، وبخاصة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد (روى عن أبى هريرة فى الإيمان وغيره ،وأبيه المسيب بن حزن فى الإيمان والجهاد،وعن عبد الله بن زيد بن عاصم،وعثمان بن أبى العاص فى الصلاة ، وعبد الله بن عمر فى الجنائز . والأشربة ، وحكيم بن حزام فى الزكاة وعبد الله بن عمرو بن العاص فى الصوم ، وعائشة فى الحج والفضائل والإفك ، وعثمان بن عفان فى الحج ، وعلى بن أبى طالب فى الحج ، وسعد بن أبى وقاص فى النكاح والفضائل ، وأبى سعيد الخدرى فى البيوع ، ومعمر بن عبد الله فى البيوع ، وعبد الله بن عباس فى الهبة ، وأم سلمة فى الضحايا ، ومعاوية بن أبى سفيان فى اللباس ، وأم شريك

---

(١) سورة الإسراء آية ٧١
(٢) اللهم أرحم خلفائى
(٣) تدريب الراوى ١٢٥/٢ وما بعدها (بتصرف)

فى الحيوان ، وصفوان ابن أبى أمية فى خلق النبى ﷺ ، وأبى موسى الأشعرى فى الفضائل ...)[1] .

ويلاحظ فى النص السابق ما يلى :

(أ) روى سيدنا سعيد أحاديث كثيرة ، وفى موضوعات شتى .

(ب) روى عن أفذاذ الصحابة من الرجال .

(ح) أنه روى عن بعض أمهات المؤمنين ، وكذا نساء صحابيات .

(د) عده رجال كتب الحديث أنه من رجال الصحيح .

(ه) أن الذين روى عنهم هنا هم فى صحيح مسلم فقط .

واذكر هنا نماذج من الأحاديث التى رواها عن الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه ، واخترته بالذات لأنه كان زوج ابنته ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وهذه النماذج من صحيح مسلم فقط ، وإلا فإن سعيد له أحاديث صحيحه عن صحابة رسول الله ﷺ فى كل كتب السنة .

النماذج :

١ — « عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[2] .

وسبب ورود الحديث (أن النبى ﷺ أسر أبا غرة الشاعر يوم

---

(١) رجال صحيح مسلم ، للأصبهانى ، تحقيق عبد الله الليثى ، ١/٢٣٧ ، دار المعرفة

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب : الزهد ، باب فى أحاديث متفرقة ١٨ / ١٢٤

بدر ، فمن عليه ، وعاهده أن لا يحرض عليه ، ولا يهجوه والحقه، فلحق بقومه ، ثم رجع إلى التحريض والهجاء ، ثم أسره يوم أحد ، فسأله المن فقال ﷺ : المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين... ومعناه : المؤمن الممدوح وهو الكيس الحازم الذى لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى، ولا يفطن لذلك)[1] .

٢ — «وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[2] .

٣ — « وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خمس تجب للمسلم على أخيه : رد السلام ، وتشمت العاطس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز»[3] .

٤ — «وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت ، والحبة السوداء الشونيز »[4] .

٥ — « وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : بينا أنا نائم إذ رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر،

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم ١٢٥/١٨ (بتصرف)

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب : الغيبة ، باب : فضل من يملك نفسه عند الغضب ١٦٠/١٦

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب : السلام ، باب : حق المسلم للمسلم ١٤٣/١٤

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب : السلام، باب: لكل داء دواء ١٩١/١٤ ويطلق العطارون عندنا على الحبة السوداء : حبة البركة ، وهى معروفة عندهم جيدا

فقلت لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرة عمر، فوليت مدبرا ، قال أبو هريرة : فبكى عمر، ونحن جميعا فى ذلك المجلس مع رسول ﷺ ، ثم قال عمر: بأبى أنت يارسول الله أعليك أغار »[١] .

٦ — « وعن بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: لا تناجشوا ولا يبيع المرء على بيع أخيه ، ولا يبيع حاضر لباد ، ولا يخطب المرء على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق الأخرى لتكتفىء ما فى إنائها »[٢] .

٧ — «وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ، قال: ثم ماذا ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور »[٣] .

٨ — «وعن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب : فضائل الصحابة ، باب :من فضائل عمر ١٥/١٦٣ ، ٦٤

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب : النكاح، باب : تحريم الخطبة على أخيه ٩/١٩٨

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب : الإيمان ، باب : الإيمان بالله افضل الأعمال ٢/٧٢

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب : الحج ، باب : فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة ٤/١٦٣

الموضوع الرابع : سيدنا سعيد والمراسيل :

سبق القول أن سعيد بن المسيب روى أحاديث كثيرة متصلة عن كثير من صحابة رسول الله ﷺ ، ورَوتها كتب السنة فى موضوعات شتى ، ومما روته كتب السنة عن سيدنا سعيد كذلك أحاديث مرسلة كثيرة . وهذا الموضوع أذكره بإيجاز فى خمس نقاط :

النقطة الأولى : التعريف بالحديث المرسل :

المرسل فى اللغة : من الإرسال ، قال الراغب : وهو يقابل الإمساك ، وقال فى المصباح : وأرسلت الطائر من يدى إذا أطلقته ، وحديث مرسل : لم يتصل اسناده بصاحبه ، وأرسلت الكلام . أطلقته من غير تقييد[1] .

وقد اختلف العلماء المتخصصون فى حد المرسل فهو عند الفقهاء وأصحاب الأصول ، والخطيب البغدادى ، وجماعة من المحدثين : ما انقطع اسناده على أى وجه كان انقطاعه ، فهو عندهم بمعنى المنقطع . . وقال جماعة من المحدثين بأن المرسل لا يسمى مرسلا إلا ما أخبر فيه التابعى عن رسول الله ﷺ[2] .

وجاء فى تدريب الراوى (اتفق علماء الطوائف على أن قول التابعى الكبير قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله يسمى مرسلا ، فان انقطع قبل التابعى واحد أو اكثر ، قال الحاكم وغيره من المحدثين : لا يسمى مرسلا

---

(١) انظر : كتاب المراسيل لأبى داود ص ٢٥ ط مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٩ هـ

(٢) انظر : المقدمة فى شرح صحيح مسلم للنووى ٣٠/١ والحديث المنقطع هو : مالم يتصل سناده على أى وجه كان

بل يختص المرسل بالتابعى عن النبي ﷺ ، فإن سقط قبله فهو منقطع ، وإن اكثر فمعضل ومنقطع، والمشهور في الفقه والأصول أن الكل مرسل، وبه قطع الخطيب)[1] فأهل الحديث خصصوا وقيدوا ، وأهـــل الفقه والأصول عمموا .

وقال ابن الصلاح المرسل (ما سقط منه الصحابى، وأضافة التابعى إلى رسول الله ﷺ .. وصورته التى لا خلاف فيها حديث التابعى الكبير الذى لقى جماعة من الصحابة وجالسهم ... وقال : قال رسول الله ﷺ كذا أو فعل كذا أو أقر كذا ، أو كان يعمل كذا)[2] ،وعليه العمل عند المهتمين بهذا الشأن .

النقطة الثانية : الذين رووا و كتبوا الأحاديث المرسلة :

ذكر العلماء عددا من التابعين وتابع التابعين وغيرهم ممن رووا الأحاديث المرسلة و كتبوها ، فمثلا ذكر الإمام السيوطى فى كتابه جمع الجوامع تسعة عشر كتابا فى المراسيل وهى :

١ — مراسيل إبراهيم التيمى .

٢ — مراسيل السدى وإسماعيل عبد الرحمن .

٣ — مراسيل : حسن البصرى .

٤ — مراسيل : سعيد بن جبير .

٥ — مراسيل : سعيد بن المسيب .

٦ — مراسيل : طاووس .

٧ — مراسيل : الشعبى .

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ١ /١٩٥

(٢) المراسيل لأبى داود ص ٢٤

٨ - مراسيل : عطاء بن يسار .
٩ - « : عكرمة مولى ابن عباس .
١٠- « : على بن الحسن .
١١- « : قتادة .
١٢- « : مجاهد .
١٣- « : محمد بن سيرين .
١٤- « محمد بن كعب القرظى .
١٥- « محمد بن الحنفية .
١٦- « محمد بن شهاب الزهرى .
١٧- « : مكحول .
١٨- « أبى جعفر محمد بن على بن الحسين .
١٩- « عبد بن أبى مليكه .

ويضاف مراسيل الإمام أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس(١).

النقطة الثالثة : حكم الإحتجاج بالمراسيل :

ذكر العلماء أن الحديث المرسل حديث ضعيف ، ولا يحتج به ، وعلل ذلك السيوطى بقوله (للجهل بحال المحذوف ، لأنه يحتمل أن يكون غير صحابى ، وإذا كان كذلك فيحتمل أن يكون ضعيفا . وإن اتفق أن يكون المرسل - بضم الميم وكسر السين - لا يروى إلا عن ثقة فالتوثيق مع الإبهام غير كاف . . ولأنه إذا كان المجهول المسمى لا يقبل فالمجهول عينا وحالا أولى)(٢) .

---

(١) انظر: مقدمة مراسيل أبى داود
(٢) تدريب الراوى ١٩٨/١ .

وهذا الكلام عام ، وهناك تفصيل لهذا العموم ، فالمشهور عن مالك وأبي حنيفة ، وطائفة ، وأحمد في المشهور عنه أيضا ، أن الحديث المرسل صحيح ومقبول ويحتج به ، وعللوا هذا بناء على الظاهر من حال التابعي ، وحسن الظن به ، عندما يسند المروى إلى النبي ﷺ مباشرة ، أنه مايروى حديثه إلا عن ثقة ، ولا شك أنه ثقة ، وإنما حذف لسبب من الأسباب كما كان يروى ذلك الحديث عن جماعة من الصحابة ، فقد ذكر عن الحسن البصري أنه قال : إنما أطلقه إذا سمعته عن سبعين من الصحابة[1] ، وقيد ابن عبد البر صحة المرسل: (إذا لم يكن مرسله ممن لا يحترز ويرسل عن غير الثقات، فإن كان فلا خلاف في رده ، وقال غيره : محل قبوله عند الحنفية ما إذا كان مرسله من أهل القرون الثلاثة الفاضلة ، فإن كان في غيرها فلا ، لحديث « . . . ثم يفشوا الكذب » ، وقال ابن جرير : أجمع التابعون على قبول المرسل ، ولم يأت عنهم إنكاره ، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين. وقال بن عبد البر : كأنه يعني أن الشافعي أول من رده ، وبالغ بعضهم فقواه على المسند ، وقال : من أسند فقد أحالك ، ومن أرسل فقد تكفل لك)[2] ، وقيد الشافعي قبول الحديث المرسل بمرسل كبار التابعين .. وإذا سمي من أرسل عنه سمي ثقة .. وإذا شاركه الحفاظ المأمونون ولم يخالفوه .، وأن يوافق قول صحابي أو يفتي أكثر العلماء بمقتضاه ، فإن فقد شرط لم يقبل مرسله[3] .

والخلاصة في هذه النقطة : أن للعلماء آراء كثيرة في حكم الإحتجاج بالمرسل ، لخصها السيوطي في عشرة أقوال : حجة مطلقا ، لا يحتج به

---

(١) انظر المرجع السابق ١٦٨/١ ، ومقدمة مراسيل أبي داود ص ٢٦ .

(٢) تدريب الراوي ١٩٨/١ .

(٣) انظر المرجع السابق ١٩٨/١ .

به مطلقا ، ويحتج به إن أرسله أهل القرون الثلاثة ، يحتج به إن لم يرو إلا عن عدل ، يحتج به إن أرسله سعيد بن المسيب فقط ، يحتج به إن لم يكن فى الباب سواه ، هو أقوى من المسند ، يحتج به ندباً لا وجوباً ، يحتج به إن أرسله صحابى[١] .

النقطة الرابعة : مراسيل سعيد ومكانتها بين المراسيل الأخرى :

قال الحاكم (.. أكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عن سعيد بن المسيب ، ومن أهل مكة عن عطاء بن أبى رباح ، ومن أهل مصر عن سعيد ابن أبى هلال ، ومن أهل الشام عن مكحول الدمشقى ، ومن أهل البصرة عن الحسن ابن أبى الحسن ، ومن أهل الكوفة عن إبراهيم بن زيد النخعى .. وأصحها مراسيل سعيد بن المسيب)[٢] . وقال الإمام أحمد بن حنبل : مرسلات سعيد بن المسيب أصح المرسلات[٣] ، وقال يحى بن معين : أصح المراسيل مراسيل سعيد بن المسيب[٤] ، ورغم شروط الشافعى فى لحديث المرسل فإنه لا يحتج به إلا مراسيل سعيد بن المسيب وقال: إرسال ابن المسيب عندنا حسن ، وبهذا قال كل من الشيخ الشيرازى والخطيب البغدادى ، وقال البيهقى : أصح التابعين إرسالا سعيد بن المسيب وقال القفال: مرسل ابن المسيب حجة عندنا[٥] ، وقد سبق أن الإمام مالك وأبا حنيفه أخذا بمراسيل سعيد .

---

(١) انظر المرجع السابق ٢٠٢/١ ، كتاب مراسيل أبى داود ص٢٦ .

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابورى ص ٢٥ ، دار الكتب العلمية بالمدينة المنورة :

(٣) انظر : تدريب الراوى للسيوطى ٢٠٣/١ .

(٤) انظر : معرفة علوم الحديث للنيسابورى ص ٢٦ .

(٥) انظر : تدريب الراوى ١٩٩/١ ، ٢٠٠ .

وهذا شبه إجماع من العلماء على الأخذ بمراسيل سعيد بن المسيب . ولكن لماذا مراسيل سعيد بالذات كادوا أن يجمعوا على الأخذ بها ؟

النقطة الخامسة : لماذا مراسيل سعيد ؟ :

أرى لذلك عدة أسباب أذكرها فيما يلي :

١ — إن سعيد بن المسيب من كبار التابعين ، وقد عاصر الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وكثير منهم كان مشهوداً لهم بالجنة وأخذ الرجل عنهم سنة رسول ﷺ ، وفضلا عن ذلك فإن والد سعيد كان ممن شهد بيعة الرضوان — كما سبق — وجد سعيد كان هو الآخر صحابيا ، ووالدته كذلك ، ولكل هذا أثره فى تربية الرجل وسلوكه ، فلا يمكن أن يتجاوز الرجل أمراً من أمور الدين ، وبخاصة سنة رسول الله ﷺ .

٢ — إن الرجل له باع لا يبارى بين التابعين فى العبادة[1] والتقوى والاستقامة فيبعد جداً أن يذكر شيئا عن رسول الله ﷺ دون أن يكون حقيقة ثابتة .

٣ — وعلى هذا فقد قال الحاكم فى شأن سعيد بن المسيب (إنه فقيه أهل الحجاز ، ومفتيهم ، وأول الفقهاء السبعة ، الذين يعد مالك ابن أنس إجماعهم إجماع كافة الناس)[2] .

---

(١) سبقت الإشارة إلى شىء منها فى المبحث الثانى .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٢٤ ، ٢٥ ، الفقهاء السبعة من أهل المدينة هم : سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبى بكر وعروة بن الزبير وخارجه بن زيد بن ثابت وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وعبيدالله ابن عبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار انظر المرجع السابق ص ٤٣ .

٤ — وفضلا عن كل ماسبق فإن علماء الحديث قد تعقبوا مراسيل سعيد، وتأملوها، فوجدوها بأسانيد صحيحة. فاطمأنوا، وبها أخذوا وتوقفوا فى غيرها، والإمام الشافعى مع توقفه وشروطه المشددة فى الأخذ بالمراسيل، إلا أنه لم يتوقف فى الأخذ بمراسيل سعيد قال البلقينى (ذكر الماوردى .. أن الشافعى اختلف قوله فى مراسيل سعيد، فكان فى القديم يحتج بها بإنفرادها، لأنه لا يرسل — أى سعيد — حديثا إلا يوجد مسندا، ولأنه لا يروى إلا ماسمعه من جماعة أو من أكابر الصحابة أو عضده قولهم، أو رآه منتشرا عند الكافة، أو وافقه فعل أهل العصر وأيضا فإن مراسيل سعيد سبرت فكانت مأخوذة عن أبى هريرة، لما بينهما من الوصلة والصهارة، فصار إرساله كإسناده عنه)[1].

وإذا كان هذا فى القديم عند الشافعى، فهذا أيضا عنده فى الجديد، لأن شروطه متوفرة فى مراسيل سعيد، ومثال ذلك ماذكره السيوطى فقال (وأصل ذلك أن الشافعى قال فى مختصر المزنى: أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع اللحم بالحيوان، وعن ابن عباس أن جزورا نحرت على عهد أبى بكر الصديق فجاء رجل بعناق فقال «أعطونى بهذه العناق، فقال أبو بكر: لا يصلح هذا، قال الشافعى: وكان القاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن يحرمون بيع اللحم بالحيوان، قال: وبهذا نأخذ، ولا نعلم أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ خالف أبا بكر، وإرسال ابن المسيب عندنا حسن)[2].

---

(١) تدريب الراوى ٢٠٠/١، ٢٠١، والسبر: استخراج كنة الأمر، واختبار غوره، انظر: لسان العرب ١٩١٩/٣

(٢) تدريب الراوى ١٩٩/١، والجزور بفتح الجيم: الناقة المجزورة والجمع جزائر وجزر، لسان العرب ٦١٤/١ والعناق بفتح العين: أنثى المعز .. لم تتم سنة، لسان العرب ٣١٣٥/٤

• — إن أعظم مايناله العالم أو الطالب — بعد رضا الله تعالى — ثناء أساتذته وشيوخه ورضاهم عليه من حيث علمه وورعه وأدبه ودقته وضبطه ، ولقد حظى سيدنا سعيد بهذه المكانة عند شيوخه ، وكذا تلاميذه ، قال ابن خلكان (قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لرجل سأله عن مسألة: إيت ذاك — يعنى سعيد بن المسيب — فسله ، ثم ارجع إلىّ فأخبرنى ، ففعل ذلك وأخبره ، فقال عبدالله بن عمر : ألم أخبركم أنه أحد العلماء ، وقال أيضا عن سعيد : لو رأى هـذا رسول الله ﷺ لسره)[1] ، وعبد الله بن عمر صحابى جليل القدر ، رفيع المنزلة ، ومنحه هـذه الشهادة لسعيد بين مشاهير الصحابة والتابعين ، لها وزنها ، وقدرها الممتاز ، وهى تؤكد منزلة سعيد بين هؤلاء النخبة الممتازة ، ومع هذا فهى تفيد اطمئنان ومتابعة الأستاذ[2] لتلميذه ، وإلى أين هو يسير ..

وإذا كان هـذا الوسام الرفيع منعبد الله بن عمر لسعيد كاف لبيان قدر الرجل ، وسيرته العطرة[3]، وقدمه الراسخة فى العلم، فإن كتب التراجم والسير قد سجلت شهادات أخرى من أفذاذ الرجال لسعيد ، فعندما سئل الزهرى ومكحول — ومن هما فى العلم والورع — من أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيب[4] .

وقد جاءت أقوال العلماء — على مر الزمان — متتابعة فى الثناء على سيدنا سعيد بن المسيب ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما ذات مرة :

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٧٥

(٢) سبق أن ابن عمر أحد شيوخ سعيد .

(٣) سيأتى توضيح ذلك .

(٤) أنظر : وفيات الأعيان ٢/٣٧٥

سعيد بن المسيب أحد المتقنين ، وقال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب ، وكان يقال له : فقيه الفقهاء ، وقال مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه .. وقال أحمد بن حنبل: سعيد ابن المسيب أفضل التابعين ، وقال على بن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علما من سعيد بن المسيب ، وإذا قال سعيد : مضت السنة فحسبك به ، وهو عندى أجل التابعين . وقال أحمد بن عبد الله العجيلى : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، وكان لا يأخذ العطاء ، وقال أبو زرعة : كان سعيد مدنيا ثقة إماما ، وقال أبو حاتم : ليس فى التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم(٥) . وقال ابن سعد .

(كان سعيد بن المسيب يفتى وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء ، وقال محمد بن يحيى بن حبان ، كان رأس من بالمدينة فى دهره ، والمقدم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيب ، ويقال فقيه الفقهاء .. وقال مكحول : سعيد بن المسيب عالم العلماء)(٣) .

وقال الأصبهانى (كان سعيد بن المسيب من جملة فقهاء التابعين ، ونساكهم ، وخيارهم ، وأعلم من بقى منهم بقضاء رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما)(٢).

وسئل الأمام احمد ذات مرة عن سعيد فقال : ومن مثل سعيد إنه

---

(١) أنظر : البداية والنهاية لابن كثير ٥ / ١٣٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٧٥/٤، ٧٦

(٢) أنظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٩/٢ ، دار صادر.

(٣) رجال صحيح مسلم ٢٢٧/١

ثقة من أهل الخير .. وهو عندنا حجة[١]، وقال الذهبي : هو الإمام الشيخ ، فقيه المدينة .. وكان واسع العلم ، وافر الحرمه ، متين الديانة، قوالا بالحق ، فقيه النفس[٢] ، أعتقد أن القارىء الكريم تأكد له واطمأن لماذا أخذ العلماء بمراسيل سعيد بن المسيب، واتفقوا عليها دون غيرها .. ومن هذا ندرك جهود سعيد بن المسيب رضى الله عنه فى روايته ونشره لسنة الرسول ﷺ ، وسيرة أصحابه الأجلاء ، وهذا لاغنى عنه للداعية .

(١) أنظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٧٦/٤ ، دار الفكر ط أولى ١٤٠٤ هـ .

(٢) أنظر : تذكرة الحفاظ للذهبى ٥٤/١ ، دار أحياء التراث العربى

المبحث الرابع

سيدنا سعيد مفسرا

إذا كان سعيد بن المسيب قد خدم سنة رسول الله ﷺ ، فإنه رضى الله عنه قد خدم كلام رب العالمين لحفظه ، وعلمه للناس ، وفسر معانيه ، وتلق علماء التفسير أقواله بالقبول والرضا ، وصارت حجة عندهم ، وأتناول هذا المبحث فى عدة موضوعات .

الموضوع الأول : فضل تعلم القرآن وتعليمه :

لقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحث على قراءة القرآن وتعليمه ، وتبين فضائل من قام بهذا ، وعمل به ، وفى السنة المطهرة كذلك أذكر بعضا منها .

آيات قرآنية :

١ — يقول تبارك وتعالى « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور »[١] .

٢ — ويقول جل ذكره « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا »[٢] .

---

(١) سورة فاطر : الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) أوائل سورة المزمل .

٣ — ويقول جل شأنه « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » الآية[1] .

٤ — ويقول عز من قائل« إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »[2] .

٥ — ويقول تبارك وتعالى « الرحمن علم القرآن »[3].

وإذا كانت بعض الآيات تتوجه بأمر التلاوة لرسول الله ﷺ فإن الأمة تندرج تحته ، والآيات فى هذا الشأن كثيرة .

أحاديث نبوية :

١ — « عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا حسد إلا فى إثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار »[4] .

٢ — « وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[5] .

٣ — « وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : مثل

---

(١) سوره المزمل آية ٢٠ (٢) أوائل سورة العلق .
(٣) أوائل سورة الرحمن .
(٤) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب : قول النبى : رجل آتاه الله القرآن ٤٣٠/١٣
(٥) أخرجه مسلم فى كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضيلة حافظ القرآن ٨٣/٦ ، ٨٤

المؤمن الذى يقرأ القرآن مَثل الأترُجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »[1].

٤ — « وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان ، قلنا : نعم ، قال : فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان »[2] .

٥ — « وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن فى الصفة فقال : أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطع رحم ، فقلنا يا رسول الله نحب ذلك ، قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل »[3] .

٦ — « وعن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : إقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا

---

(١) أخرجه مسلم فى الكتاب والباب السابقين ٨٤/٦

(٢)،(٣) أخرجهما مسلم فى الكتاب السابق ، باب: فضل قراءة القرآن ٨٩/٦ ، ومعنى : خلفات بفتح الخاء وكسر اللام : الحوامل من الإبل إلى أن يمضى عليها نصف أمدها واحدة خلفة ، وبطحان بضم الباء وإسكان الطاء موضع بقرب المدينة والكوماوين الإبل بفتح الكاف : العظيمة السنام .

سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة »[١] .

٧ — « وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفي رواية : أفضلكم »[٢].

٨ — « وعن البراء قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة »[٣].

٩ — « وعن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت فسكت وسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ ، فقال : إقرأ ابن حضير ، إقرأ ابن حضير ، قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريبا ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : وتدري ماذا ، قال : لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى منهم »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في الكتاب السابق ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٦/٩٠ ، ومعاوية أحد رواه الحديث .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٩/٦١

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل سورة الكهف ٩/٤٧ (٤) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : نزول السكينة والملائكة ٩/٥٢ ، ٥٣

١٠ — « وقال رسول الله ﷺ : من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا فما ظنكم بالذى عمل بهذا »[1] .

١١ — « وعن طلحة [2] قال : سألت عبد الله بن أبى أوفى : أوصى النبى ﷺ ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف كتب على الناس الوصية ؟ أمروا بها ولم يوص : قال . أوصى بكتاب الله »[3] .

قال ابن حجر (المراد بالوصية بكتاب الله حفظه حسا ومعنا فيكرم ويصان ولا يسافر به إلى أرض العدو ، ويتبع ما فيه ، فيعمل بأوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويداوم تلاوته ، وتعلمه وتعليمه ، ونحو ذلك)[4] .

١٢ — « وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت

---

(١) أخرجه أبو داود فى الصلاة ، باب : ثواب قراءة القرآن ١٤٧/٢ دار الحديث ، سوريا .

(٢) طلحة هو . ابن مصرف .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب : فضائل القرآن ، باب : الوصاه بكتاب الله عز وجل ٤٦/٩

(٤) فتح البارى ٥٦/٩

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه [١] .

١٣ — « وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » [٢] .

ومن هذه الأحاديث يظهر لنا :

أن صاحب القرآن يغبطه الناس لما معه من أجل وأعظم شيء فى دنيا الناس وأن الملائكة الكرام البررة يتشرف بمصاحبتهم ، ومثل الأترجة من حيث المنافع ، والريح الطيب ، وجمال وحلاوة الطعم ، وبيته دائما بيتا مباركا ، وأخذه بركة ، وحماية له من الوساوس والشياطين والسحرة وكل الأمراض النفسانية والجسدية ، وهـــو خير الناس وأفضلهم على الإطلاق، وتتنزل عليه السكينة والطمأنينة ، وهدوء وراحة البال ،وفضلا عن هذا فإن لوالديه التاج الاكبر يوم القيامة لأنهما وهبا ولدهما ليكون من أهل القرآن ، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وماذا بعد أن يذكره رب الملك والملكوت فى الملأ الأعلى ويبـــاهى به ملائكته ، وإذا كان القرآن يشفع لصاحبه ، فإن فضل القرآن عليه يمتد لأقربائه فيشفع لهم .. فاللهم اجعلنا من أهل القرآن ، ورحم الله سيدنا سعيد بن المسيب فكان الرجل من أهل القرآن . ومن هنا وجب تعلم القرآن وتعليمه ...

---

(١) أخرجه مسلم فى الذكر والدعاء .. باب : فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢١/١٧ ، ٢٢

(٢) انظر : الترغيب والترهيب المنذرى ٢/ ٢٤٩ وعزاه إلى ابن ماجه والترمذى .

وداعية بدون قرآن داعية مفلس ، ليس معه زاد ، وما أعد عدته ، وذهب إلى الساحة خاوى الوفاض ، لا يسمع منه ولا يؤخذ عنه ، ولا قيمة لدعوته ، ولا يمكن أن يكون لكلامه أدنى تأثير ، وعليه فورا أن يترك الحلبة لرجالها .

هذا ولتعلم القرآن وتعليمه آدابا ينبغى مراعاتها لأخذ الثمرات .

الموضوع الثانى : آداب تلاوة القرآن الكريم .

توجد آداب متنوعة ينبغى الأخذ بها لقارىء القرآن الكريم أذكر منها :

١ — يستحب الوضوء لقراءة القرآن ، لأنه أفضل الأذكار .

٢ — ويستحب أن يجلس مستقبلا القبلة متخشعا بسكينة ووقار ..

٣ — ويسن أن يستاك تعظيما وتطهيرا .

٤ — ويسن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة ، قال تعالى « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[1] .

٥ — وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة سوى براءة .

٦ — ويسن للقارىء للقرآن الكريم الترتيل ، قال تعالى « ورتل القرآن ترتيلا »[2] قال ابن حجر (أى تبين فى القراءة حروفها ، والتأنى فى آدائها ، ليكون أدعى إلى فهم معانيها - والآية - كأنه يشير إلى ماورد عن السلف فى تفسيرها . . قراءة بعضها أثر بعض على تؤدة ، وقال قتادة

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨

(٢) سورة المزمل آية ٤

بينه بياناً والأمر بذلك إن لم يكن للوجوب مستحباً)[١] ، ويكره أن يهذه كهذ الشعر[٢] ، وعن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : كانت مداً ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ، ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم »[٣] .

٧ — ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ، ولقد كان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه صوته جميلا ، وجمله وزينه بالقرآن ، حتى قال — صلى الله عليه وسلم — « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »[٤] .

وقال ﷺ « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »[٥] .

٨ — ويستحب البكاء عند قراءة القرآن ، أو التباكى لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع .

قال تعالى : « ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »[٦] .

قال النووى (وطريقه فى تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد،

---

(١) فتح البارى ٩٢/٩

(٢) انظر المرجع السابق ٩٢/٩

(٣) ، (٤) أخرجهما البخارى فى كتاب : فضائل القرآن ٩/ ٧٤ ، ٧٦ .

(٥) أخرجه مسلم عن أبى هريرة فى باب : استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٧٩/٦

(٦) سورة الإسراء الآية ١٠٩

والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يفكر فى تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب »[1] .

٩ — ويساعد على ذلك القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير فى ما معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهى ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ أو تنزيه نزه وعظم ، أو دعاء تضرع وطلب .

ولقد جاء فى صحيح مسلم « عن حذيفة قال: صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى فقلت: يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ .. »[2] الحديث .

١٠ — ويكره للقارىء للقرآن الكريم قطع القراءة لمكالمة أحد ... ويكره أيضاً الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى .

١١ — ويسن استذكار القرآن وتعاهده ، قال ابن حجر (فإن الذى يداوم على ذلك يذل له لسانه ، ويسهل عليه قراءته ، فإذا هجره ثقلت

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/١٤١ ، ط الحلبى .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٦/٦١،٦٢

عليه القراءة وشقت عليه)[١] . ولقد قال رسول الله ﷺ «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت»[٢] . وقال ﷺ «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسّي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم»[٣] .

وهنا سؤال ، في كم يقرأ القرآن . ويختمه ؟ جاء في صحيح البخاري : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «إقرأ القرآن في شهر ، قلت : إني أجد قوة . قال : فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك»[٤] . وفي بعض الروايات ثلاث وأكثر من سبع لكن أكثر الروايات على سبع .

وقال النووي (والإختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص فمن كان من أهل الفهم ، وتدقيق الفكر استحب له يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني ، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لايخل بما هو فيه ، ومن لم يكن كذلك ، فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل . ولا يقرؤه هذرمه)[٥] . والمهم هنا

---

(١) فتح الباري ٦٥/٩

(٢ ، ٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده عن عبد الله بن عمر ٦٥/٩ ، والحديث رقم (٣) عن عبد الله ابن مسعود .

(٤) أخرجه البخاري في الكتاب السابق ، باب . في كم يقرأ القرآن ٨٠/٩

(٥) فتح الباري لابن حجر ٧٩/٩ ، وانظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٢٨/١

ألا يهجر القرآن بحال . ولقد قال رسول الله ﷺ فى شأن الأعمال المقربة إلى الله تعالى « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل ، قال[١] وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته »[٢] .

١٣ — ويسن السجود لمن قرأ أو سمع آية سجدة ، اقتداء برسول الله ﷺ ، وفى الوقت ذاته لإرغام أنف الشيطان ، فإنه قد دعى إلى السجود فأبى « فعن أبى هريرة قال . قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار »[٣] .

١٤ — ولا ينبغى التأكل بالقرآن الكريم ، وقد جاء فى السنة مايؤثم هذا « فعن عمران بن حصين أنه مر على قارىء يقرأ ثم سأل ، فاسترجع ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيجىء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس »[٤] .

---

(١) القاسم بن محمد أحد رواة الحديث .

(٢) أخرجه مسلم فى باب: فضيلة العمل الدائم ٧٢/٦

(٣) أخرجة مسلم فى الإيمان . باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ٨٧/١

(٤) أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن ، باب رقم ١٧٩/٥،٢٠ ، ومعنى استرجع أى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، استنكاراً على الذى يسأل الناس بالقرآن .

الموضوع الثالث : شروط المفسر :

ذهب العلماء إلى أن هناك قواعد وشروطا يجب توفرها لمن يتصدى للتفسير أذكر جملة منها : —

١ — صحة الاعتقاد ، ونبل القصد ، وألا يكون مغموصاً عليه في دينه ، ملتزما بطريقة السلف الصالح ، والعلماء الأجلاء .

٢ — وإذا تقدم للتفسير فعليه أن يطلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه فى مكان .

فقد يكون مفسرا فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد يبسط فى موضع آخر منه [١] . فإن أعياه ذلك طلبه من السنة الشريفة فإنها شارحة للقرآن ، موضحة له ، وقد أفردت كتب السنة كتباً وأبواباً عن تفسير الرسول ﷺ [٢] . فان لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة ، رضوان الله عليهم ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح . فاذا لم يجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجد عند الصحابة ، فكثير من الأئمة والعلماء رجعوا إلى أقوال التابعين [٣] ، وإلا توقف حتى تتحقق فيه الشروط الآتية :

٣ — أن يكون عالماً بلغة العرب ، لأنه بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب . وقال

---

(١) انظر : الإتقان فى علوم القرآن ٢٤/٢

(٢) انظر : صحيح البخارى الجزء الثامن . وصحيح مسلم — الجزء الثامن عشر .

(٣) انظر مقدمة تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١ وما بعدها ، والبرهان للسيوطى ٢٢٥/٢

الإمام مالك: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا[1]

٤ — أن يكون عالما بقـــواعد النحو، لأن المعنى يتغير باختلاف الإعراب، وكذا قواعد الصرف لأن به تعرف الأبنية والصيغ[2] .

٥ — أن يدرك الاشتقاق، لأن الإسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما .

٦ — أن يكون عالماً بعلوم البلاغة وهي علم المعاني ويعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان وبه يعرف خواص المعاني من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع وبه يعرف وجوه تحسين الكلام .

٧ — أن يكون عالماً بعلم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن . وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

٨ — أن يكون عالماً بأصول الدين بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

٩ — أن يكون عالماً بأصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

١٠ — أن يكون عالماً بأسباب النزول، إذ بسببه يعرف الآية المنزلة بحسب ما أنزلت فيه .

١١ — أن يكون عالماً بالناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

١٢ — أن يكون فقيهاً، ليدرك الأحكام المتعلقة بنفسه وغيره، ويدرك الفروع الفقهية .

١٣ — أن يكون ملماً إلماماً كبيراً بأحاديث رسول الله ﷺ، وذلك لتفسير المجمل والمبهم .

---

(١)، (٢) انظر: المرجع السابق ٢/٢٣١

١٤ — أن يكون موهوباً ، والهبة علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم[١] .

ومن أجل هذا كان الصحابةوالتابعون يتوقفون عن التفسير ما لم يكن لديهم علم ، مع أنهم كان عندهم علوم العربية بالسليقة لا بالإكتساب . وإستفادوا العلوم الأخرى من رسول الله ﷺ .

ولقدكان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب — ومن هما فى العلم والورع — يهابان القول بالتفسير مالم يكن عندهم علم ، قال أبو بكر الصديق (أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب مالا أعلم)[٢] وقال عمر نحوهذا وكذلك ابن عباس رضى الله عنهما كان يتوقف إذا لم يعلم[٣] .

وليس معنى هذا أن يتوقف العلماء عن التفسير فإن من علم علما ولم يقل به وينشره بين الناس . فانه يأثم لهذا ، ولكن المقصود هو أن لا يقول قولا فى معانى القرآن دون علم ودراية بقواعد وشروط التفسير .

وأود أن أشير هنا إلى أهمية التفسير للداعية ، وإطلاعه على كتب التفسير وإدامة النظر فيها ، والعمل على نشر معانى الآيات القرآنية بين الناس . وهذا ولا شك دعوة إلى الله تعالى .

وبماذا تكون الدعوة . وما هى أسس الداعية إذا لم يوضح ويبين للمدعوين معانى القرآن الكريم .

---

(١) أنظر : هذه الشروط بالتفصيل فى : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/٣٣٢ ـ ٢٢ .

(٢) ، (٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥

ومن نافلة القول أن نقول إن معنى التفسير هو البيان جاء فى لسان العرب : الفسر : البيان ، وهو كشف المغطى ، والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل ، والتأويل : رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[١] وقال ابن حجر والتفسير تفعيل من الفسر وهو البيان ، تقول فسرت الشيء تفسيراً إذا بينته... ومنه أسفر الصبح إذا أضاء[٢] .

الموضوع الرابع : سيدنا سعيد والتفسير :

حفظ سيدنا سعيد القرآن الكريم ، وأعتنى الرجل به بعد أن تحققت فيه كل قواعد وشروط التفسير بالسليقة من ناحية ومن تعلمه وتلقيه من أصحاب رسول الله ﷺ ، أعتنى الرجل بأحكام القرآن، وتفسير معانيه وتوضيحها لتلاميذه ، وتمكن فى هذا حتى عده علماء التفسير فى تفاسيرهم ، وأخذوا منه الكثير ، قال ابن كثير (كان سفيان الثورى يقول : إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء ابن أبى رباح والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبى العالية والربيـع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم من بعدهم)[٣] .

ومع هذا فقد كان سعيد بن المسيب لا يقول فى القرآن برأيه ، وإذا لم يعلم معنى توقف الرجل ، قال يحيى بن سعيد أنه — سعيد بن المسيب — كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن ، وعن يزيد بن أبى يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، وإذا

---

(١) أنظر : لسان العرب لابن منظور ٣٤١٢/٥

(٢) أنظر : فتح البارى ١٢٦/٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/١

سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع ، وعن يحى بن سعيد قال : سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا أقول فى القرآن شيأ [١] .

نماذج من تفسير سيدنا سعيد :

وقبل ذكر أمثلة لأقوال سعيد المذكورة فى كتب التفاسير أود الإشارة إلى عدة ملاحظات :

الملاحظة الأولى : أن سعيد بن المسيب أكثر تفسيره كان بالمأثور عن رسول الله ﷺ إن وجده ، وإلا كان بالمأثور عن صحابته الأبرار، وأكثره كان مرسلا... وقد نقل علماء التفسير الكثير جداً من هذا فى تفاسيرهم ، وهو سهل المنال لمن طلبه .

الثانية : عندما يقول علماء التفسير فى تفاسيرهم ، هذا قول السلف ، أو ما جاء عن السلف ، أو ما ذهب إليه السلف ، فإن سعيد يدخل معهم ولا شك ، وكذا لو قالوا : هذا ما قال به علماء المدينة ، أو فقهاؤها ، أو الفقهاء السبعة .

الثالثة : أننى لم أتخير النماذج التى سأذكرها ، بل جاءت عرضا ، فما قابلنى سجلت بعضه وذكرته .

الرابعة : أننى لم اتنقل فى جميع كتب التفاسير ، فهذا صعب المنال ، ولكن ما تيسر لى من كتب التفاسير وبخاصة تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

---

(١) أنظر : جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى ١/٣٧ ، ٣٨ ط ١٣٨٨هـ ، البابى الحلبى

النموذج الأول :

يقول الله تبارك وتعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين »[١].

وقد ذكر ابن كثير أقوالا مسندة إلى أصحابها عن معنى قوله تعالى فى الآية « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » وذكر روايات متعددة عن ابن عباس منها (ابتلاه بالطهارة : خمس فى الرأس ، وخمس فى الجسد ، فى الرأس : قص الشارب والمضمضة والإستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وفى الجسد : تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء . قال ابن أبى حاتم ، وروى عن سعيد بن المسيب ومجاهد والشعبى والنخعى وأبى صالح وأبى الجلد نحو ذلك)[٢] .

وقد ذكر الإمام مالك فى الموطأ أثرا عن سعيد بن المسيب ذكر فيه أوليات لسيدنا إبراهيم لم يسبقه إليها أحد فقال « ... عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : كان إبراهيم ﷺ أول الناس ضيف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قص الشارب وأول الناس رأى الشيب ، فقال : يا رب ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : وقار يا إبراهيم ، فقال : رب زدنى وقارا »[٣] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٤

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/١٦٥ ، وأنظر : تفسير القرآن الكريم للقرطبي ١/٣٠٥

(٣) أخرجه فى كتاب : صفة النبى ﷺ ، باب : ما جاء فى السنة من الفطرة ص٥٧٣ وقد ذكر ابن كثير أوليات كثيرة لسيدنا إبراهيم فقال: =

وقريب من هذا ما جاء فى صحيح مسلم « فعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قال رسول الله ﷺ : عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء — قال مصعب — أحد رواة الحديث — ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة »[1] .

وقد روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة حديثا فى هـذا « أن النبى ﷺ قال: الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان والإستحداد وتقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب »[2] . والمقصود هنا أن سعيد بن المسيب قد اعتمد فيما قاله حول الكلمات التى ابتلى بها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام على قول رسول الله ﷺ ، وكذا قول ابن عباس . وقد أدلى بدلوه فى معناها .

النموذج لثانى :

قال الله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم »[3] . وقد ذكر المفسرون مسألة فى هذه

= أول من خطب على المنابر وأول من بر البريد وأول من ضرب بالسيف وأول من استاك وأول من استنجى بالماء وأول من لبس السراويل . تفسيره ١/١٦٦ .

(٢،١) أخرجها مسلم فى كتاب : الطهارة باب : خصال الفطرة ٣/١٤٦، ١٤٧ والبراجم جمع برجمة — بضم الباء والجيم — عقد الأصابع ومفاصلها كلها ، انظر : شرح النووى لصحيح مسلم ٣/١٥٠

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٨

الآية قال ابن كثير (ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة[١] ، وإليه ذهب الثورى وابن أبى داود ، وهو مروى عن على وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعى وقتادة والحكم ، قال البخارى وعلى بن المدينى والنخعى والثورى فى رواية عنه . ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة «من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه»)[٢] . وذكر ابن كثير أن الجمهور خالفهم فى هذا[٣] وذكر ذلك أيضا ابن حجر[٤] ، فلا يقتل السيد بعبده ،

النموذج الثالث :

يقول الله تبارك وتعالى «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»[٥] ، وهذه الآية تؤكد قمة السمو الإسلامى فى الطهر والعافية ، لأن جماع الرجل زوجته وهى متلبسة بالحيض من أضر الأشياء على الزوج والزوجة معاً ، وقد جاء فى سبب نزول هذه الآية «عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعهن فى البيوت ، فسأل أصحاب النبى ﷺ ، فأنزل الله تعالى «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى» الآية ، فقال رسول الله ﷺ : اصنعوا كل شىء إلا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن

---

(١) رقم ٤٥
(٢) تفسير القرآن العظيم ١٦٦/١ .
(٣) انظر : المرجع السابق ١٦٦/١ .
(٤) انظر : فتح البارى ١٦٧/١٢
(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٢

حضير وعباد بن بشر فقالا : يارسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن ، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه وجد عليهما ، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ : فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما»[1] والحديث أصل عظيم فى مخالفة اليهود وغيرهم فى التشريعات وغيرها ، ويؤكد استقلال المسلمين فى كل شئون حياتهم ، ويبين إنحراف اليهود فى تعاملهم مع المرأة ويبين مدى حنق أعداء الإسلام على المسلمين وشريعتهم ، ويوضح كذلك مدى تلطف الداعية مع المدعوين مع التمسك بالمبادىء . ومع بيان الحديث لكل هذا فإنه وضح للمسلم كيف يتعامل مع زوجته فى أثناء تلبسها بدم الحيض ، وهو أن يفعل معها كل شىء إلا الجماع ، وقد جاء حديث يوضح ذلك « فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت أحـــدنا إذا حاضت أمرها رسول الله ﷺ فتأتزر بإزار ثم يباشرها »[2] ، وجاء كذلك « عن ميمونة قالت : كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض »[3] .

وجاء عند النسائى حديثا يوضح هذا أكثر ، وفيه تكريم لإنسانية المرأة ، ورد على اليهود وخلافهم ، « فعن شريح عن عائشة رضى الله عنها سألتها ، هل تأكل المرأة مع زوجها وهى طامث ؟ قالت: نعم ، كان رسول الله ﷺ يدعونى فآكل معه وأنا عارك ، وكان يأخذ العرق فيقسم على فيه فاعترق منه ثم أضعه ، فيأخذه فيعترق منه ويضع فمه حيث وضعت فمى من العرق ويدعو بالشراب فيقسم على فيه قبل أن يشرب منه

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب : الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ٢١١/٣٠٠٠ ووجد : غضب

(٣٠٢) أخرجها مسلم فى كتاب : الحيض ، باب : مباشرة الحائض فوق الإزار ٢٠٣/٣ .

فآخذه فأشرب منه ثم أضعه فيأخذه فيشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح »[١] .

ولقد كان سعيد بن المسيب يرى أن التعفف من مباشرة المرأة وهي حائض فوق الإزار أفضل وأورع وأحرز لأن الناس لا يملكون أنفسهم مثل رسول الله ﷺ ، واستقى هذا أيضا ما جاء في صحيح مسلم « عن عائشة قالت : كان إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله ﷺ أن تأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها ، قالت : وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه »[٢] . والذي قال به سعيد من أن التعفف أفضل أخذه كذلك من حديث صريح « فعن معاذ ابن جبل قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ قال: ما فوق الإزار والتعفف أفضل »[٣] .

وقد ذكر ابن كثير عدداً من الصحابة والتابعين قالوا بهذا الرأي — التعفف أفضل — مع تعليل ذلك ، فذكر منهم عائشة وابن عباس وشريح ، وهو رواية عن الشافعي ، ورجحه كثير من العراقيين ، حتى لا يتوصل به إلى حرام أجمع العلماء على تحريمه ، وهو جماع المرأة وهي حائض[٤] .

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب : الحيض والإستحاضة ، باب: مؤاكلة الحائض ١ /١٤٨ .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الحيض ، باب مباشرة الحائض فوق الإزار ١٠٣/٣ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ، باب في المذي ١٤٦/١ ط أولى نشر وتوزيع محمد علي السيد .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٥٩/١

النموذج الرابع :

يقول جل ذكره «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[١] أجمع العلماء على حرمة إتيان الرجل زوجته فى دبرها ، وشددوا فى ذلك تشديدا عظيما لمن أتى بهذا المنكر ، وقد وردت أحاديث نبوية فى هذا ، «عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لاينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها»[٢] .

وجاء رجل إلى ابن عباس وقال : كنت آتى أهلى فى دبرها، وسمعت قول الله «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» فظننت أن ذلك لى حلال فقال: يالكع .. قائمة وقاعدة ومقبلة ومدبرة فى أقبالهن لاتعدو ذلك إلى غيره[٣] .

وقد تشدد بعضهم فى النكير على من فعل ذلك ونسبه إلى الكفر ، وقال أبو الدرداء : وهل يفعل ذلك إلا كافر ؟[٤]، وعن سعيد بن يسار قال : قلت لإبن عمر : إنا نشترى من الجوارى أفنحمض لهن ؟ قال : وما التحميض ؟ قلت : نأتيهن فى أدبارهن فقال : أف أف أو يعمل هذا مسلم ؟ ، وسأل إسرائيل بن روح مالك بن أنس ماتقول فى إتيان النساء فى أدبارهن قال : ما أنتم إلا قوم عرب ، هل يكون الحرث إلا موضع

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب: النكاح ، باب : النهى عن إتيان النساء فى أدبارهن ٦١٩/١ ، دار الفكر .

(٣) أنظر : تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ٢٦٢/١

(٤) أنظر : المرجع السابق ٢٦٣/١

الزرع ، لاتعدوا الفرج ، قلت يا أبا عبد الله إنهم يقولون إنك تقول ذلك ، قال : يكذبون على ، يكذبون على[١] قال ابن كثير (فهذا هو الثابت عنه وهو قول أبى حنيفة والشافعى وابن حنبل وأصحابهم قاطبة وهو قول سعيد بن المسيب، وأبى سلمة وعكرمة وطاوس وعطاء وسعيد ابن جبير وعروة ومجاهد والحسن وغيرهم من السلف ، أنهم أنكروا ذلك أشد الإنكار ، ومنهم من يطلق على فعله الكفر .. وعن عبد الرحمن بن القاسم قال : ما أدركت أحدا أقتدى به فى دينى يشك أنه حلال يعنى وطء المرأة فى دبرها ثم قرأ « نساؤكم حرث لكم » الآية ثم قال : فأى شىء أبين من هذا[٢] .

هذا ومن نسب الجواز لإبن عمر أو الإمام مالك فهو كذاب[٣] ، وماسبق من كلامهما يرد على المدعى .

النموذج الخامس : يقول جل شأنه « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤا فإن الله غفور رحيم ، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم »[٤] .

الإيلاء : هو الحلف ، فإذا حلف الرجل أن لايجامع زوجته مدة ، فلا يخلو ، إما أن تكون أقل من أربعة اشهر أو أكثر منها ، فإن كانت أقل فليس للزوجة المطالبة بالفيئة وتصبر .. فإن زادت المدة عن أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفىء وإما

---

(١) أنظر : فتح البارى لأبن حجر ١٥٢/٨ ، تفسير القرآن العظيم ٢٦٣/١

(٢) المرجع السابق ٢٦٥/١

(٣) أنظر : المرجعين السابقين .

(٤) سورة البقرة الآيتان ٢٢٦ ، ٢٢٧

أن يطلق ، ويجبره الحاكم على هذا لعدم الإضرار بالزوجة ، وهذا ماقال به عمر وعثمان وعلى وأبو الدرداء وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وابن عباس، وبه يقول سعيد بن المسيب وعمر بن عبدالعزيز ومجاهد وطاوس ومحمد بن كعب والقاسم ، وهو مذهب مالك والشافعى وابن حنبـــل وأصحابهم ، وهو إختيار ابن جرير ، وقول الليث وابن راهوية وأبى عبيد وأبى ثور وداود ، وكل هؤلاء قالوا : إن لم يفىء الزم بالطلاق فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم ، والطلقة تكون رجعية له رجعتها فى العدة[1] .

السادس : تفسير سعيد فى مسائل فى الخلع :

والخلـع هو : إزالة ملك النـكاح ببدل بلفظ الخلع أو مافى معناه ، مع قبول الزوجة ، فإذا ضاقت المرأة بزوجها ، وأرادت أن تفتدى منه بعوض أجاز الإسلام لها ذلك، وهذا من عدالة أحكام الشريعة وفضائلها فهو لايرغم الزوجة على أن تعيش مع زوج تبغضـــه ، ولا تطيقه ، فترتكب الجرائم ، وتقع الفواحش من الجانبين بسبب هذا البغض ، كما يحدث فى ديانات كثيرة حيث تجبر المرأة على أن تعيش مع زوجها رغم بغضها إياه . قال الشيخ أبو زهرة (.. إن الطلاق جعل بيد الرجل ، يوقعه إذا أحس بنفرته من العشرة الزوجية مع من ارتبط بها ، وقد تكون المرأة تحس بهذا الإحساس، والرجل مستمسك بها أشد مايكون الإستمساك، فشرع الله تبارك وتعالى لها الخلع لتفتدى نفسها ، بأن تعطى زوجها ماقدم فى سبيل ذلك الزواج من مال ... قال ابن رشد والفقه أن الفداء إنما جعـــل للمرأة فى مقابلة ما بيد الرجل من طلاق ،

(١) أنظر : تفسير القرآن العظيم ٢٦٨/١

فإنه لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك المرأة ، جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل)[١] .

ووردت أدلة فى القرآن والسنة تؤكد إجازة الخلع منها :

بقول الله تبارك وتعالى « .. فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت »[٢] .

قال ابن كثير (إذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم يقدر على معاشرتها فلها أن تفتدى منه بما أعطاها ، ولا حرج عليها فى بذلها له ولا حرج عليه فى قبول ذلك منها)[٣] .

ومن السنة جاء فى صحيح البخارى : باب الخلع وكيف الطلاق فيه وقوله عز وجل «لايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله » وأجاز عمر الخلع دون السلطان ، وأجاز عثمان الخلع دون عقاص رأسها ، وقال : طاوس : إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فيما افترض لكل واحد منهما على صاحبه فى العشرة والصحبة ولم يقل قول السفهاء لاتحل حتى تقول لا اغتسل لك من جنابة .

ثم ساق حديث رسول الله ﷺ بعدة روايات أذكر منها «عن عكرمة عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت : يارسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام .

---

(١) الأحوال الشخصية ص ٣٣٨ ، مطبعة مخيمر ، ط ١٣٧٧ هـ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٩

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٧٢/١

فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ، قالت : نعم ، قال رسول ﷺ : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة »[1] . وفى الوقت الذى أجاز الإسلام للمرأة هذا الحق فإنه لا يجوز للمرأة أن تستغل هذا الحكم ، وتضعه فى غير محله ، وتسوق الحجج الواهية لهذا الحكم ، فإن هى فعلت ذلك فقد باءت بغضب من الله تعالى ، وقد وردت أحاديث نبوية فى ذلك منها :

« عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فى ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة »[2] . ولهذا قال العلماء : إنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة، ويجوز للرجل قبول الفدية ولا حرج عليه .

وقالوا : ولم يشرع الخلع إلا فى هذه الحالة[3] .

وفى الخلع مسائل ولسعيد آراء فيها :

المسألة الأولى : هل يجوز للرجل أن يفادى زوجته بأكثر مما أعطاها ؟

اختلف العلماء فى ذلك : فريق يرى جواز ذلك ولهم أدلتهم . وقال أصحاب أبى حنيفة : أن كان الإضرار من قبلها جاز أن يأخذ منها ما أعطاها فقط ، ولا يجوز الزيادة عليه ، فإن ازداد جاز فى القضاء . وإن كان الإضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئاً ، فإن أخذ جاز فى القضاء وإن كان الإضرار من جهته لم يجز أن يأخذ منها شيئا ، فإن أخذ جاز فى القضاء .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق ٣٢٥/٩ وما بعدها .

(٢) رواه أبو داود فى الطلاق ، باب فى الخلع ٦٦٧/٢

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٢

والرأى الثالث : لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها ، وهو رأى الإمام أحمد ، وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء وعمرو بن شعيب والزهرى ، وطاوس والحسن والشعبى وحماد بن أبى سليمان والربيع بن أنس ، وهو قول على بن أبى طالب ، وكان يقول : لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاها.
وقال الأوزاعى : القضاة لا يجيزون أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها .
ولقد ساق أصحاب هذا الرأى أدلة هذا القول . وقال ابن مهران : من أخذ أكثر مما أعطى لم يسرح بإحسان ، بل إن سعيد بن المسيب قال : ما أحب أن يأخذ منها ما أعطاها ، ليدع لها شيئاً[١] ، وكان بعضهم يعد الزيادة من سوء الأخلاق .

المسألة الثانية : هل الخلع طلاق أم فسخ . قولان :

الأول : وهو الذى رجحه العلمـــاء ، وقال به جمهرتهم ، أن الخلع يعتبر طلاق .

وقد قال بهذا : عمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وسعيد بن المسيب ، والحسن وعطاء وشريح والشعبى وإبراهيم وجابر بن زيد ، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى والشافعى فى الجديد إلخ[٢] .

ولهم أدلة منهـا :

(ا) قول رسول الله ﷺ لثابت بن قيس فى الحديث السابق « أقبل الحديقة وطلقها تطليقة » فهذا واضح فى أن الخلع طلاق .

---

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر ٣٣١/٩

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٧٥ ، وانظر : المرجع السابق ٣٣٢/٩

(ب) روى عن سعيد بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الخلع تطليقة[1] .

ومعلوم أن مراسيل سعيد يحتج بها كما سبق . ولهم أدلة أخرى .

القول الثانى : وهو أن الخلع ليس بطلاق بل هو فسخ ، وذهب إلى هذا ابن عباس، ورواية عن عثمان ، وهو قول طاوس وعكرمة وابن حنبل وابن راهويه وأبو ثور وداود الظاهرى وهو مذهب الشافعى القديم ، ولهم أدلتهم .

المسألة الثالثة : عدة المختلعة . وهذه المسألة مبنية على المسألة السابقة وعرضها هكذا : من قال أن الخلع طلاق — وهو مذهب الجمهور — قال إن المختلعة عدتها عدة المطلقة ثلاثة قروء إن كانت ممن تحيض .

وبه قال جمهرة كثيرة من العلماء منهم سعيد بن المسيب ، ومن قالوا إن الخلع فسخ وليس بطلاق قال إنها تعتد بحيضة واحـــدة تستبرىء بها رحمها فقط[2] .

وهنا أتوقف عن سرد هذه النماذج بهذا الأسلوب خوفاً من الإطالة، وسأذكر نماذج أخرى ، وأكتفى بالمعنى الذى قال به سعيد دون تعقيب .

---

(١) انظر : فتح القدير ٤/٦٠

(٢) انظر: الأصول الشخصية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٣١ وما بعدها، المفيد فى الفقه .

د / عبد الرحمن بدوى ، وفتح البارى ٩/٣٢٩
وتفسير القرآن العظيم ١ /٢٧٥

١ — قال تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين»[١] .

كان سعيد بن المسيب يروى أن الصلاة الوسطى أبهمت فى الصلاة الخمس ، وليست واحدة بعينها ، كما أبهمت ليلة القدر ، وكان يرى هذا لأن الاختلاف حول تحديدها كبير[٢] .

٢ — قال جل ذكره « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة »[٣] ، وفى الآية مسائل منها هل الرضاعة بعد الحولين تحرم ؟

فقال سعيد بن المسيب ومن معه . لا تحرم بعد الحولين[٤] .

٣ — قال عزوجل « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير »[٥] . وفى هذه الآية مسائل أذكر منها ماقال سعيد :

(ا) إجماع من العلماء على أن من توفى عنها زوجها عدتها أربعة أشهر وعشر ليال . وهذا الحكم يشمل الزوجة المدخول بها وأيضاً غير المدخول بها ، أما المدخول بها فواضح لنص الآية فى ذلك ، وأما غير المدخول بها فلعموم الآية .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٨
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٦٤/١
(٣) سورة البقرة آية ٢٣٣
(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٣/١
(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٤

وأيضاً للحديث المروى عن ابن مسعود رضى الله عنه «أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها، ولم يفرض لها، فترددت إليه مرارا فى ذلك فقال: أقول فيها برأى فإن يك صوابا فمن الله وإن يك خطأ فمن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملا. وفى لفظ لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط، وعليها العدة ولها الميراث، فقام معقل بن يسار الأشجعى فقال: سمعت رسول الله ﷺ قضى به فى بروع بنت واشق ففرح عبد الله بن مسعود فرحاً شديداً، وفى رواية فقام رجال من أشجع فقالوا: نشهد أن رسول الله ﷺ قضى به فى بروع بنت واشق»[1].

ولا يخرج عن ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهى حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة[2].

(ب) لماذا عشرة أيام وعشر ليال بعد الأربعة أشهر؟ قال سعيد المسيب:

إن الحكمة فى جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا لاحتمال اشتمال الرحم على حمل، فإذا انتظر هذه المدة ظهر إن كان موجودا)[3]. وقد جاء فى الصحيح «عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد»[4].

---

(١) تحفة الأحوذى ٣٠١/٤ دار الفكر، وبروع: بفتح الباء والواو وسكون الراء.

(٢)، (٣) تفسير القرآن العظيم ٣٨٤/١

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: القدر باب: كيفية خلق الآدمى ١٩٠/١٦

فى الحديث أربعة أشهر، والإحتياط بعشر ليال بعدها . لما قد ينقص بعض الشهور ، ثم لظهور الحركة بعد النفخ فيه ، وقد سأل قتادة[١] سعيد بن المسيب ما بال العشرة ؟ فقال فيه ينفخ الروح[٢] .

(حـ) عدة أم الولد المتوفى عنها زوجها هل مثل عدة الحرة أم على النصف منها ؟ فكان سعيد بن المسيب يقول : عدة أم الولد مثل عـــدة الحرة[٣] .

٤ — معنى الكلالة والمقصود بها فى قوله تعالى « وإن كان رجل يورث كلالة »[٤] الآية .

قال سعيد بن المسيب : الكلالة من لا ولد له ولا والد[٥] .

٥ — قوله جل شأنه « وأخواتكم من الرضاعة »[٦] الآية ، وقد اختلف العلماء فى عدد الرضعات المحرمـــة ، قال سعيد بن المسيب ومن تبعه : إن مجرد الرضاع يحرم ، مهما كان قليلا[٧] .

٦ — يقول تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابر سبيل حتى

---

(١) أحد تلاميذ سعيد ، وقال عنه ذات مرة : ما رأيت أحدا قط أعلم بالحلال والحرام من سعيد . انظر تهذيب التهذيب ٧٤/٤

(٢،٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٨٥/١ .

(٤) سورة النساء آية ١٢ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٠/١

(٦) سورة النساء آية ٢٣ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٦٩/١ .

حتى تغتسلوا (١) ، الآية ، وقوله تعالى « ولا جنباً إلا عابرى سبيل ، قال سعيد : لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابرى سبيل ، تمر به مراً ولا تجلس (٢).

٧ — قال جل ذكره « ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون »(٣) . أورد البخارى حديثاً فى صحيحه بعضه مرفوع وبعضه موقوف عن سعيد ابن المسيب فى معنى هذه الأشياء، فقال «عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التى يمنع درها للطواغيت . فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شىء » قال: وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار كان أول من سيب السوائب . والوصيلة : الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى « ليس بينهما ذكر ، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه الطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شىء وسموه الحامى)(٤) .

٨ — وقال جل شأنه « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون » (٥) وقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»

---

(١) سورة النساء آية ٤٣

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ١/٥٠١

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٣

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، باب: ماجعل الله من بحيرة، ٨/٢٢٨ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٧/٢

(٥) سورة الأنعام الآية ١٢١

أختلف العلماء فى الذبيحة إذا لم يذكر اسم الله عليها نسيانا، وقال سعيد: إن ترك البسملة على الذبيحة نيسانا لم يضر، وإن تركها عمداً لم تحل[١].

٩ — قال تبارك وتعالى «وأتو حقه يوم حصاده»[٢] الآية. قال سعيد: الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله[٣].

١٠ — قال جل ذكره «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»[٤]. توجد عدة آراء حول من هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟ وقال سعيد: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥].

١١ — قال الله جل ذكره «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك هم أصحاب الجنة هم فيها خالدون»[٦] كان سعيد يفسر الزيادة فى الآية الكريمة بالنظر إلى وجه الله الكريم[٧] اللهم متعنا به ياأكرم الأكرمين.

١١ — قال عز وجل «ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٧٠/٢
(٢) سورة الأنعام آية ١٤١
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٨١/٢
(٤) سورة التوبة الآية ١٠٠
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/٢
(٦) سورة يونس الآية ٢٦
(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٢

فإنه كان للأوابين غفوراً »[1] وقال سعيد فى الأوابين هم الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون « ويصيبون الذنب ثم يتوبون[2] .

١٣ — قال تبارك وتعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملا »[3] قال سعيد حول الباقيات الصالحات هى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[4].

١٤ — يقول تبارك وتعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم »[5] والآية الأولى بينت حكم حد القاذف للمحصنة البالغة العفيفة وإذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفها ثمانين جلدة ، ولا نزاع بين العلماء فى ذلك . والنزاع بينهم حول معنى الآية الثانية « إلا الذين تابوا » وكان سعيد يقول : أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق[6]

١٥ — جاء فى القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم « يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى »[7] الآية ، قال سعيد بن المسيب

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٥
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦
(٣) سورة الكهف الآية ٤٦
(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٨٥
(٥) سورة النور الآيتان ٤ ، ٥
(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/٢٦٤
(٧) سورة الصافات الآية ١٠٢

رضى الله عنه : الذبيح هو سيدنا إسماعيل وليس إسحاق [١]

١٦ — قال تبارك وتعالى فى شأن زوجة أبى لهب « وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد[٢] . قال سعيد : كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقها فى عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار [٣] والجزاء من جنس العمل .

واكتفى بهذا القدر من ذكر النماذج من تفسير سعيد ، وهى تؤكد قدر الرجل ، وطول باعه فى هذه الناحية ، والعلماء عالة عليه .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ١٨/٤
(٢) سورة المسد الآيتان ٤ ، ٥
(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم

المبحث الخامس

سيدنا سعيد فقيها

سبق القول بأن سعيد بن المسيب كان فقيه الفقهاء فى زمانه ، والفقه : العلم بالشىء والفهم له هذا فى اللغة[1] ، وعند أربابه : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية[2] .

والمراد بالفقيه : من يحفظ الفروع الفقهية ويصير له إدراك فى الأحكام المتعلقة بنفسه وغيره[3] .

وموضوعه : فعل المكلف ثبوتاً أو سلباً ، واستمداده من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وغايته الفوز بسعادة الدارين[4] .

فضله : إن للفقيه منزلة كريمة ، وأجراً عظيماً ، فهو يوصله إلى السلوك السوى المنبثق من سلوك رسول الله ﷺ ، وكذلك يسلك بالناس الطريق المستقيم ، ويأخذ بأيديهم إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وينشر بين الناس حكمة التشريع فى الإسلام ويبين لهم الحلال والحرام ، ويبعدهم عن الزيغ والبدع والضلال ، وينفرهم من أحكام الهوى ، والإحتكام إلى الشيطان والطواغيت . .

---

(١) انظر : لسان العرب لإبن منظور ٣٤٥٠/٥ ، دار المعارف .
(٢) انظر : حاشية رد المختار لابن عابدين ٢٦/١ ط ١٣٨٦ ه الحلبى .
(٣) انظر : المرجع السابق ٢٧/١
(٤) انظر : المرجع السابق ٣٨/١

وأحكام الجاهلية الضالة المضلة من غرب ومن شرق التى أثقلت كاهل الناس ، وأخذتهم إلى الظلمات ، وأودت بهم إلى الفقر والتخبط والتخلف والهوان ، والذى يبين كل هذا العلماء ، وبخاصة الفقهاء منهم ، لذلك ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بيان فضل الفقيه .

يقول الله تبارك وتعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ومايذكر إلا أولوا الألباب »[١] .

قال ابن عابدين : (قد فسر الحكمة زمرة من أرباب التفسير بعلم الفقه)[٢] ، وقال إنه أفضل من قيام الليل[٣] .

وقد أورد ابن كثير مجموعة من الأقوال لمجموعة من العلماء حول معنى الحكمة فى الآية : فعن ابن عباس : تعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه ، وروى عنه : الحكمة القرآن يعنى تفسيره فإنه قد قرأه البر والفاجر ، وقال مجاهد: هى العلم والفقه والقرآن ، وقال أبو العاليه : الحكمة خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة ، وعن ابن مسعود مرفوعا : رأس الحكمة مخافة الله .

وقال أبو العالية أيضا : الحكمة الكتاب والفهم ، وقال إبراهيم النخعى : الحكمة الفهم ، وقال أبو مالك : الحكمة السنة ، وقال زيد بن أسلم : الحكمة العقل ، وقال مالك وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هو الفقه فى دين الله ، وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا فى أمر الدنيا إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩
(٢) حاشية رد المختار ٣٩/١
(٣) انظر : المرجع السابق ٣٩/١

فى أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه فى دين الله[1] .

وذكر ابن حجر عدة أقوال لمعنى الحكمة هنا فقيل المراد بالحكمة الإصابة فى القول ، وقيل الفهم عن الله ، وقيل ما يشهد العقل بصحته ، وقيل نور يفرق به بين الإلهـــام والوسواس ، وقيل سرعة الجواب بالصواب[2] .

ومن هذه المعانى يظهر فضل الفقه فى دين الله تعالى ، وقال ابن منظور والفقه غلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر العلوم .. وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة شرفها الله تعالى[3] .

وقال تبارك وتعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[4] .

ومما ورد حول تفسيرها : (قال ابن عباس كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى ﷺ فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون للنبى ﷺ ماتأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا بما نأمر به عشائرنا إذا قدمنا عليهم قال فيأمرهم نبى الله ﷺ بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا : إن من أسلم فهو منا ، وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٣٢/١

(٢) انظر : فتح البارى ٨٠/٧

(٣) انظر : لسان العرب ٣٤٥٠/٥

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٢

وكان النبي ﷺ يخبرهم وينذرهم قومهم فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم الجنة)[١] .

هذا وما أكثر الآيات القرآنية التي تذكر مادة فقه لبيان مدى أهمية الفقه ورسالته في الدعوة إلى جهال الشريعة الإسلامية والتحذير من مغبة مخالفتها ، أو التشويش عليها .

ولقد جاء في الصحيح ما يشيد بصاحب الفقه ، حتى أن رسول الله ﷺ كان يدعو الكثير من أصحابه لينالوا شرف حمل الفقه والعمل به من ذلك : «عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »[٢] .

قال ابن حجر : (نكر خيراً ليشمل القليل والكثير ، والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه ، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير .

وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد في آخره ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به ، والمعنى صحيح لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير .

وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس ، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم)[٣] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠١/٢

(٢) أخرجه البخاري في العلم ، باب : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١٣٤/١

(٣) فتح الباري ١٣٤/١

وقد دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقال : « اللهم علمه الكتاب »(١) .

وفى رواية عنه قال : « ضمنى النبى ﷺ إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة »(٢) ، وعند مسلم « اللهم فقهه »(٣) ، وهذا يؤكد بيان فضيلة تعلم الفقه

ولما بلغ عبد الله بن عباس المحل الأعلى فى الفقه قال « كونوا ربانيين حلما فقهاء »(٤) .

وقد فسر ابن عباس الربانى بأنه الحكيم الفقيه ، ووافقه ابن مسعود رضى الله عنه(٥) .

وكان عمر بن الخطاب ينصح أفراد الرعية بالتفقه فى الدين لأهميته القصوى فقال « تفقهوا قبل أن تسودوا »(٦) .

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : قول النبى ﷺ: اللهم علمه الكتاب ١٣٨/١

(٢) أخرجه البخارى فى باب : مناقب الحسن والحسين ٨٠/٧

(٣) أخرجه مسلم فى باب : من فضائل عبد الله بن عباس ٣٧/١٦

(٤) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : العلم قبل القول ١٣٢/١

(٥) انظر : فتح البارى لابن حجر ١٣٢/١ ، والنسبة فى ربانيين ، قيل : نسبة إلى الرب والمعنى : أى الذى يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم العمل ، وقيل : علماء ربانيون : أى يربون العلم ، والمعنى : يقومون به ، وقيل إلى التربية ، ولا يقال للعالم ربانى حتى يكون عالما معلما عاملا انظر : فتح البارى ١٣٢/١

(٦) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : الإغتباط فى العلم والحكمة ١٣٥/١

قال أبو عبيد : تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ عمن دونكم ، فتبقوا جهالا . وقال ابن حجر : وإن تعجلتم الرياسة التى من عادتها أن تمنع صاحبها من طلب العلم فاتركوا تلك العادة ، وتعلموا العلم لتحصل لكم الغبطة الحقيقية[١] .. هذا والتفقه فى الدين أمر واجب على كل المسلمين فيما يتعلق بالأمور المشتركة بين جميع المسلمين مثل الوضوء والغسل والصلاة والصوم والحج لمن استطاع الخ وهذا الواجب يتفاوت بعد ذلك بين المسلمين، فالعالم يجب عليه التوسع فى كل أبوابه ليعلم الناس أمور دينهم ، وإذا سألوا أجابهم ، والبائع مثلا يجب أن يتعلم فقه المعاملات ليعلم الحلال والحرام منها ، والمرأة تتعلم فقه ما هو خاص بأمور النساء ، والغنى يتعلم ماهو خاص بفقه الزكاة ، وهكذا وسيأتى المزيد فى هذا .

وإن شاء الله سوف أذكر آداب الفقيه ضمنا فى مبحث : سيدنا سعيد داعية ، وسعيد بن المسيب صاحب القدم الراسخه ، وإليه ترجع الريادة فى الفقه ، فقد ضرب بسهم وافر فى جميع أبوابه ، والفقهاء من بعده يحومون حومه ، وعالة عليه ، ففى مدرسته تفقهوا ، ومن فقهه أخذوا وأفتوا . . فمن ينظر مثلا فى موطأ الإمام مالك يجد هذا واسعاً وكثيرا جدا ، وقد نقل الإمام مالك فى الموطأ كثيرا من المسائل الفقيه عن سعيد بن المسيب ، وتابعه فى كل ماجاء وقال به إلا فى مسائل قليلة جدا : ومن موطأ الإمام مالك تعلقت المسائل الفقهية فى كل كتب الفقه تقريباً ، وكذا ماجاء فى كتب السنن من مسائل فقهية ، ومثال ذلك فقهاء الأمة وأئمتها كالشافعى وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة . يقول الشيخ ولى الدين الدهلوى (كتاب الموطأ أصح الكتب وأشهرها ، وأقدمها وأجمعها . وقد اتفق السواد الأعظم من الملة المرحومة على العمل به ، والإجتهاد فى روايته ودرايته ،

---

(١) انظر فتح البارى لابن حجر ١/١٣٥ .

والإعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته ، والإهتمام باستنباط معانيه وتشييد مبانيه . ومن تتبع مذاهبهم ورزق الإنصاف من نفسه ، علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه ، وعمدة مذهب الشافعى وأحمد ورأسه ، ومصباح مذهب أبى حنيفة وصاحبيه ونبراسه ، وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون ، وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون .. وعلم أيضاً أن الكتب المصنفة فى السنن كصحيح مسلم وسنن أبى داود ، وما يتعلق بالفقه من صحيح البخارى وجامع الترمذى مستخرجات على الموطأ ، تحوم حومه ، وتروم رومه ، مطمح نظرهم منها وصل ما أرسله ، ورفع ما أوقفه ، واستدراك ما فاته ، وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده ، وأحاطه جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه)[١].

ولا يتضح كل هـذا جليا إلا بذكر نماذج من فقه سيدنا سعيد .

نماذج من فقه سيدنا سعيد .

النموذج الأول :

« عن عبد الرحمن بن حرملة أن رجلا سأل سعيد بن المسيب عن الرجل الجنب يتيمم ثم يدرك الماء ، فقال سعيد : إذا أدرك الماء فعليه الغسل لما يستقبل »[٢] أى لما يستقبل من الصلوات ، ولا إعادة عليه ، وإن كان وقت الصلاة لم يفت « وما قال به سعيد هو الصحيح ؛ لأنه المروى عن رسول الله ﷺ ، فقد جاء فى الصحيح قوله للذى أجنب — فى حديث

(١) نقلا من المقدمة لموطأ الإمام مالك للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى ص ٨ ، ٠ (بتصرف) دار الشعب .

(٢) موطأ الإمام مالك ١/٦٦ ، دار الكتب العلمية .

طويل — ولم يصل معه « عليك بالصعيد فإنه يكفيك [١] . قال ابن حجر (ودل قوله « يكفيك » على أن التيمم فى مثل هذه الحالة لا يلزمه القضاء ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله « يكفيك » أى للأداء ، فلا يدل على ترك القضاء [٢]) .

ويلاحظ هنا :

١ — أن سعيد بن المسيب كان مستندا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه كما هو شأنه دائما .

٢ — يسر الشريعة الإسلامية . ورغبة المشرع فى عدم ترك الصلاة بحال ، والتحريض على صلاة الجماعة ، وأن ترك الصلاة بحضرة المصلين معيب على فاعله[٣] ، والتيمم إحـــدى خصوصيات الأمة الإسلامية ، عند فقد الماء أو عـدم القدرة على استعماله ، وهـذا تشريف لأمة الإسلام .

قال النووى (التيمم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهو خصوصية خص الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة . . وأجمعت الأمة على أن التيمم لا يكون إلا فى الوجه واليدين سواء عن حدث أصغر أم أكبر . . وأما حكم التيمم فمذهبنا - النووى - ومذهب الأكثرين أنه لا يرفع الحدث بل يبيح الصلاة ، فيستبيح به فريضة وماشاء من النوافل ؛ ولا يجمع بين

---

(١) أخرجه البخارى فى التيمم ، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم ٨٥٤/١ عن عمران بن حصين ، ومسلم فى التيمم ٥٦/٤ .

(٢) فتح البارى ٣٥٦/١ .

(٣) انظر المرجع السابق ٣٥٨/١ .

فريضتين بتيمم واحد[١] ، وإن نوى بتيممه الفرض استباح الفرض والنافلة ، وإن نوى النفل استباح النفل ولم يستبح الفريضة ، وله أن يصلى على جنائز بتيمم واحد ، وله أن يصلى بالتيمم الواحد فريضة وجنائز ، ولا يتيمم قبل دخول وقتها[٢]) .

٣ — أن علماء الأمة قد اقتبسوا من فقه سعيد ، وساروا على ما قال به ، ومثال ذلك ما قال به الإمام مالك عندما سئل (فى رجل تيمم حين لم يجد ماء ، فقام وكبر ودخل فى الصلاة ، فطلع عليه إنسان معه ماء ؟ قال: لا يقطع صلاته ، بل يتمها بالتيمم ، وليتوضأ لما يستقبل من الصلاة[٣] قال الزرقانى معللا قول مالك (لأنه لم يثبت فى سنة ولا إجماع ما يوجب قطع صلاته ، وهو كمن وجب عليه صوم ظهار أو قتل فصام أكثره ثم أيسر لا يعود إلى العتق ، وبه قال الشافعى وداود ...

وقد قال أبو سلمة : ليس عليه الوضوء ، وإن وجد الماء بعدها فلا إعادة عليه عند الجمهور ، ومنهم من استحبها فى الوقت[٤].

---

(١) انظر : فقه السنة للشيخ سيد سابق ١/١٣٥ وفيه أن التيمم كالوضوء يجوز أن يصلى به ما شاء من الفرائض .

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم ٤/٥٦ ، ٥٨ (بتصرف) ،

(٣) شرح الزرقانى على الموطأ ١/١٦٣ ، ٦٤

(٤) المرجع السابق ١/١٦٤ ، وانظر :الفقه على المذاهب الأربعة ط وزارة الأوقاف ص ١١٩ ومابعدها ، وفقه السنة ١/١٢٩ .

النموذج الثانى :

« أن رجلا عطس يوم الجمعة والإمام يخطب فشمته إنسان إلى جنبه ، فسأل عن ذلك سعيد بن المسيب فنهاه عن ذلك وقال : لا تعد[١] .

وهـذا يراد به الإنصات لخطبة الجمعة ، والانتباه لما يلقى على مسامع المصلين ، ليتزودوا من كلام رب العالمين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، حيث أن المنبر فى المسجد هو أنبل وأطهر مصادر الإعلام التى يستقى منه المسلم الغذاء القلبى ، لذا قال سعيد ماقال . وسعيد قال ذلك استنادا لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيح « عن ابن شهاب — قال — أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت[٢] . قال النووى (فى الحديث النهى عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة ، ونبه بهذا على ماسواه ، لأنه إذا قال أنصت وهو فى الأصل أمر بمعروف ، وسماه لغوا ، فيسيره من الكلام أولى) .[٣]

وقال :(قال مالك وأبو حنيفة والشافعى وعامة العلماء يجب الإنصات للخطبة)[٤] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٣١١/١ (شرح الزرقانى) .
(٢) أخرجه مسلم فى الجمعة ١٣٧/٦ .
(٣) شرح النووى لمسلم ١٣٨/٦ .
(٤) المرجع السابق ١٣٨/٦ ، وانظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٣٠٧/١ ، والفقه على المذاهب الأربعة ٣٥١

ويلاحظ أن سيدنا سعيد رد على الرجل رد جميلا ، ولم يعنفه ، وهذا ما يجب أن يتجمل به الدعاة إلى الله عز وجل .

النموذج الثالث :

« عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : كان أبو بكر الصديق إذا أراد أن يأتى فراشه أوتر ، وكان عمر بن الخطاب يوتر آخر الليل ، قال سعيد : فأما أنا فإذا جئت فراشى أوترت »[1] .

قال الزرقانى : (ففى فعليهما إباحة تقديم الوتر وتأخيره ، وهو أمر مجمع عليه ، لأن الوتر من صلاة الليل ولا وقت لها محددة ، فالليل كله وقت له ، وأجمعوا على مبدأه مغيب الشفق بعد صلاة العشاء)[2] .

وقد ورد فى الصحيح حديثاً فيه توسعة لصلاة الوتر « فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كل الليل أوتر رسول الله ﷺ ، وانتهى وتره إلى السحر »[3] .

قال ابن حجر : (ويحتمل أن يكون اختلاف الوتر باختلاف الأحوال ، فحيث أوتر فى أوله لعله كان وجعاً ، وحيث أوتر وسطه لعله كان مسافراً ، وأما وتره فى آخره فكأنه كان غالب أحواله لما عرف من مواظبته على الصلاة فى أكثر الليل . . والسحر قبيل الصبح ،

---

(١) رواه مالك فى الموطأ فى الصلاة ٣٤٩/١

(٢) شرح الزرقانى ٢٦٦/١

(٣) أخرجه البخارى فى العيدين باب ساعات الوتر ٢٩٠/٢ ، ومسلم فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الليل ٢٥/٦

وحكى الماوردى أنه السدس الأخير ، وقيل أوله الفجر الأول)[١] .

وأما قول ابن المسيب : فأما أنا فإذا جئت فـــراشى أو ترت ، قال الزرقانى مفسراً لهذا (كفعل أبى بكر بالحزم ، وغلبة النوم وأوصى ﷺ أبا الدرداء وأبا ذر وأبا هريرة أن لا ينام أحدهم إلا على وتر ،...

وجاء أنه — صلى الله عليه وسلم — قال لأبى بكر أخذت بالحزم ولعمر أخذت بالقوة، ولامعارضة بين وصيته لهؤلاء ، وبين قول عائشة وانتهى وتره إلى السحر، لأن الأول لإرادة الإحتياط، والآخر لمن علم من نفسه قوة، ووثق بانتباه كما ورد عن عمر وعلى وابن مسعود وغيرهم أنه أفضل، وإليه ذهب مالك والجمهور لما فى مسلم عن جابر عن النبى ﷺ « من طمع منكم أن يقوم آخر الليل فليوتر من آخره فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل ، ومن خاف منكم أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر فى أوله »)[٢] .

وكل هذا يبين أن سلف الأمة كانوا يقومون الليل على كل حال لما فيه نفحات ربانية — كما سبق — والإختلاف هل يصلى الوتر بعد قيام الليل وقبل النوم أو يقوم الليل ثم ينام ثم يستيقظ لصلاة الوتر ؟ !

وقد إتضح أن فى الإسلام فسحة لهذا وذاك ويلاحظ حرص الصحابة والتابعين ، وسلف الأمة على أداء صلاة الوتر ، ويتحرون وقته ، فيكف بالصلاة المكتوبة. وكان أبو حنيفة يعد الوتر واجبا، وكان الإمام مالك

---

(١) شرح الزرقانى على الموطأ ٣٦٦/١ ، وانظر : فتح البارى لإبن حجر ٣٩٦/١ .

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٢٦٦/٨، ٦٧ ، والحديث أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين ، باب : صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل ٣٤/٦ ، ٣٥

يقول: إن من ترك صلاة الوتر أدب وجرح فى شهادته[1] ، فن لنا يا مالك من يؤدب الذين يتركون الجمع والجماعات ، بل الصلاة أصلا ، فى زماننا هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا الكلام من الأئمة له وجاهته ، فإن من يضيع السنن ، ويهمل فى أدائها . فـلا يستبعد أن يضيع الفرائض ، والسنن حمى للفرائض وتجبرها .

المهم معنا أن سيدنا سعيد أخذ بما كان يفعله رسول الله ﷺ فى بعض أحواله ، وبمـا كان يواظب عليه أبو بكر الصديق وكثير من إخوانه وكفى بهم قدوة ، ولهذا قال ما قال .

النموذج الرابع :

« عن مالك عن يحى بن سعيد أن رجلا سأل سعيد بن المسيب فقال : إنى أصلى فى بيتى ثم آتى المسجد فأجد الإمام يصلى ، أفأصلى معه ؟ فقال سعيد : نعم ، فقال الرجل : فأيهما صلاتى فقال سعيد : أو أنت تجعلهما ! إنما ذلك إلى الله تعالى »[2] . وإجابة سيدنا سعيد للسائل لم يكن من تلقاء نفسه ، ولم يفت بغير علم ودراية بالدليل ، كما يفعل كثير من الناس الآن ، فقد استند فى إجابته لما ورد عن رسول الله ﷺ ، وجمع من صحبه الكرام ، فقد جاء فى الموطأ مثل هذا عن رسول الله وعدد من الصحابة الأعلام « فعن محجن[3] أنه كان فى مجلس مع رسول الله ﷺ فأذن بالصلاة فقام

---

(١) أنظر : فتح البارى ٢ /٣٩٢

(٢) رواه مالك فى الموطأ ١ /٣٩٠ شرح الزرقانى

(٣) محجن بن أبى محجن الديلمى ، صحابى قليل الحديث .. معدود فى أهل المدينة ، روى عنه ابنه بسر أنظر : شرح الزرقانى ١ /٣٨٩

رسول الله ﷺ فصلى ، ثم رجع ومحجن فى مجلسه لم يصل معه ، فقال له رسول الله ﷺ : ما منعك أن تصلى مع الناس ؟ ألست برجل مسلم ؟!

فقال : بلى يا رسول الله ولكنى صليت فى بيتى ، فقال له رسول الله ﷺ : إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت)[1] .

ويلاحظ هنا إهتمام الداعية بالمدعوين ، وسؤال من خالف لتوضيح الأمر له ، ووضعه على الطريق السليم ، وتصحيح الخطأ ، وقوله صلى الله عليه وسلم لمحجن «ألست بمسلم» لبيانه له طريق المسلمين ، وحفزه إياه ليسلك سبيلهم ولا يشذ ، وأيضا قال الباجى (يحتمل الإستفهام ، ويحتمل التوبيخ وهو الأظهر . . كما تقول للقرشى : مالك لا تكون كريما ؟ ألست بقرشى ؟ لا تريد نفيه من قريش ، وإنما توبخه على ترك أخلاقهم)[2].

وقال الزرقانى (ولعله — محجن — كان سمع لاصلاتين فى يوم ، ولم يعلم بالإعادة لفضل الجماعة)[3] ، وأيضا إستدل سعيد بن المسيب على فتواه بما ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما «عن نافع أن رجلا سأل عبد الله بن عمر فقال : إنى أصلى فى بيتى ثم أدرك الصلاة مع الإمام أفأصلى معه ؟ فقال له عبد الله بن عمر : نعم ، فقال الرجل : أيتهما أجعل صلاتى ؟ فقال له ابن عمر : أو ذلك إليك ؟ إنما ذلك إلى الله يجعل أيتهما شاء)[4] .

قال حبيب (معناه أن الله تعالى يعلم التى يتقبلها ، فأما على وجه الإعتداد بها فهى الأولى ، ومقتضاه أن يصلى الصلاتين بنيـــة الفرض ، ولو صلى أحدهما بنية النفل لم يشك فى أن الأخرى فرض قاله الباجى ، وقال

---

(١) رواه مالك ٣٨٨/١ ، ٨٩

(٢) ، (٣) شرح الزرقانى على الموطأ ٣٨٩/١

(٤) المرجع السابق ٣٨٩/١ ، ٩١

ابن الماجشون وغيره : معنى ذلك إلى الله في القبول لأنه قد يقبل النافلة دون الفريضة ، ويقبل الفريضة دون النافلة على حسب النية والإخلاص[١] وكان هذا سبيل الصحابة رضوان الله عليهم .

فقد جاء في فتاوى أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه[١] عند ما سأله رجل من بنى أسد وقال له «إنى أصلى في بيتى ثم آتى المسجد فأجد الإمام يصلى أفأصل معه ؟ . قال أبو أيوب: نعم فصل معه ، فإن من صنع ذلك فإن له سهم جمع أو مثل سهم جمع»[٢] وهذه الفتوى أفادت ثواب من يفعل ذلك.

ومعنى سهم جمع : أى يضعف له الأجر ، فيكون له سهمان ، أو نصيب رجلين[٣].

قال ابن عبد البر (أجمع مالك وأصحابه أن من صلى وحده لا يؤم في تلك الصلاة ، وهذا يوضح أن الأولى فرضه ، وعليه جماعة أهل العلم ، وأختارت طائفة من أصحاب مالك أن تكون الثانية فرضه، وتأولوا قوله ﷺ «وتكون له نافلة» أى فضيلة كقوله تعالى «نافلة لك»[٤] أى زائدة في فرائضه ، وإنما لم يؤم فيها لأنه لم يدر أيهما صلاته حقيقة فاحتيط أن لا يؤم أحدا)[٤]

---

(١) المرجع السابق ١/٣٨٩ ، ٩٠

(٢) من كبار الصحابة الأجلاء بدرى مات غازيا بالروم سنة ٥٠ على الأرجح .

(٣) شرح الزرقانى على الموطأ ١/٣٩٠

(٤) أنظر المرجع السابق ١/٣٩٠ ، ٩١

(٥) سورة الاسراء آية ٧٩

(٦) شرح الزرقانى ١/٣٩٠

وقد اختلف حول مسألة هل تصلى الصلوات كلها — على ماسبق — أم يستثنى المغرب والصبح ولا إعادة لها أو لإحداها أو فى غيرهما ؟

فإلى الأول وهو إعادة جميع الصلوات ذهب الشافعى[١] ، وقال مالك (لا أرى بأساً أن يصلى مع الإمام من كان قد صلى فى بيته إلا صلاة المغرب فإنه إذا أعادها كانت شفعاً)[٢] .

وقال أبو حنيفة : لا يعيد صلاة الصبح ولا العصر ولا المغرب[٣] ، وذهب الحنابلة إلى سنية الإعادة فى جميع الفروض إلا المغرب فلا تسن إعادته مطلقا[٣] ولكل وجهته وأدلته .

النموذج الخامس :

« عن مالك عن عطاء الخرسانى أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر أتم الصلاة قال مالك وذلك أحب ما سمعت إلى »[٤] .

قال الزرقانى : (وبه قال الشافعى وأبو ثور وداود وجماعة)[٥] ، والحنابلة قالت بذلك أيضا[٦] ، وعلى هذا فالمذاهب الثلاثة ذهبت إلى

---

(١) انظر : المرجع السابق ٣٩١/١

(٢) المرجع السابق ٣٩١/١

(٣) انظر تفصيل هذه المسألة باستفاضة ، الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٨٨ ، ٨٩

(٤) رواه مالك فى الموطأ ٤٢٦/١ (على شرح الزرقانى) .

(٥) شرح الزرقانى على الموطأ ٤٢٦/١

(٦) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣١٦

ما ذهب إليه سعيد ، وإن كانت الحنفية قالت : إذا نوى إقامة خمسة عشر يوما أتم ودونها قصر[١] .

النموذج السادس :

« عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب كان يغدو إلى المصلى بعد أن يصلى الصبح قبل طلوع الشمس »[٢] وذلك لصلاة العيد .

قال الزرقانى : (لإستحباب ذلك للناس بخلاف الإمام فيغدو بقدر ما يبلغ المصلى ، وقد حلت الصلاة)[٣] ، وقد ذهب إلى هذا أصحاب المذاهب الثلاثة الأخرى[٤] كما يستفاد من هذا أن صلاة العيدين فى الخلاء سنة .

النموذج السابع :

« عن مالك أنه بلغه عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن رجل نذر صيام شهر ، هل له أن يتطوع ؟ فقال سعيد : ليبدأ بالنذر قبل أن يتطوع ، قال مالك : وبلغنى عن سليمان بن يسار مثل ذلك »[٥] .

قال الزرقانى : « هذا على الاختيار ، واستحسان البدار إلى ما وجب عليه قبل التطوع قاله أبو عمر ... فإن قدم التطوع أساء وصح صومه ، وبقى النذر فى ذمته »[٦] وهذا توجيه سديد من سعيد وسليمان وغيرهما ، فالنذر واجب ، والواجب مقدم على التطوع .

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، وشرح الزرقانى ٤٢٦/١

(٢) رواه مالك فى الموطأ ٥١٩/١

(٣) شرح الزرقانى ٥١٩/١

(٤) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣١٦

(٥) رواه مالك فى الموطأ ٢٤٦/٢ (شرح الزرقانى) .

(٦) شرح الزرقانى ٢٤٦/٢

النموذج الثامن :

« عن مالك عن يحى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يُسأل عن قضاء رمضان ، فقال سعيد : أحب إلى أن لايفرق قضاء رمضان ، وأن يواتر . قال يحى : سمعت مالكا يقول فيمن فرق قضاء رمضان فليس عليه إعادة ، وذلك يجزىء عنه ، وأحب ذلك إلى أن يتابعه »(١) .

ومعنى يواتر : يتابعه ، يقال : تواترت الخيل إذا جاءت يتبع بعضها بعضا ، واستحباب سعيد ومالك للمتابعة الحاقا بأصله ، وللاختلاف فيه ، والأفضل أن يأتى بالعبادة على وجه متفق عليه(٢) ، وما ذهب إليه سعيد من استحباب قضاء من عليه رمضان أو أيام منه أن يأتى بهامتتابعة ذهب إليه أصحاب المذاهب الأربعة(٣) .

النموذج التاسع :

« عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب كان يقول : من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها »(٤) ، وهذا تحريض وتهييج للصلاة فى جماعة وبخاصة عشاء ليالى رمضان ، قال ابن عبد البر : (قول ابن المسيب لايكون رأيا ، ولا يؤخذ إلا توقيفا ومراسيله أصح المراسيل)(٥) .

وقد ذكر الزرقانى أحاديث كثيرة وأسندها إلى أصحابها كلها تؤكد قول سيدنا سعيد وإصابته .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٢/٢٥٠

(٢) انظر : شرح الزرقانى ٢/٢٥٠

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥٤٩

(٤) رواه مالك فى الموطأ ٢/٢٩٣

(٥) شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٢٩٣

النموذج العاشر :

« عن مالك عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى أن رجلا سأل سعيد ابن المسيب فقال : اعتمر قبل أن أحج ؟ فقال سعيد : نعم ، قد اعتمر رسول الله ﷺ قبل أن يحج »[١] .

ونرى فى هذه الفتوى ثلاثة أمور :

الأول : فقه سعيد فقد كان دارسا وعالما بالأحكام ، فإذا سئل أجاب بسرعة بالصواب وهذه هى الحكمة .

الثانى : وإجابة سعيد كانت صائبة ، ومبنية على الدليل الذى لاخلاف فيه : (قال ابن عبد البر : يتصل هذا الحديث من وجوه صحاح ، وهو أمر مجمع عليه ، لاخلاف بين العلماء فى جواز العمرة قبل الحج لمن شاء ، وفى الصحيح أن عكرمة بن خالد سأل ابن عمر عن العمرة قبل الحج فقال : لابأس ، اعتمر النبى ﷺ قبل أن يحج)[٢] .

الثالث : أن سعيد فى أحيان كثيرة يذكر الفتوى مقرونة بالدليل ، وذلك الإقناع السائل ، والأدلة تزيد اليقين بالجواب ، وفى أحيان أخر يذكر الجواب بدون ذكر الدليل ، وذلك لمراعاة مقتضى حال السائل وهذا من فقه الرجل ، لمراعاته حال كل سائل ، وفى أحيان أخرى كان سعيد يذكر أحكام الشرع دون سؤال وذلك لتعليم الناس .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٣٥٢/٢

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٣٥٣/٢

الحادى عشر :

« عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : من اعتمر فى شوال أو ذى القعدة أو فى ذى الحجه ، ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج ، فهو متمتع إن حج ، وما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجع »[1] . فإن لم يحج ورجع فلا شىء عليه . والهدى شاة فأعلى ، وقوله رجع من قوله تعالى « إذا رجعتم »[2] قال ابن عباس : إلى أمصاركم ، ونحوه قول ابن عمر : إلى أهله ، وهذا قول الجمهور[3] ويلاحظ أخذ جلة الأئمة بما قال به سعيد :

النموذج الثانى عشر :

« عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب ، وسالم بن عبد الله ، وسليمان بن يسار سئلوا عن نكاح المحرم فقالوا : لا ينكح المحرم ولا يُنكح . قال مالك : فى الرجل المحرم : إنه يراجع إمرأته إن شاء إذا كانت فى عدة منه »[4] . قال الزرقانى (والغرض من هذا كله بعد الحديث المرفوع أن العمل به والفتوى ، فلا يمكن دعوى نسخة :. أما قول مالك فى الرجعة لأن الرجعة ليست بنكاح فلم تدخل فى الحديث . فأما أن خرجت من عدتها فلا يعيدها لأنه نكاح فدخل فيه .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٢/٢٥٧

(٢) سورة البقرة آية ١٩٦

(٣) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٢٥٧

(٤) موطأ مالك ٢/٣٦٧

قال أبو عمر : لاخلاف فى ذلك بين أئمة الفتوى بالأمصار ، لأن المراجعة لا تحتاج إلى ولى ولا صداق ، قال الباجى : وعند أحمد منعه من الرجعة (١) :

والحديث الذى استند إليه هؤلاء العلماء فى فتواهم ماجاء فى كتب السنة ورواه مالك فى الموطأ « أن عمر بن عبيد أرسل إلى أبان بن عثمان وأبان يومئذ أمير الحاج وهما محرمان : إنى قد أردت أن أنكح طلحة بن عمر بنت شيبة بن جبير ، وأردت أن تحضر ، فأنكر ذلك عليه أبان وقال : سمعت عثمان بن عفان يقول : قال رسول الله ﷺ : لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب »(٢)

وأيضاً اعتمدوا فيما ورد عن عمر أنه رد نكاح المحرم لفساده ، وعن

---

(١) شرح الزرقانى على الموطأ ٢٦٧/٢

(٢) رواه مالك فى الموطأ ٢٦٧/٢ ، ورواه مسلم فى النكاح وأبو داود فى الحج ورواه أيضاً الترمذى وابن حبان وابن ماجه. وعمر ابن عبيد الله بن معمر بن عثمان . أبو حفص القرشى ، أحد الأجواد والأمراء الأمجاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة دخلت فى الإسلام وهو الذى قتل قطرى بن الفجاءة ، وروى عن ابن عمر وجابر وغيرهما وعن عطاء بن أبى رباح ، وابن عون ، وكان سمحاً سخياً ، وهو الذى جمع بين جارية اشتراها بمائة ألف درهم ، وردها ومعها مائة ألف درهم إلى مولاها ، توفى بدمشق سنة ثنتين وثمانين ، وولده طلحه من سادات قريش . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٦٢/٥ وأبان بفتح الهمزة والباء ابن سيدنا عثمان ابن عفان كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، ويعد من فقهاء المدينة العشرة مات سنة خمس ومائة انظر المرجع السابق ٣٠٨/٥

ابن عمر كان يقول : لاينكح المحرم ولا يخطب على نفسه ولا على غيره موافقة للحديث إذ لفظه عام (١) . وهذا ماقال به جميع الفقهاء باستثناء ماذهب إليه أبو حنيفة والكوفيون فقالوا : يصح نكاحه وإنكاحه ، وأجابوا عن الحديث بأنه ليس نهياً عن نكاح المحرم بل هو إخبار عن حاله ، وأنه لإشتغاله بنسكه لا يتسع زمانه لعقد النكاح ولا يتفرغ له ، وبأن المراد بالنكاح فى الحديث هنا الوطء لا العقد ، كما أخذوا بقول ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم (٢) .. وما ذهب إليه أبو حنيفة والكوفيون جانبه الصواب ، وقد رد العلماء عليهم ، وأكدوا ماقال به الفقهاء .

قال الزرقانى (وتعقب بأن الرواية الصحيحة بالجزم على النهى لا على حكاية الحال وحمله عليها لا يكون إخباراً عن أمر شرعى ، بل عن قضية يشترك فى معرفتها الخاص والعام ، وحمل كلام الشارع على الشرعيات التى لا تعلم إلا من جهته أولى ، وأيضاً فان أبان راوى الحديث فهم أن المراد النهى ، وأنكر على عمر بن عبيد الله وأقام عليه الحجة بالحديث ، وحمل النكاح على الوطء لا فائدة فيه ، إذ هو أمر مقرر يعلمه كل أحد ، وأيضاً فهو خلاف فهم راويه ، ولو صح فى الجملة الأولى لم يصح فى الثانية ، فإن قوله : ولا ينكح نهى عن التزويج بلا شك . وإذا منع من العقد لغيره فأولى لنفسه ، ولا حجة لهم فى قول ابن عباس أن النبى ﷺ تزوج ميمونه وهو محرم ، لأن سعيد ابن المسيب وغيره وهموه فى ذلك ، فإنه انفرد به ، وخالفته ميمونة (٣) وأبو رافع فرويا أنه نكحها وهو

---

(١) روى الأثرين مالك فى الموطأ ٢/٣٦٧

(٢) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٣٦٦

(٣) ميمونة بنت الحارث بن حزن بن الهزم الهلالية .: كانت آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ .. كما أنها آخر من مات من أزواج

حلال ، وهو أولى بالقبول لأن ميمونة هى الزوجة وأبو رافع هو السفير بينهما ، فهما أعرف بالواقعة من ابن عباس لأنه ليس له من التعلق بالقصة مالهما ، ولصغره حينئذ عنهما إذ لم يكن فى سنهما ولا يقرب منه ، فإن لم يكن وهما فهو قابل للتأويل بأن معنى وهو محرم فى الحرم ، لأن ابن عباس عربى فصيح يتكلم بكلام العرب ، وهم يقولون : أحرم وأنجد وأتهم إذا دخل الحرم ونجدا وتهامة أو فى الشهر الحرام ، كقوله : قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ، أى فى الشهر الحرام ، فإنه لم يكن محرما بحج ولا بعمرة ، أو على مذهبه أن من قلد هديه صار محرما بالتقليد ، فلعل ابن عباس علم بنكاحه بعد أن قلد هديه ﷺ ، أو أن عقد الإحرام من خصائصه ﷺ كما هو المعتمد عند المالكية والشافعية ، وعلى تقدير الإغضاء عن هذا كله .

فقد تعارض هو وحديث ميمونة وأبى رافع فسقط الاحتجاج بالخبرين ، ووجب الرجوع إلى حديث عثمان ، لأنه لامعارض له ذكره ابن عبد البر وغيره ويرجحه أن الصحيح عند أهل الأصول ترجيح القول إذا تعارض هو والفعل لقوة القول لدلالته بنفسه على الفعل)[1] .

وطال هذا النص للحاجة إلى الإشارة إليه فيما بعد ، ولبيان أن

= رسول الله ﷺ ، وتزوجها سنة سبع ، قالت عنها عائشة : كانت من أتقانا لله . وأوصلنا للرحم ، وأبصرت حبة رمان فى الأرض فأخذتها وقالت : إن الله لايحب الفساد ، وكان اسمها بره — بفتح الراء المشددة — فسماها الرسول ﷺ ميمونة ، وماتت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة إحدى وستون ، وصلى عليها ابن عباس رضى الله عنه ، انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٢/٨ وما بعدها « دار صادر بيروت .

(١) شرح الزرقانى على الموطأ ٣٦٦/٢ ، ٦٧

سعيد بن المسيب لما بلغه قول ابن عباس فى زواج الرسول ﷺ من ميمونه وهو محرم لم يوافقه ، وكان الحق مع سعيد فى هذه المسألة كما سبق .

وإن كنت أميل إلى قول من قال بتأويل قول ابن عباس ، لأنه اللائق به ،

النموذج . الثالث عشر

« عن مالك عن محمد بن عبد الله بن أبى مريم أنه سأل سعيد بن المسيب عن ظفر له انكسر وهو محرم ، فقال سعيد : اقطعه »[١].

قال الزرقانى : « قلمه ولا شىء عليه كما فى المدونة »[٢] ، ومعلوم أن هذا فى الضرورة ، وهذا مأخوذ من أن النبى ﷺ احتجم وهو محرم فوق رأسه[٣] ، وهذا لوجع كان به ، وهو إجماع من العلماء ، ولو أدت إلى قلع الشعر لكن يفتدى إذ قلع لقوله تعالى « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية »[٤] ، وبه قال ابن عمر ، فقد أخرج مالك فى الموطأ عنه أنه كان يقول : لا يحتجم المحرم إلا مما لا بد منه ، وقال مالك : لا يحتجم المحرم إلا من ضرورة[٥] ، وجاء فى الموطأ أيضا (سئل مالك عن الرجل يشتكى أذنه أيقطر فى أذنه من الألبان التى لم تطيب وهو محرم ؟

فقال : لا أرى بذلك بأسا ، ولو جعله فى فيه لم أرى بذلك بأسا ،

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ ٢/٣٨٨
(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٣٨٨
(٣) أخرجه مالك فى الموطأ ٢/٣٦٨
(٤) سورة البقرة آية ١٩٧
(٥) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٢/٣٦٨

قال مالك — أيضا — : ولا بأس أن يبط — بضم الباء : يشق — المحرم خراجه ، ويفقا دمله — بضم الدال — ، ويقطع عرقه إذا احتاج لذلك[١] .

ونرى فى هذا النموذج فقه سعيد واقتدائه فى فتواه بما فعله رسول الله ﷺ ، وبما قال به شيخه عبد الله بن عمر ، وعن سعيد أخذ مالك وغيره من الفقهاء ، واستشهدوا به ، كما نرى يسر الشريعة الإسلامية ، وفسحتها ، ومراعاتها صحة المسلمين فى كل الأوقات . حتى فى حالة أداء الفرائض ، واستنتج العلماء هنا مشروعية الطب والتداوى ، وجعلوا لكل منها شروطا وآدابا . .

النموذج : الرابع عشر

« حدثنى يحيى عن مالك أنه بلغه أن سعيد بن المسيب سئل عن المرأة تشترط على زوجها أنه لا يخرج بها من بلدها ، فقال سعيد بن المسيب : يخرج بها إن شاء ... »[٢] .

قال الزرقانى (.. الأفضل الوفاء بالشرط .. جاء عن جماعة أعلام عمر بن الخطاب قال : لها شرطها . والمسلمون عند شروطهم ، ويؤيده حديث « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »[٣] . وجاء من السلف أعلام على بن أبى طالب . . عن عبادة بن عبد الله قال : رفع إلى على رجل تزوج إمرأة وشرط لها دارها فقال على : شرط الله قبل شرطها أو قبل شرطه ، ولم ير لها شيئا . وشرط الله قوله « اسكنوهن من حيث سكنتم »)[٤] ، ويلاحظ فى هذه المسألة رأيين :

---

(١) موطأ الإمام مالك ٣٦٨/٣

(٢) رواه مالك فى الموطأ ١٧٧/٣

(٣) أخرجه البخارى فى النكاح ، باب الشروط فى النكاح ١٧٨/٩

(٤) سورة الطلاق الآية ٦

الأول : عدم وجوب الوفاء بهذا الشرط ، وذهب إلى هذا كل من : الزهرى وقتادة والليث والثورى ، وبه قال مالك والشافعى وأبى حنيفة، وهو قول على بن أبى طالب وسعيد بن المسيب ، وهو رواية عن عمر بن الخطاب ، فقد روى ابن وهب بإسناد جيد أن رجـلا تزوج إمرأة وشرط لا يخرجها من دارها ، فارتفعوا إلى عمر فوضع الشرط وقال : المرأة مع زوجها[1] .

وقد استدلوا بعدة أدلة نذكر منها :

١ ـ أن رسول ﷺ قال « المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا »[2] ، ووجه الإستدلال : أن مثل هـذا الشرط يحرم الحلال وهو التزوج والتسرى والسفر ونحوه .

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ « .. ما بال رجال يشترطـون شروطا ليست فى كتاب الله ، فأيما شرط كان ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، فقضاء الله أحق وشرط الله أوثق .. »[3]، ومثل هذا الشرط ليس فى كتاب الله تعالى ، لأن الشرع لا يقتضيه .

٣ ـ وقد أفتى بذلك وقال به ـ كما سبق قريبا ـ عمر ، فقد جاء فى البخارى « قال ابن عمر أو عمر كل شرط خالف كتاب الله فهو باطل وإن اشترط مائة شرط .

---

(١) انظر : نيل الأوطار للشوكانى ٦ / ١٦٢ ، مكتبة الكليات الازهرية

(٢) رواه الترمذى فى النكاح باب ماجاء فى الشرط عند النكاح ٢٧٥/٤ دار الفكر .

(٣) أخرجه البخارى فى العتق ، باب : استعانة المكاتب ١٤٤/٥م٤، وفيه فوائد كثيرة فيراجع

وقال أبو عبد الله : يقال عن كليهما عن عمر وعن ابن عمر »[١] ، وكما سبق شرط الله تعالى قوله « اسكنواهن من حيث سكنتم » كما ذكره الإمام على رضى الله عنه .

الرأى الثانى : يجب الوفاء لها بالشرط ، فإن لم يفعل وتنازعا فسخ النكاح ، والقائل بهذا عمر فى أحد الروايتين ، وسعد بن أبى وقاص ومعاوية وعمرو بن العاص وعمر بن عبد العزيز ومن الأئمة أحمد ابن حنبل .

وقد استدلوا بعدة أدلة نذكر منها :

١ — قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »[٢] والأمر بوجوب الوفاء هنا واضح ،

٢ — « عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »[٣] .

٣ — واستشهدوا بقول سيدنا عمر « مقاطع الحدود عند الشروط »[٤] وأيضا روى « المسور — بكسر الميم وفتح الواو — بن مخرمة قال :

---

(١) أخرجه البخارى فى الشروط ، باب : المكاتب وما لا يحل من الشروط ٥ /٢٧٢

(٢) أول سورة المائدة

(٣) سبق تخريجه

(٤) أخرجه البخارى فى النكاح ، باب : الشروط فى النكاح ١٧٨/٩ .

سمعت النبي ﷺ ذكر صهرا له فأثنى عليه فى مصاهرته فأحسن . قال : حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفى لى »[١] ، إلى غير ذلك من أدلة .

ونجد هنا فريقا يرى وجوب الوفاء للمرأة إذا اشترطت عدم خروجها من بلدها ، وفريقا يرى الوجوب بالوفاء ، وقد ذهب قوم باستحباب الوفاء للخروج من الخلاف كالإمام مالك وغيره[٢] .

ويرى آخرون التفصيل فهناك شروط يجب الوفاء بها وأخرى لا يجب الوفاء بها ، مثل إذا شترطت المرأه طلاق إختها[٣] .

وإن كنت أميل إلى القول بوجوب الوفاء فيما لا نص فيه . . .

النموذج . الخامس عشر

تروى بعض الكتب لبعض العلماء أن لسعيد بن المسيب رأيا فى المحلل له

---

(١) المرجع السابق ١٧٨/٩ والذى يقصده الرسول ﷺ هنا هو أبو العاص بن الربيع وأمه هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجه أم المؤمنين رضى الله عنها فهى خالته ، وكان قد تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ قبل البعثة وهى أكبر بنات الرسول ﷺ ، وقد أسر أبو العاص ببدر مع المشركين ، وفدته السيدة زينب فشرط عليه النبى ﷺ أن يرسلها إليه فوفى له بذلك ثم أسر أبو العاص مرة أخرى فأجارته زينب رضى الله عنها فأسلم ، فردها الرسول ﷺ إليه ، ومات سنة اثنتى عشرة ، انظر : فتح البارى ٧ / ٦٨

(٢) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٣ /١٧٨

(٣) انظر : هذا مفصلا فى فتح البارى ١٧٨/٩ وما بعدها ، والمغنى لابن قدامة ٥٤٧/٦

وبسط المسألة هكذا : إذا تزوج رجل إمرأة وطلقها طلاقا بائنا ، فإنه يمكن العودة إليها مرة أخرى ، وذلك إذا عقد عليها رجل غيره ، فالعقد عند سعيد — كما نسبوا إليه — يكفي لعودتها لزوجها الأول، وإن لم يمسها الثاني ، وقد بسطها القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره »[١] فقال « واختلفوا فيما يكفي من النكاح ، وما الذي يبيح التحليل ، فقال سعيد بن المسيب ومن وافقه : مجرد العقد كاف ... وذهب الجمهور من العلماء ، والكافة من الفقهاء إلى أن الوطء كاف فى ذلك ، وهو التقاء الختانين الذى يوجب الحد والغسل، ويفسد الصوم والحج ، ويحصن الزوجين ، ويوجب الصداق... وعلى هذا جماعة العلماء إلا سعيد بن المسيب فقال : أما الناس فيقولون : لا تحل للأول حتى يجامعها الثانى ، وأنا أقول: إذا تزوجها تزوجا صحيحا لا يريد بذلك إحلالها فلا بأس أن يتزوجها الأول ، وهذا قول لا نعلم أحدا وافقه عليه إلا طائفة من الخوارج،والسنة مستغنى بها عما سواها قلت — القرطبي — وقد قال بقول سعيد بن المسيب سعيد بن جبير ذكره النحاس)[٢] .

والتحقيق فى هذه المسألة ما قال به جميع الفقهاء ، واتفق عليه علماء الأمة ، للأدلة الصريحة ، والتى لا يمكن بحال الخروج عنها ، ومن قال بخلاف ما أجمعوا عليه فقد شذ وباء بالإثم ، وأتى بغير دليل لأن تحريم المحلل والمحلل له ثابت بصريح الكتاب والسنة ،واجمع عليه علماء الأمة.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٩٥٦/٢ ، دار الشعب ، وانظر فتح البارى لإبن حجر ٣٨٣/٩ ، شرح الزرقانى على الموطأ ١٨٠/٣

ومن الأدلة :

١ — وضوح الآية الكريمة «حتى تنكح زوجا غيره» والنكاح هنا الوطء لا العقد، كما ذهب جميع العلماء، ولا تحتاج الآية إلى تأويل.

٢ — وإذا كان القرآن الكريم بين المعنى والمقصد، فإن السنة المشرفة زادت الأمر تأكيدا وبيانا، فقد أخرج البخارى فى عدة مواضع، وبروايات مختلفة فى صحيحه «عن عائشة رضى الله عنها أن رفاعة القرظى تزوج امرأة ثم طلقها فتزوجت آخر، فأتت النبى ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه إلا مثل هدبة — بضم الهاء وسكون الدال — فقال : لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك»[1].

قال ابن المنذر (أجمع العلماء على إشتراط الجماع لتحل للأول)[2]، وإذا تعذر الجماع لأمر ما فإنها لا بد من زوج آخر يحصل منه ذلك دون أن يريد بهذا الجماع تحليلها لزوجها الأول الراغب أو الراغبة فى الرجوع إليه، كل ذلك إحترازا من المحلل لأن المشرع حرمه تحريما قاطعا، ولا يأتى الحل بالعقد بحال، كما يفعله بعض الجهلة.

٣ — جاء فى السنة لعن المحلل والمحلل له، واللعن هو الغضب والطرد من رحمة الله تعالى، «فعن عبد الله قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمتوشمة والواصلة والموصولة وآكل الربا وموكله والمحلل والمحلل له»[3].

---

(١) أخرجه البخارى فى الطلاق، باب : إذا طلقها ثلاثا ثم تزوجت بعد العدة زوجا غيره فلم يمسها ٣٨٣/٩

(٢) فتح البارى ٣٨٥/٩

(٣) أخرجه النسائى فى الطلاق، باب : إحلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ ١٤٩/٦، ورواه غير النسائى من أصحاب السنن.

وجاء اللعن للمحال والمحلل له لأن هذا التحليل دليل على الخسة ، وهتك المروءة ، وانعدام الغيرة والحمية ، والشرف والنخوة ، فضلا على أن المحلل كالتيس المستعار إلى آخر الصفات المرذولة لكل منهما ، وظاهرة وجود المحلل والمحلل له ظاهرة خبيثة إجرامية تفشت فى بعض الأوساط التى تتخذ أحكام الشرع لهوا وعبثا ، ولا ضابط لهم عند أحكام الشريعة ، وتفشت عندهم ظاهرة الطلاق لأوهى الأسباب ، ثم يتحايلون على الخروج من عبثهم بالحرام .

الدفاع عن سيدنا سعيد :

إذا كان بعض العلماء أوردوا فى كتبهم رأى سعيد — كما سبق — فإنى أرجح تنزيه سيدنا سعيد عن هذه المقولة للأسباب التالية:

١ — أن سعيد بن المسيب سيد التابعين بلا مدافع ، وهو فقيه الفقهاء بالإتفاق بين جميع العلماء ، فكيف يسند إليه هذه المقولة وهى مخالفة لنص كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ ؟!

إن هذا أمرا مستبعد جدا .

٢ — إن سعيد بن المسيب — كما سبق — قد أثنى عليه صحابة رسول الله ﷺ ، وبخاصة عبدالله بن عمر رضى الله عنها ، حتى أن عبدالله بن عمر كان يحيل الناس إليه للأفتاء ، ويقول لهم : عودوا إلىّ وأخبرونى بما أفتاكم ، وكان راضيا كل الرضا عن فتاويه ، فلو كان لسعيد آراء تخالف الكتاب والسنة ما كان ليحيل الناس إلى سعيد ، وأيضا ما كان لمثل ابن عمر ليسكت عن فتوى تخالف القرآن والسنة ، وإجماع علماء الأمة ، وإذا سكت ابن عمر — وهذا غير ممكن — فأين العلماء الآخرون من بقية الصحابة والتابعين ؟!

٣ — ولقد سبق القول بأن سعيد كان يصوب بعض فتاوى بعض الصحابة ، ويأخذ العلماء بتصحيحه ، فكيف يذهل بن المسيب عن مثل هذا الحكم الواضح الصريح ، وقد ذكر الفقهاء أن سيدنا سعيد كان قد خطأ شريحا فيما ذهب إليه (قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب إن شريحا قال : يبدأ بالمكاتبة قبل الدين أو يشرك بينهما شك شعبة — أحد رواة الراوية — قال ابن المسيب أخطأ شريح وإن كان قاضيا ، قال زيد بن ثابت يبدأ بالدين)[١] ، والعلماء يذكرون ما كان بين سعيد بن المسيب وعكرمة من مراجعة في بعض الفتاوى . وكان سعيد يقول لغلام عنده اسمه برد — بضم الباء — لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس[٢] من ذلك مثلا ما جاء في الطبقات الكبرى (حاج سعيد بن المسيب عكرمة في زواج ميمونة ، فكان عكرمة يقول تزوجها — رسول الله ﷺ وهو محرم ، وقال سعيد كذب ، إذهب إليه ... سأحدثك : قدم رسول الله ﷺ وهو محرم فلما حل تزوجها)[٣] .

وقد ناظر سعيد بن المسيب ربيعة بن أبي عبد الرحمن ،وكان ماقاله سعيد هو ما قال به العلماء ، وعليه مضت السنة ، جاء في الموطأ « عن ربيعة . . أنه قال : سألت سعيد بن المسيب كم في إصبع المرأة ؟ فقال : عشر من الإبل ، فقلت : كم في إصبعين ؟ قال: عشرون من الإبل ، فقلت: كم في ثلاث ؟ فقال : ثلاثون من الإبل، فقلت : كم في أربع ؟ قال:عشرون من الإبل . فقلت : حين عظم جرحها — بضم الجيم — واشتدت مصيبتها نقص عقلها ! فقال سعيد: أعراقي أنت؟ فقلت: بل عالم متثبت، أوجاهل متعلم ، فقال : هي السنة يا بن أخي »[٤] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لإبن عبد البر ٨٧/٢، دار الكتب العلمية.
(٢) انظر : المرجع السابق ١٥٦/٢
(٣) ابن سعد ١٣٥/٨ (٤) الإمام مالك ٢٣١/٤

وقوله : أعراقى أنت معناه : أتأخذ بالقياس المخالف للنص ؟! .

فيعيب على من يأخذ بالقياس مع وجود النص ، فكيف يفعل هذا والنص موجود فى القرآن والسنة ؟!

والمقصود هنا أن سعيد لم يكن يخالف القرآن والسنة ولا يرد عليه العلماء فى عصره ، إذ لم يثبت ذلك ، وكان الفقهاء فى هذا العصر أقوياء شجعان فى قول الحق ، وتأبى نفوسهم الأبية أن يتركوا الخطأ يمضى بينهم ، من دون مواجهته ، ولقد ألف ابن عبد البر بابا فى قول العلماء بعضهم فى بعض[1] من تصويب بعضهم لبعض إذا خالف أحدهم نصا من النصوص ، بل إن كثيرا من الفقهاء قد تعرضوا للضرب بالسياط والسجن بل والقتل فى سبيل الحق ، ولو تكالب عليه الظالمون ، وسعيد بن المسيب واحد من هؤلاء الفقهاء النبلاء الذى تعرض للضرب بالسياط ودخول السجن من أجل الحق والثبات عليه كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

٤ — إن كثيرا من العلماء حاولوا تأويل قول سعيد فقال ابن المنذر لعله لم يبلغه الحديث فأخذ بظاهر القرآن[2] وقال ابن عبد البر : أظنه لم يبلغه الحديث[3].

ومع أن هذه محاولة لدفع ما نسب إلى سعيد إلا أنه يعكر عليه أن سعيد بن المسيب هو الذى روى « عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ فى الرجل تكون له المرأة يطلقها ثم يتزوجها رجل آخر فيطلقها قبل أن

---

(١) انظر : جامع بيان العلم وفضله ١٥٦/٢

(٢) انظر : فتح البارى لابن حجر ٣٨٥/٩

(٣) انظر : شرح الزرقانى على الموطأ ١٨٠/٣

يدخل بها فترجع إلى زوجها الأول قال : لا حتى تذوق العسيلة »[١] .

فالرجل قد بلغه الحديث ، وعلى هذا فكيف يروى سعيد هذا الحديث ويفتى بخلاف ما روى ، وهو المعروف عنه التمسك بالقرآن والسنة ، وهو الفقيه العالم الثبت ، والذى أخذ عنه جلة الفقهاء وقالوا بما أفتى به سعيد ، وكلامه عندهم حجة يحتجون ويستشهدون بما قاله .

٥ — ولقد ذكر ابن حجر نقطة لها أهميتها فى الدفاع عن سعيد فقال (أن الحديث لو كان عند سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا ما نسبه إلى ما مقالة الناس الذين خالفهم ، ويؤخذ من كلام ابن المنذر أن نقل أبى جعفر النحاس فى معانى القرآن وتبعه عبد الوهاب المالكى فى شرح الرسالة القول بذلك عن سعيد بن جبير وهم ، وأعجب منه أن أبا حيان جزم به عن السعيدين سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ولا يعرف له سند عن سعيد ابن جبير فى شىء من المصنفات)[٢] ويؤخذ من هذا النص أن العلماء وهموا من نسب هذا القول إلى سعيد بن جبير ، وتعجبوا منه تعجب إنكار فإذا كان هذا القول منسوبا للسعيدين ، وتم توهيم من نسبه إلى بن جبير ، أفلا ينساق هذا الوهم وهذا الإنكار على ما نسب إلى سعيد بن المسيب هو الآخر .

٦ — وعلى كل حال لو كان هذا حدث من سعيد فإنها زلة عالم فذ ، وكبوة جواد متقن ، وليس هناك معصوم بعد رسول الله ﷺ ، وهى لا تنقص من قيمة الرجل ، ولا قيمة ما ورد عنه من فقه ولقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا فى الحدود »

---

(١) أخرجه للنسائى فى الطلاق ، باب : إحلال المطلقة ثلاثا والنكاح الذى يحلها به ١٤٩/٦ .

(٢) فتح البارى ٣٨٥/٩ ، ٨٦ .

ولقد وردت له عدة روايات تفيد إقالة عثرة من لم يعرف بالشر ، أو صاحب الصغيرة ، أو حتى صاحب الكبيرة الأولى ، ويتوب منها وذلك، منها « أقيلوا السخى زلته — بفتح الزاى — فإن الله آخذ بيده كلما عثر» « تجافوا عن عقوبة ذى المروءة » ، « تجافوا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر » ، « تجاوزوا عن ذنب السخى وزلة العالم وسطوة السلطان العادل فإن الله آخذ بيديهم كلما عثر عاثر منهم »[1] .

وقد فسر الشافعى ذوى الهيئات (بمن لم يعرف بالشر ، وقيل أراد أصحاب الصغائر ، وقيل من يندم على الذنب ويتوب منه ، وفى عثراتهم وجهان : صغيرة لا حد فيها ، أو أول زلة ولو كبيرة صدرت من مطيع ..)[2] . ومن من ذوى الهيئات إذا لم يكن سعيد بن المسيب من ذوى الهيئات !! وعلى هذا فلا حجة للعابثين بعرضهم وشرفهم ونسائهم فى مسألة المحلل والمحلل له .

وأكتفى بهذا القدر من ذكر النماذج للمسائل الفقهية التى قال بها سعيد ابن المسيب ، ولو أخذنا كل ما ورد عنه فى هذا الشأن لطال بنا المقام ، فقد أفتى الرجل فى مسائل شتى ، وفى موضوعات متنوعة بخلاف ما سبق منها على سبيل المثال : الرهان[3] ، إذا ملك إمرأته أمرها[4] ، والمرأة تتزوج برجل مجنون[5] ، وأجل الذى لا يمس إمرأته[6] ، والطلاق

---

(١) انظر : هذه الروايات فى كنز العمال ٣٠٩/٥ وإن كان قال فى بعضها ضعف ، مؤسسة الرسالة .

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ١٧٣/١ مؤسة الرسالة .

(٣) انظر فتح البارى لإبن حجر ٥٤/٦

(٤) الموطأ ٢٢٤/٣ وما بعدها من شرح الزرقانى على الموطأ .

(٥) ٢٣٧/٣ (٦) ٢٧٧/٣

للرجل والعدة للنساء[1] ، وطلاق السكران[2] ، وإنعدام القدرة على الإنفاق[3] والرضاعة[4] ، ومسائل كثيرة فى المعاملات[5] ، وإذا جئت أرضا يوفون أهلها المكيال[6] ، والشفعة[7] ، وقاتل الزانى فى إمرأته[8] وحد الشارب[9] ، وعقل المرأة[10] ، وعقل الأسنان[11] إلخ ولو قام باحث وجمع كل فقه سعيد بن المسيب لكان بحثاً وعملا قيماً .

وإذا كان ما سبق من فقه سعيد أخذ به جل العلماء أو كلهم ، إلا أن هناك بعض المسائل الفقهية — وهى بحق قليلة جداً — خالفه بعضهم ، وقد يكون منهم الإمام مالك رضى الله عنه .

---

(١) ٢٧/٣
(٣،٢) ٢٨٢/٣
(٤) ٣١٢/٣ ، ١٣
(٥) ٣٦٤/٣ ، ٣٧١ ، ٣٧٧
(٦) ٤٢٤/٣
(٧) ٤٧٧/٣
(٨) ٢١/٤
(٩) ٢٠٥/٤
(١٠) ٢٢٢/٤
(١١) ٢٣١/٤

المبحث السادس

سيدنا سعيد بن المسيب داعية

تمهيد :

ظهرت على ظهرت وانتشرت ملل ونحل متعددة ، ولا سند لها من الحق ، ولا برهان لها من الصدق ؛ فأصدمت مع الفطر السوية ، لما تحمل بين طياتها من عقائد باطلة ، وأسس فاسدة ، وأحكام متناقضة ، وأخلاق وآداب متضاربة ، ورموز مبهمة ، وشعائر غامضة وغير واضحة المعنى ، يصعب على ذو الأفهام — حتى عند أصحابها — شرحها وبيان حكمتها . ومن ثم أخذ التغيير والتبديل مأخذه منها وفقا للظروف لمحاولة إقناع إتباعها بها ، ولتزداد رقعتها ، واتخذت لهذا أساليب متنوعة منها الشعارات البراقة ، والآمال الواهية ، والكذب والخداع ، وشراء عقولهم وذممهم فإن لم تجد هذه الأساليب فليكن البطش والقهر والإستبداد ، والتنكيل والتعذيب ، وإحاكة المؤامرات ، وسفك الدماء لكل من حاول كشف الغطاء عن زيف معتقداتهم ، وما يتمخض عنها من إفرازات سخيمة منها الصراع النفسى المرعب وكان من نتائجه القلق والإضطراب والرعب والجنون ، والأمراض النفسية والعقلية بكل أنواعها ، وكان الإنتحار الفردى والجماعى ، ثم الطغيان المادى المرعب ، واللهث وراءه ، ومحاولات إشباعه بشتى الأساليب ، فكانت المشاحنات والصراعات الإجتماعية ، فانتشرت العصابات ، وظهر التعصب ، والعنصرية ، وخربت الذمم ، وفشى الظلم وعمت الفواحش ، وارتفع لواء الغاية تبرر الوسيلة ، وويل للمغلوب من الغالب ، فانتشرت الفوضى فى أرجاء الأرض ، وعم الفساد فى البر والبحر ، وشاع الطمع والجشع ، وانتشرت الحروب وساد

القهر والبطش إلخ ، ومن ثم كان المجتمع البشرى فى حاجة إلى عقيدة سليمة تتفق مع فطرة البشر السوية ، وتأخذ بأيديهم من وسط هذا الركام من جهالات مضللة ، وظلمات دامسة . وأذكر هنا عدة موضوعات

الموضوع الأول : حاجة العالم إلى الإسلام :

إن الدين الإسلامى هو الذى اختاره الله عز وجل رب العالمين إلى خلقه منذ وجود الإنسان على ظهر هذا الكوكب إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهو الدين المتفق والمتناغم مع فطرة الله تعالى فى الإنسان ، كما أنه العقيدة الوحيدة التى تخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور العلم والمعرفة ، ومن الصراعات المدمرة إلى واحات الأمن والسلام ، ومن الهدم والخراب والهوان إلى البناء والتعمير والعزة ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن وحل الكذب والغش والخداع إلى رياض الصدق والأمانة والثقة ، ومن الحقد والكراهية إلى المودة والمحبة ، ومن الإختلاف والشقاق والنفاق إلى الألفة والتعاون والوآم ، وقد كانت البشرية تنحرف عن تلك القيم أو بعضها ، فيرسل الله عز وجل بفضله ورحمته نبيا ورسولا إليهم ليقيمها على جادة الطريق إلى أن منّ الله تعالى عليهم بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأرسله بآيات معجزة خالدة أبدية ، لا تبديل فيها ولا تحريف ، وهى القرآن الكريم ، وفيه العقيدة السليمة ، والتشريعات القويمة ، والأخلاق والآداب النبيلة الفاضلة .

واتصف الدين الإسلامى الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات أساسية ملازمة له ومن هذه الصفات .

— أنه ربانى المصدر ، فهو من عند خالق الخلق ، وأحكم الحاكمين ، الخبير والعليم بما يصلح به العباد ، فهو بعيد عن أهواء البشر وتقلباتهم ،

— كما أنه يتصف بالسهولة واليسر ، فلا صعوبة فيه ، ولا مشقة على فهمه ، ولا فى تطبيق أحكامه ، بل له تشريعات وأحكام خاصة بأصحاب الأعذار مثل الصغير والكبير ، والمرضى والعجزة ، وأصحاب العاهات .

— وهو دين شامل ، ونعنى بتلك الشمولية، شموليته لكل بنى البشر من أبيض وأحمر وأسود ، عربى وعجمى ، وكذلك شموليته للإنسان من قبل مولده إلى مابعد مماته ، على كل أحواله ، وكل أعماله ونشاطه .

— كذلك يتصف الدين الإسلامى بالواقعية ، فلاأوهام ولاخيال، ولامثالية فارغة المعنى والمضمون ، بعيداً عن الشعارات المزيفة.

— ومن خصائصه كذلك أنه متناغم مع فطرة الإنسان ، ومنسجم معها ، وهذا يؤدى إلى السلام النفسى والإجتماعى ، والأمن والأمل[1] .

والدين الإسلامى مضمون النتائج والعواقب من فلاح وبناء وتعمير وسلام وطهارة وعفة ، وتقدم وعلم ونصر وعـــزة وألفة وتعاون وإحسان .

— ومن الخصائص البارزة فى الدين الإسلام أنه نظيف وطاهر فى أساليبه ، فهو يبغض العنف والقهر والإغراء والغش والخداع والنفاق والإكراه ، يبغض كل هذا فى بسط عقيدته وأحكامه وتشريعاته وأهدافه ومراميه ، من هنا كانت حاجة العالم اليه ، مما ينشده من خيرى الدنيا والآخرة ، ووجبت الدعوة اليه.

---

(١) أنظر هذا مفصلا : الخصائص العامة للإسلام د / يوسف القرضاوى .

الموضوع الثانى — التعريف بالدعوة :

جاء فى لسان العرب معان متعددة لمادة : دعا ، فقد تأتى بمعنى الإستغاثة أو العبادة مثال الأول قوله تعالى «وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين»(١) ومثال الثانى قوله تعالى «إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم»(٢) ، وتأتى بمعنى الدعاء ومثاله قوله تعالى «أجيب دعوة الداع إذا دعان»(٣) ، والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، والدعاء واحد الأدعية ، وأصله دعاو ، لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت .

وفى كتابه ﷺ إلى هرقل : أدعوك بدعاية الإسلام أى بدعوته ، وهى كلمة الشهادة التى يدعى إليها أهل الملل الكافرة ، ودعا الرجل دعواً ودعاء أى ناداه . والاسم الدعوة ، ودعاه : ساقه ، قال تعالى «وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً»(٤) ، معناه : داعيا إلى توحيد الله ومايقرب منه ، والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، والنبى ﷺ داعى الله تعالى ، وداعى الأمة إلى توحيد الله وطاعته ، قال تعالى مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن «ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣
(٢) سورة الأعراف آية ١٩٤
(٣) سورة البقرة آية ١٨٦
(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٦

أليم ، ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أوليك فى ضلال مبين »[1] ، وكذلك المؤذن داعى الله[2] ، وهكذا دارت مادة دعاء حول معان متعددة ، ويتحدد معناها بدقة حيث موضعها فى الكلام .

وفى الإصلاح :

تتعدد التعريفات للدعوة الإسلامية بين علمائها .

فقال أحدهم هى : جمع الناس على الخير ، ودلالتهم على الرشد ، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[3] .

وقال آخر : حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل[4] .

والتعريفان السابقان متقاربان فى المعنى ، وإن كان الثانى أوضح من الأول .

وقال الثالث : هى حركة إحياء للنظام الإلهى الذى أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ[5] .

---

(١) سورة الأحقاف الآيتان ٣١ ، ٣٢

(٢) أنظر : لسان العرب لإبن منظور ١٣٨٥/٢

(٣) أنظر : أسس الدعوة وآداب الدعاة صـ ٩ د/ محمد السيد الوكيل دار الوفاء .

(٤) أنظر : هداية المرشدين للشيخ على محفوظ صـ ١٧ ، دار الاعتصام .

(٥) أنظر : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ، للدكتور / رءوف شلبى صـ ١٥

وهناك تعريف نرتضيه وهو : نقل الأمة من محيط إلى محيط[١]،

ويقصد صاحبه نقل الأمة عن طريق الدعوة من محيط العادات والتشريعات والأنظمة الفاسدة والجاهلية إلى محيط نور الاسلام بما يحتويه هذا المحيط من طمأنينة نفس ، وسلامة العقيدة ، وعزة ورخاء ، وسعادة فى الدنيا والآخرة ، إلى آخر ماذكرناه سابقا من خصوصيات الاسلام.

وأود أن أنبه هنا أن هناك من المصطلحات التى قد تلتبس على البعض ويختلط أمرها عليهم مثل الدعاية والاعلام والاعلان بمناهم الحديث.

فإذا كانت الدعوة والدعاية مثلا أصلهما اللغوى واحدا ، إلا أن هناك فروقا جوهرية بينهما ، وإن كان الاعلام الاسلامى يتفق فى معناه الاسلامى مع معنى الدعوة الاسلامية[٢] .

---

(١) أنظر : تذكرة الدعاة للأستاذ/البهى الخولى ص ٣٠

(٢) الدعاية بمعناها الحديث هى : محاولة التأثير فى عقول الجماهير ونفوسهم والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها ، وذلك فى مجتمع معين وزمان معين ، والاعلام هو : التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها . وهناك فروق جوهرية بينهما منها .

١ — إن الاعلام يقدم حقائق مجردة .. والدعاية تهدف إلى غاية معينة .

٢ — مصدر الاعلام فى المعلومات يكون معروفا ، أما مصدر المعلومات فى الدعاية يكون غير معروف .

٣ — يحاول الاعلام توسيع المشاركة الجماهيرية بهدف التوصل إلى إشراك الجمهور فى وضع القرار ، أما الدعاية فإن هدفها أضعاف روح المشاركة ، وبالتالى عرقلة روح التعاون وإقامة الحواجز بين الجمهور والحكام .

الموضوع الثالث : حكم تبليغ الدعوة :

إن أية دعوة — عند كل الناس — سواء أكانت دعوة إلى الخير أم إلى الشر لابد لها من أناس يؤمنون بها ، ولابد لها من دعاة يحملونها إلى غيرهم هذه حقيقة لابد من تقريرها .. وإذا كان أصحاب الملل والنحل الضالة والنظريات المفسدة قد جندوا لها جنودا ، وأعدوهم إعدادا ، وتم تدريبهم تدريبا جيدا على استخدام كل الأساليب لحمل الناس ـ كل الناس ـ على اعتناق معتقداتهم وأفكارهم . إذا كان الشر له دعاة ، والباطل له ناسه ، أفلا يكون للخير رجاله ، وللحق دعاة يدعون الناس ـ كل الناس ـ إليه ، ويحسنون عرضه . أفمن يدعو الناس إلى عبادة الواحد الأحد ، الخالق لكل شيء ، الرحمن الرحيم ، الرزاق المحي المميت . الهادي والنور إلى آخر صفات الجلال والكمال أفمن يدعو لهذا لمن يدعو الناس إلى

= ٤ — يستخدم المشتغلون بالدعاية أساليب قد لا تتفق مع الأخلاق والمثل النبيلة ، كالكذب ، والتمويه والخداع ، أو الاختلاق والشائعات المغرضة ، كل هذا بغرض التأثير في الجماهير ليسلكوا سلوكا معينا ، بعكس الإعلام فإنه — في الغالب — يتحرى الصدق والأمانة ، وينتهج القائمون به أسلوبا أخلاقيا .

٥ — تعتمد الدعاية على الإيحاء مستغلة في ذلك سلبيه الأفراد ، وتضييق منطقة التردد لديهم ، دون أن تدع لهم الفرصة في التفكير الهادىء المتعمق . ومن ثم تقوم بتشويه أفكار الناس ومعلوماتهم .

٦ — الدعاية ترمى إلى تحقيق غايات معينة مع التضحية بكل شيء ، فهي لا تعني بإيقاظ الوعي لدى الناس . بعكس الإعلام . أنظر هذا مفصلا : الإعلام الإسلامي د/ محي الدين عبد الحليم ص ٧٩ ، مكتبة الخانجي .

عبادة الأب والإبن وروح القدس ثلاثة فى واحد وواحد فى ثلاثه [١].
أوكمن يدعو إلى إله مجسم محسوس يبكى ويهزم ، أوكمن يدعو إله صنم
كأن يكون حيوان أو هـوى أو طاغية أو طاغوت . أفمن يدعو إلى
السلام والأمن والأمل كمن يدعو إلى اشعال نيران الفتن والحروب وسفك
الدماء ، والخراب وهلاك الحرث والنسل . أفمن يدعو إلى التكافل
الإجتماعى ، والتعاون الدولى على البر والتقوى كمن يدعو إلى العداوة
والشقاق والكراهية والأحقاد أفمن يدعو إلى البناء والتعمير وبذل الجهد
فى الخير والمعرفة والطيب كمن يدعو إلى الخراب والتدمير والفسق
والفجور والفواحش . أفمن يستخدم أطهر وأنبل الأساليب فى الدعوة كمن
يستخدم أساليب الغش والخداع والنفاق وسفك الدماء ، وإلغاء الحرية
والفكر ؟ !

أفمن يدعو إلى الفضائل كمن يدعو إلى الرزائل ؟ !

أفمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كمن يأمر بالمنكر وينهى عن
المعروف ! !

ومن هنا وجب حمل لواء الدعوة الإسلامية ، ووجب نشرها بين
ربوع الدنيا ، وإخراج الناس من أوهام الدعوات الباطلة ، وانقاذهم
من براثن الملل والنحل الضالة ، لفوزهم بسعادة الدنيا والآخرة والعمل
على انعتاقهم من الأفكار والنظريات والتشريعات الناقصة والمغرضة ،
والأخلاق الفاسدة المفسدة . .

ولقد ثبت وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية بالكتاب والسنة واجماع
الأمة :

---

(١) جهابذة القساوسة لا يفهمون هذا .

فمن الآيات القرانية قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[١].

وقال تعالى « وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[٢] .

وقال جل ثناؤه « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »[٣] .

ومن فقه هذه الآيات :

(ا) فريضة على المسلمين كافة ، وعلى الحكام خاصة أن يعدوا طائفة منهم للقيام بحمل رسالة الدعوة الإسلامية ، وبهـــذا تكون أبرأت . ذمتها أمام الله تعالى فى القيام بواجبها ، لأن الأمة الإسلامية أمة دعوة .

(ب) إذا قصرت الأمة أو تباطأت فى أداء هذا الواجب فقد باءت بالإثم والخسران ، وعاقبها الله تعالى أشد العقاب على هذا الإهمال قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »[٤] .

(ج) إن مهمة هذه الطائفة :

— دعوة الناس جميعا إلى الخير ، وكلمة الخير كلمة جامعة تشمل

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢
(٣) سورة الزاريات الآية ٥٥
(٤) سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩

كل مبادىء وأحكام الشرع ، لأن الشرع الإسلامى كله خير ، ولا خير إلا فيه[١] .

— والقطب الأعظم للدعوة الإسلامية هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فبه تحفظ الشريعة ، وتصان أحكامها ، من أن يتجاوز حدودها المعتدون والعابثون .

— إن الدعوة لهذا القطب الأعظم فى الإسلام ، لا تذهب هباء ، بل ستؤتى ثمارها ، ويجنى الناس من طيباتها ما يصلحهم وينفعهم فى دنياهم وأخراهم .

— والحق لا يقوم ولا ينتشر بنفسه ، بل لا بد له من رجال أبرار يؤمنون به ، ويسرى مع دمائهم فى عروقهم ، وتتشرب به أفئدتهم ، ثم يقومون بالدعوة إليه ونشره بين الناس ، ويتحملون فى سبيله الآلام ، ويبذلون فى ذلك النفس والنفيس ، وهؤلاء الرجال لهم منزلة عندالله تعالى وسيأتى المزيد فى ذلك إن شاء الله تعالى فى المبحث اللاحق .

الموضوع الرابع : منزلة الداعية :

إن حامل لواء الدعوة إلى الله عز وجل لهو أفضل الناس ، وأعلاهم كعبا ومنزلة . وحامل المسك لا يتساوى بحال مع نافخ الكير ، ورافع مشاعل الهدى والنور لا يتساوى بحال مع رافع مشاعل الضلال والفجور . ولا يستطيع عاقل أن يسوى بين من يدعو الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن يدعو الناس من النور لإدخالهم فى غياهب الظلمات .

وكفى الداعية إلى الحق شرفا وفخرا أنه يحمل رسالة صفوة خلق الله ،

---

(١) انظر معانى خير : لسان العرب ١/١٢٩٨

ومن اصطفاهم الله تعالى واختارهم سفراء بينه تعالى وبين خلقه ، وهم الأنبياء والرسل . وأفضلهم جميعا سيدنا محمد ﷺ ، فرسل الله وأنبياؤه هم أصحاب الدعوة الأوائل ، والداعية على مناهجهم يسير ، وبدعوتهم يدعو ، فهو وارث ميراث النبوة ، وكما جاء فى الصحيح « العلماء ورثة الأنبياء »[١] .

ولقد قال الله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »[٢] .

وقال جل ذكره « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون »[٣] .

ولقد أفاضت سنة رسول الله ﷺ ، وسبحت سبحا طويلا فى بيان منزلة الداعية وفضله فى الدنيا والآخرة من هذا :

— قول رسول الله ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »[٤] .

— « وعن أبى مسعود الأنصارى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أبدع بى[٥] فاحملنى ، فقال : ما عندى ، فقال رجل : يارسول الله

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سورة فصلت الآية ٢٢

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٠

(٤) أخرجه مسلم فى العلم ، باب : من سنة حسنة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٢٧/١٦

(٥) بضم الهمزة وكسر الدال : كلت ركابه ، وعطبت ، وبقى منقطعا

أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[1] ويلاحظ في الحديثين السابقين مدى الثواب المنهمر على .

الدال والداعي للخير عامة ، وعلى الداعية خاصة . كما أنهما يؤكدان المسابقة والمسارعة والترغيب للعمل في مجال الدعوة وأن هذا من أجل وأشرف الأعمال .

— «وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: الدين النصيحة ، قلنا : لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[2] . وهذا الحديث يوضح وجوب النصح، والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وتعني كذلك كل خير، وهي من الكلمات البليغة مثل كلمتي الخير والفلاح ويوضح مصدر الداعية لأخذ النصائح وتوجيه وارشاد الناس إليها وهو: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ . فهذا هو المنهل العذب الذي يستقي منه الداعية أصول وموضوع دعوته وأسلوبه وآدابه . كذلك يوضح إلى من تتجه دعوته ، إلى كل الناس من حكام ومحكومين ، ولا يخشى أحدا في الله .

ومثل الحديث السابق ما جاء «عن جرير بن عبد الله قال : بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم »[3] ، فكأن شرط الإسلام النصح للمسلمين ، ولا يقوم بهذا خير قيام سوى الدعاة .

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب : إعانة الغازي في سبيل الله ٦ / ٤١

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة ٢ / ٣٧

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة =

. . . .

= ٣٩/٢ ، وجرير راوى الحديث له مناقب عدة منها : أن جريرا أمر مولاه أن يشترى له فرسا . فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن . فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم ، قال ذلك إليك يا أبا عبد الله ، فقال : فرسك خير من ذلك، اتبيعه بخمسمائة درهم، ثم لم يزل يزيده مائة فائة وصاحبه يرضى، وجرير يقول :فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ، فقيل له فى ذلك فقال: إنى بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. أنظر: شرح النووى لصحيح مسلم ٢/٤٠، ومن أساليبه السامية فى الدعوة ، وأدبه الجم الرفيع قال الشعبى : كان جرير هو وجماعة مع عمر فى بيت ، فاشتم عمر من بعضهم ريحا ، فقال : عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ ، فقال جرير : أو نقوم كلنا فنتوضأ يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر: نعم السيد كنت فى الجاهلية ، ونعم السيد أنت فى الإسلام ، انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٤/٥٤٦ ، وله فى البخارى عشرة أحاديث انظر : مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٥٨٣ ، وله أحاديث متعددة فى كتب السنة الأخرى ، ومن مناقبه وفضائله قوله « ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا ضحك — فى رواية : إلا تبسم — وقال : كان فى الجاهلية بيت يقال له الكعبه اليمانية أو الشامية فقال لى رسول الله ﷺ : هل أنت مريحى من ذى الخلصه فنفرت إليه فى خمسين ومائة فارس من أحمس — بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الميم — قال: فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيناه وأخبرناه فدعا لنا ولأحمس ، أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب =

وناشر العلم ، والقائم بشئون الدعوة خالد الذكر بين الناس ، ولا تموت ذكراه بموته ، وعطاؤه ممدود ، وثوابه عند الله غير مقطوع ، والدليل على هذا .

ــ قول رسول الله ﷺ « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[1] .

وفى رواية « ثلاث تتبع المسلم بعد موته صدقة أمضاها يجرى له أجرها وولد صالح يدعو له وعلم أفشاه فعمل به من بعده »[2] .

وقد أخذ النووى من الحديث (بيان فضيلة العلم والحث على الإستكثار منه ، والترغيب فى توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح ، وأنه ينبغى أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع)[3] .

وهذا يلقى على الداعية مسئولة جسام من الإجتهاد والجد فى

= رسول الله ﷺ ، باب : ذكر جرير ٧ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، أسلم جرير رضى الله عنه عام الوفود سنة تسع وتوفى سنة خمسين وقيل بعدها ، انظر : فتح البارى ١٠٤/٧ ، والبداية والنهاية ٥٤٧/٤

(١) أخرجه مسلم فى الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٨٥/١١ عن أبى هريرة

(٢) رواه ابن عبد البر فى كتابه جامع بيان العلم وفضله ١٢/١

(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ٨٥/١١

النصح للناس ، والإخلاص فى دعوته ، حتى يحظى بهذه الدرجات، وهذا الكم العظيم من الثواب حتى وهو فى عالم الغيب .

وقد قال الحكماء (علم الرجل ولده المخلد)[١] .

ومن الأحاديث التى تستنهض الهمم ، وتثير الشوق والحب للإشتغال فى حقل الدعوة قول رسول الله — ﷺ — لسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه « ياعلى لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس »[٢] والأحاديث فى تبيان منزلة الداعية كثيرة ، وإذا كان الداعية يرجو رحمة الله تعالى وفضله فليبذل قصارى جهده فى تبليغ رسالة الإسلام إلى كل عباد الله أينما وجدوا فى أى مكان على أرض الله تعالى . وعليه أن يتخذ من الأساليب المتاحة والمناسبة ، والتى قد يتفتق فكره — بإخلاصه وتوفيق الله له — فى توصل أحكام الشريعة.

الموضوع الخامس : وسائل تبليغ الدعوة :

إن الإسلام عندما أظل على البشرية بنوره — وهو الدين العالمى ، وهو دين دعوة - أبدع لنشر أحكامه وسائل تتناسب مع مبادئه السامية والرفيعة ، ولم تكن هذه الوسائل معروفة — أو أكثرها على الأقل — عند الناس ، وتتلمذت البشرية على الإسلام ورسوله ﷺ فى وسائل الدعوة ، وإن كانت إتخذت هذه الوسائل فيما يضر ولا ينفع ، ويفسد ولا يصلح ، ويهدم ولا يعمر ، وحورت هذه الوسائل لأغراض شريرة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٦/١

(٢) رواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله ١٢٢/١ وعزاه إلى الطبرانى فى معجمه الكبير .

وخبيثة لنشر مبادىء الضلال والفساد، ومن الوسائل التى إخترعها الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية، والناس كل الناس عالة عليه وعلى الداعية أن يكون على وعى بها.

١ — وسيلة الإتصال الشخصى :

وهذه الوسيلة كانت أول الوسائل التى إتخذها الرسول ﷺ فى أول أمر الدعوة إلى الإسلام، فاتصل بالسيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها، كما إتصل بعلى بن أبى طالب، وأبى بكر رضى الله عنهما، وغيرهم كثير، وأثمرت هذه اللقاءات أطيب الثمار، ودخلوا فى دين الله، واتخذها أبو بكر الصديق وأسلم على يديه الكثير مثل : عثمان بن عفان، والزبير ابن العوام، وعبد الرحمـــن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله وعثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم[١].

وغيرهم كثير من أجلاء الصحابة، والذين أبلوا بلاء حسنا فى الإسلام، واصبحوا روادا فى الدعوة إلى الله تعالى هم الآخرون، وكل هذا تم بالاتصال الفردى، وقد درسها الذين يهتمون بالوسائل الإعلامية، وادركوا أثرها الفعال فى التأثير من بين وسائل الإعلام، وقالوا : أن الإتصال الشخصى هو أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرا على الرأى العام، نظرا لقدرة هـــذه الوسيلة على إحداث تأثيرات بعيدة المدى تفوق كل المصادر الأخرى، ذلك أن هذا المجال يتطلب المواجهة المباشرة بين المرسل والمستقبل بما لا يسمح للمستقبل بتجاهل هذا المرسل الذى أمامه، وهذا

---

(١) أنظر : السيرة النبوة لابن هشام ١٨٢/١، مكتبة حميدو، البداية والنهاية لابن كثير ٣٧/٢، دار الغد.

يتيح الفرصة لتبادل الأفكار والآراء من الجانبين، ويعطى للمتلق فرصة الإستيضاح والسؤال عما يعن له للتأكيد والتمحيص، وتمكن فى هذه الوسيلة — أيضا — قدرتها على مواجهة أى عداء أو معارضة للفكرة من جانب الشخص الواقع عليه الإتصال، كما أنها تؤثر فى السلوك، وتمتاز مصادر المعلومات الشخصية بسهولة الإتصال بها، وإمكان تصديق ما تأتى به من معلومات طالما أن مصدر هذه المعلومات محل ثقة من قبل المستقبل(١).

والمقصد هنا أن وسيلة الإتصال الشخصى أبدعها رسول الله ﷺ واتخذها أصحابه الأجلاء فى الدعوة إلى الله عز وجل، وهى أول وسيلة إتخذها الرسول ﷺ.

وقد كانت الوسيلة المتاحة فى هذا الوقت من مراحل الدعوة، وقد أعطت نتائج باهرة، ونالت الدراسات الكثيرة من المشتغلين بالإعلام فى العصر الحديث، نظرا لما لها من آثار، وإن كانوا يتخذونها لأغراض مغرضة، وعلى الدعاة إلى الله تعالى ألا يغفلوا عنها(٢).

---

(١) أنظر: الإعلام الإسلامى، د/ محى الدين عبد الحليم ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) قمت بدعوة بعض الناس لأداء الصلاة، وبخاصة صلاة الجمعة ووفقت كثيرا بفضل الله تعالى.

٢ — الإتصال الجماعي :

وهذه الوسيلة هي الأخرى إستخدمها رسول الله ﷺ لتبليغ الإسلام للناس ، فكان يعرض نفسه الشريفة على الناس ويتتبعهم، ويبلغهم رسالة الإسلام ، واتخذ لذلك وسائل متعددة منها :

(أ) كان ينتهز فرصة تجمع الناس في الأسواق ويعرض دعوته عليهم قال ابن كثير (أخبر : ربيعة بن عباد — وكان جاهليا فأسلم — قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذوغد يرتين يقول : إنه صابيء كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب)[1] .

(ب) وكذلك يتبع تجمع الناس في ديارهم ومنازلهم في بلدانهم ، ومثال ذلك ما فعله الرسول ﷺ عندما انتقل إلى أهل الطائف وهم في ديارهم ودعاهم إلى الإسلام[2] .

وكذلك الداعية المخلص لدين الله تعالى ويرجو له الإنتشار ، ويرجو لنفسه الفلاح ، وقلبه فياض بحب الخير لعباد الله، ويرجو لهم من الفلاح ما يرجوه لنفسه، فإذا لم يأتوا إليه ذهب هو إليهم ويتحمل المشاق والمصاعب ، والناس تعرف كيف كان رد أهل الطائف على رسول الله ﷺ ، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ عندما ذهب إلى الطائف عرض دعوته على سادة ثقيف وأشرافهم ، وهذا له مغزى عميق ، فإن كبار القوم إذا إستمعوا وتلقوا الدعوة بالقبول فإن هذا له اثره الفعال في إتباعهم ، ومن هم وراءهم ، وقد كسبت الدعوة أقواما بهذه الطريقة الفذة .

---

(١) البداية والنهاية ٢/٥٠ وانظر : السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٨ ، والغديرتان : ذؤابتان من شعر . (٢) انظر البداية والنهاية ٢/١٦١

(ح) ومن صور الإتصال الجماعى ما كان ﷺ يقوم به ، وهو عرض الدعوة الإسلامية فى الزمن الذى يتجمع فيه الناس . فقد عرض الرسول ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب فى مواسم الحج[1] ، ولقد حظيت الدعوة بهذه الوسيلة بدرجات عظيمة من الإنتشار والتمكين ، ودليل ذلك ما فعله الرسول ﷺ فى بيعة العقبة الأولى والثانية مع أهل المدينة وكان من نتيجة ذلك أن انتقلت الدعوة ومركزها إلى المدينة ، وأصبحت فيما بعد مركز الدعوة والدولة الإسلامية ، ومنها انطلقت قوافل النور ، ومشاعل الهدى إلى ربوع الدنيا . .

(د) ومن صور الإتصال الجماعى الذى استخدمه الرسول ﷺ . الأماكن المعهودة للناس عندما ينادى من فوقها أحـــد يجتمعون . فقد صعد الرسول ﷺ جبل الصفا ثم نادى بأسلوب مخصوص تعرفه الجماهير (ياصباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ : يابنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟ قالوا : نعم قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال : أبو لهب — لعنه الله — تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ..)[2] .

(هـ) ومن الوسائل التى اتخذها رسول الله ﷺ فى الإتصال الجماعى ، استمالته ﷺ للجموع من باب الحرص عليهم ، وتبليغ رسالة ربه ، وذلك أنه ﷺ أمر عليا أن يصنع طعاما وشرابا من لبن ويدعو كبار

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٦٥/٢ ، ٩٦،٩٥ والسيرة النبوية لإبن هشام ١٧/٢، ١٩ .

(٢) البداية والنهاية ٤٧/٢ .

القوم فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فقدم لهم ما أعده من الطعام والشراب وبعد أن أكلوا قال لهم رسول الله ﷺ : إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه[1] .

٣ — ومن الوسائل التى اتخذها الرسول ﷺ فى تبليغ دعوة الإسلام إرساله الدعاة إلى القبائل والعشائر والبلدان ، كما أرسل سيدنا مصعب ابن عمير إلى يثرب — المدينة — لتبليغ أهلها الإسلام ، وتعليهم أحكامه وكان لأسلوبه البليغ فى الدعوة إلى الإسلام الأثر العظيم فى نشر الإسلام بين أهلها[2] . وكانت بمثابة التمهيد لهجرة رسول الله ﷺ . وكما أرسل الطفيل بن عمرو الدوسى بعد أن أسلم إلى قومه ودعوته إياهم إلى الإسلام[3] وغيرهما .

٤ — ومن الوسائل أيضا فى الدعوة إلى الإسلام ، واتخذها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : إرساله الكتب والرسائل إلى ملوك الآفاق يدعوهم فيها إلى الله عز وجل ، وإلى الدخول فى الإسلام ، ويذكر العلماء أن ذلك تم بعد صلح الحديبيــة ، وعقد الهدنة بين الرسول ﷺ وبين قريش ، وهذا التوقيت فى إرسال الكتب له مغزاه العميق فى الدعوة إلى الإسلام ، وهو أن الرسول ﷺ لم يضيع وقتا فى تبليغ رسالة الإسلام

---

(١) انظر المرجع السابق ٢/٤٨، ٤٩ .

(٢) انظر : منهاج مصعب فى الدعوة إلى الله عـــز وجل البداية والنهاية ٢/١٨١ .

(٣) انظر . منهاج الطفيل فى الدعوة إلى الله عز وجل السيرة النبوية ٢/٢٥٤ .

وانتهز فرصة الهدنة وأرسل الرسل بالكتب والرسائل وهذا هو شأن الدعاة المخلصين للدعوة ، ودرس بليغ لهم فلا وقت ضائع عندهم ، وانتهاز الفرصة المناسبة لوصول الدعوة إلى الناس ، وابتداع الوسيلة المناسبة فى الوقت المناسب . وقد سجلت كتب السنة ، وكتب السير كتب رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الملوك الجبابرة ومن هؤلاء كتابه إلى قيصر وكسرى وصاحب اليمامة وعمان ومصر والحبشة وغيرهم . ومن الجدير بالذكر أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا فى قمة النشاط والتحفز والهمة فى نشر الإسلام وتعاليمه ، ولم يتوانوا لحظة واحدة فى هذا ، وقد ذكر ابن كثير : أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ، ثم قال أما بعد : فإنى أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا على ، كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم فقالوا : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك فى شىء أبدا ، فمرنا وابعثنا[1] .

وقد ذكر ابن هشام أسماء الرسل الذين أرسلهم الرسول ﷺ ، ومن أرسل إليهم فقال : (بعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتابا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ؛ فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوس ملك الاسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى ملكى عمان ، وبعث سليط بن عمرو إلى ثمامة بن أثال وهوذه بن على ملكى اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب إلى الحارث ابن أبى شمر ملك تخوم الشام ، وبعث المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن)[2] ولا تعليق على رد هؤلاء الملوك على

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧١٨/٢ .

(٢) السيرة النبوية ١٤٣/٤ ، وانظر : فتح البارى لإبن حجر ١٠٤/٨ =

على رسول الله ﷺ هنا ، لكن المهم أن رسول الله ﷺ تخذ وسيلة إرسال الكتب ، وكتب إلى كل واحد بما يناسبه فى الدعوه ، واختار الرسل اختيارا دقيقا ، وانتهز فرصة الهدنة مع قريش، ولم يتوان فى تبليغ الدعوة إلى الناس كافة فى جميع الآفاق .

= والبداية والنهاية لابن كثير ٥١/٣ وما بعدها .

ولأهمية هؤلاء الرسل الدعاة أشير إلى اثنين منهم ، وما أرسلوا به ، وإلى من :

دحية : صحابى جليل القدر ، أسلم قديما . كان شغوفا بحب نشر الإسلام وتعاليمه ا وداعية صدق ، وأحد فرسان الإسلام ، وإن كان لم يشهد بدراً إلا أنه شهد ما بعدها ، وشهد اليرموك وكان من أحسن الناس وجها ، وكان سيدنا جبريل ينزل بالوحى على صورته كثيراً . أقام بالمزة — غربى دمشق — إلى أن مات فى خلافة معاوية . انظر : البداية والنهاية ٥٣٦/٤ وفتح البارى ٢١/١ . ونص الرسالة التى حملها « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » أخرجه البخارى قبل كتاب الإيمان ٣٢/١ والاريسيين : الفلاحين .

عبد الله بن حذافة / بضم الحاء ، قرشى ، هاجر وأخوه قيس إلى الحبشة كان من سادات الصحابة ، وأحد الشجعان الأبطال ، والفرسان المشهورين ، تواقاً لنشر الإسلام بين جميع خلق الله ، وكان أبى النفس =

. . . .

= بأبى الضيم ، وكان شغوفا باعزاز دين الإسلام ومن صور اعتزازه بالإسلام ، وإعزازه له :

(أ) أسرته الروم فى عهد عمر بن الخطاب فى جملة ثمانين من المسلمين، فأرادوه على الكفر ، فأبى عليهم ، فقال الملك : قبل رأسى وأنا اطلقك ومن معك من السلمين ، فقبـــل رأسه ، فاطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك ، ثم قام عمر فقبل رأسه قبل الناس .

وتوفى فى زمان خلافـــة عثمان بن عفان . انظر البداية والنهاية ٢٨٨/٤ .

(ب) أسره الروم — مره أخرى — فحبسه طاغيتهم فى بيت فيه ماء ممزوج بخمر ولحم خنزير مشوى ، ليأكل الخنزير ، ويشرب الخمر ، وتركه ثلاثة أيام من غير زاد ولا ماء ، ثم أخرجه خشية موته ، فقال : والله لقد كان الله تعالى أحله لى ؛ فإنى مضطر ، ولكن لم أكن لأشمتكم بدين الإسلام . انظر : المغنى لإبن قدامة ٣٠٨/٧ ونص الرسالة التى حملها .

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فإن تسلم — بضم التاء — تسلم بفتح التاء — وإن أبيت فان إثم المجوس عليك) البداية والنهاية ٢١٩/٧ .

● ــ حسن استقبال الوفود : ومن الوسائل التى حظيت بالدراسة فى مجال الدعوة إلى الله عز وجل مافعله الرسول ﷺ مع الوفود التى هبت إلى عاصمة الدعوة والدولة الإسلامية ، والإلتقاء بصاحبها ، ومشافهته ، ومعرفة الإسلام ومايدعو إليه . فقد استقبلهم الرسول ﷺ بتواضع جم ، وأدب رفيع ، مبتسماهاشا باشا فى وجوههم ، مقدرا دورهم فى نشر الإسلام بين أقوامهم، فكان يرحب بهم مقدرا لكل وفدقدره ووضعه بين الناس . مثل ما قال لوفد بنى عبد القيس « مرحبا بالقوم غـــير خزايا ولا الندامى»[1]. ومثل مافعل مع وفد اليمن فعند قدومهم قال لهم ولأصحابه « هم منى وأنامنهم »[2] . وقال أيضا «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبا وارق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية »[3] .

وأعطى الرسول ﷺ هذه الوفود هدايا وجوائز مثل مافعل مع وفد : زيد الخيل[4] وفروة ، وبنى مرة ، وبنى عقيل بن كعب ، وبنى البكاء وبنى قشير بن كعب ، وتجيب ، وكندة وغيرهم[5] ، وعند وفودهم على رسول الله ﷺ كان يضيفهم ويكرمهم مثل ما فعل مع وفد بنى ثعلبة ، وبنى محارب .

وإذا كان لبعضهم حاجة قضاها مثل مافعل مع وفد بنى محارب[6] .

وربما أخذ أحدهم إلى بيته وا كرمه ، وعرض عليه الإسلام برفق ،

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى ، باب : وفد عبد القيس ٦٩/٧

(٢) ، (٣) أخرجهما البخارى فى المغازى ، باب : قدوم الأشعريين

(٤) سماه الرسول ﷺ زيد الخير .

(٥) انظر : تفصيل هذا البداية والنهاية ٨٠/٣ وما بعدها

(٦) انظر : المرجع السابق ١١٣/٣، ١١٤

وناقشة الوافد بما يحب ويرى ويمثل هذا قصة عدى بن حاتم الطائى . قال البخارى « عن عدى بن حاتم قال : أتينا عمر فى وفد فجعل يدعو رجلا رجلا ويسميهم ، فقلت : أما تعرفنى يا أمير المؤمنين قال : بلى ، أسلمت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، فقال عدى : فلا أبالى إذا » (١) .

وفى قصة اسلام عدى ووفوده على رسول الله ﷺ قال بن كثير (وقال ابن اسحاق : وأما عدى بن حاتم فكان يقول : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءا شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع (٢) وكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ، أعددلى من إبلى أجمالا ذللا — بضم اللام الأولى — سمانا ، فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : ياعدى ماكنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رآيات ، فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : قلت: فقرب إلى أجمالى ، فقربها فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجيوشية (٣) ، وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفنى خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم (٤) بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طى وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى وقصة وفد طى وحديث عدى بن حاتم ٨٣/٨ وقوله لا أبالى : يعنى لاأعبأ بتأخيرى فى الدعوة عن غيرى

(٢) ضريبة يأخذها الرئيس على الناس .

(٣) موضع بين نجد والشام (٤) بضم القاف وكسر الدال

إلى الشام ، قال : فجعلت [١] ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، وكانت السبايا تحبس بها ، فمر بها رسول الله ﷺ [٢] فقامت إليه ، وكانت إمرأة جزلة [٣] فقالت : يارسول الله ﷺ هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن على منَّ الله عليك ، قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم ، قال : الفار من الله ورسوله ، ثم مضى وتركنى ، حتى كان الغد مر بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ماقال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست ، فأشار إلىَّ رجل خلفه ، أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه فقلت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن على من الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت فلا تتعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك بلادك ، [٤] ثم آذنينى ، فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن كلميه ، فقيل لى : على بن أبى طالب ، قالت فأقمت حتى قدم ركب من بَلِىّ أو قضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، فجئت فقلت يارسول الله ﷺ ، قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة [٥] .

---

(١) بالبناء للمجهول

(٢) يلاحظ عناية الرسول ﷺ للأسرى ، بنفسه ، ولم يتعرض أحد منهم لقتل أو لضرب أوى أذى معنوى

(٣) بفتح الجيم وسكون الزاى وفتح اللام : والمعنى . تامة الخلق ، جيدة الرأى .

(٤) لاحظ حرصه ﷺ على مصاحبتها الرفقة المأمونة ، حتى تصل سالمة إلى بلادها ، ولم يجبرها على الإسلام

(٥) يلاحظ مدى تكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الاسيرة

فخرجت معهم حتى قدمت الشام . قال عدى : فوالله ، إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة(١) تصوب إلىّ تؤمنا قال : فقلت : ابنة حاتم قال: فإذا هى ، فلما وقفتْ علىّ انسحلت (٢) تقول:القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بنية — بضم الباء — والدك وعورتك ، قال : قلت : أى أخية — بضم وتشديد الياء — لاتقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ماذكرت — بكسر التاء — قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت إمرأة حازمة — ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليـــه فضله ، وإن يكن ملـكا فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت ، قال : قلت : والله إن هذا الرأى ، قال : فخرجت حتّى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم فقام رسول الله ﷺ وانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك .

قال : ثم مضى بى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها إلىّ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، قال : بل أنت ، فجلست ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض . قال قلت فى نفسى : والله ماهذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدى بن حاتم ! ألم تكن ركوسيا (٣) ، قال : قلت : بلى ! قال : إيه

---

(١) المرأة فى هودجها
(٢) أخذت تلوم وتسخط واسمها سَفَانة
(٣) بفتح الراء وضم الكاف ، وهى دين بين النصارى والصابئين

ولم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى : قال : فإن ذالك لم يحل لك فى دينك قال : قلت : أجل والله، قال : وعرفت أنه نبى مرسل يعلم مايجهل — بضم الياء — ثم قال : لعلك ياعدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم ، حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ماترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فوالله ليوشكين أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت لاتخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال : فأسلمت . قال : فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن .

وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه) [1] .

والنص السابق غنى فى بيانه عن التعليق فيما نقصد إليه من حسن استقبال الرسول ﷺ للوفود ، وتكريمه إياهم ، وماقصة عدى هذه إلا إحدى النماذج على ذلك : ولعل من المفيد هنا — ونحن فى مبحث سعيد داعية — أن نشير إلى فضل أخت عدى وكانت هى التى أشارت على أخيها بالتوجه إلى رسول الله ﷺ وكان ماكان من إسلام عدى . وبإسلامة أصبح أحد فرسان الإسلام ، وكان فى أول خيل أغارت على كنوز كسرى ، وشهد فتوح العراق ووقعة القادسية ، وكان مع خالد

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٨١ ومابعدها ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ١٢٥

ابن الوليد لما سار إلى الشام وشهد معه بعض الفتوح ، ومن شدة حبه لشرع الله وتعاليمه روى عنه أنه قال : مادخل علي وقت صلاة إلا وأنا مشتاق إليها . وكان من جوده وإحسانه للجيران أنه كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق ، توفى عام ٦٧هـ وقيل ٨٠ ، ٦٩[١]

ولعل هذا شبيه بقصة اسلام أبي طلحة ، فقد جاء في كتب السنة .

عن أنس قال : خطب أبو طلحة أم سليم[٢] « فقالت : والله مامثلك يا أبا طلحه يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا إمرأة مسلمة ، ولا يحل لى أن أتزوجك . فإن تسلم فذاك مهرى ، وما أسألك غيره ، فأسلم ، فكان ذلك مهرها ، قال ثابت — أحد الرواة — فما سمعت بإمرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم في الإســلام ، فدخل بها فولدت له »[٣] . فإذا كانت النساء يقمن بالدعوة إلى الإسلام هكذا ، فأين الرجال الدعاة إلى الله تعالى فى عصرنا هذا .

— وربما أرسل الرسول ﷺ مع بعض الوفود من يصالح القوم ويأخذ الجزية منهم ، بعد أن يرفض الوفد الدخول فى الإسلام وربما طلب الوفد صفات خاصة فى رسول رسول الله ﷺ. فكان صلى الله عليه يلبى رغبتهم من ذلك وفد أهل نجران ، فقد جاء فى صحيح البخارى «عن حذيفة قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال أحدهما : لا نفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجــلا أميناً حق أمين ، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح،

---

(١) انظر : الإصابة ٨/٤ ومابعدها .

(٢) بضم السين وفتح اللام

(٣) أخرجه النسائى فى النكاح ، باب : التزويج على الإسلام ١١٤/٦

فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة »[1] قال ابن حجر (وفى قصة أهل نجران من الفوائد : أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله فى الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام، وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته، وفى مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة ، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعى ، ووقع ذلك لجماعة من العلماء . ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلة ، ووقع لى ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين ، وفيها مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال... وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام . وفيها منقبة ظاهرة لأبى عبيدة بن الجراح)[2] والمجادلة والمباهلة فى القصة أحدى وسائل الدعوة إلى الإسلام .

وقد يجىء الوفد وفيه غلظة وشدة ، ويعلن صراحة أنه سوف يسأل أسئلة فيها شدة ، ورسول الله ﷺ يرد عليه برفق ، ويقول له سل ما بدالك ، ومثال ذلك ما فعله ضمام بن ثعلبة وافدا عن قومه بنى سعد بن بكر . قال ابن هشام (بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس بين أصحابه ، وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال: أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ، قال: محمد قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسألة فلا تجدن فى نفسك ،قال ﷺ : لا أجد فى نفسى ،فسل عما بدا لك قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ،وإله من هو كائن بعدك ،الله

---

(١) أخرجه البخارى فى المغازى، باب قصة أهل نجران ٧٦/٨

(٢) فتح البارى ٧٧/٨

بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك . الله أمرك أن تصلى هذه الصلوات الخمس ، قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها . حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصين دخل الجنة . فأتى بعيره فاطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى . قالوا : مه ياضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان . إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه . وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا إمرأة إلا مسلما . قال : يقول عبدالله بن عباس : فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة)[1]. والنماذج كثيرة التى استقبلها رسول الله ﷺ بطيب نفس ، وظهر فيها التواضع والأدب والأخلاق السامية ، وحسن عرض الإسلام ، وكرم الضيافة ، والرفق بالمدعوين ، والإخلاص فى نشر الإسلام بين الناس . وسماحة الإسلام، وطهارة وسائله فى الدعوة إليه وإرسال الدعاة الأمناء مع من يطلب منهم ذلك ، وإجازتهم وإعطائهم الهدايا ، والعفو عن من غلظ عليه منهم ، وإرسال

---

(١) السيرة النبوية ٤/١٢١ ، وأنظر: البداية والنهاية ٣/٧٧

النساء منهم فى رفقة مأمونة ، وإطلاق سراح من أسر منهن دون مقابل ، فكان لكل هذا الأثر الفعال فى تبليغ وإنتشار الإسلام ، وكل هذا دروس للدعاة فى الدعوة إلى الله عز وجل ، وقد ذكر ابن كثير أكثر من خمسين وفدا وفدوا علي رسول الله ﷺ ، وكان قدوم أكثر الوفود فى العام التاسع للهجرة أى بعد فتح مكة ، وكان الرسول والإسلام فى قمة القوة ، ولكن الرسول ﷺ تواضع لله وأستمر فى تبليغ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . والمجادلة بالتى هى أحسن . ولم تأخذه قوة المسلمين فى التغليظ والتعنيف للمدعوين .

٦ — ومن وسائل تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس والتى اتخذها رسول الله ﷺ القاء الخطب على مسامع الناس . ولها تأثير فعال فى إستمالة المتلقين ، وجذبهم إلى ما يدعو إليه الخطيب ، شريطة أن تكون الخطبة معدة إعداداً علمياً جيداً ، وأن تتوفر فى الخطيب شروطا خاصة، ولأهمية الخطابة لنشر الدعوة الإسلامية أتخذها الرسول ﷺ يوم أن جهر بالدعوة، وكان يخطب فى الوفود القادمة . وفى الجيوش الذاهبة للجهاد فى سبيل الله تعالى[1] ، وكان قواد الجيوش يخطبوا فى الجيوش قبل وأثناء المعارك ، وكان عليه الصلاة والسلام يكلف القادرين على الخطابة أن يقوموا بواجبهم تجاه إخوانهم ، ويدعونهم إلى الخير ويأمرونهم لهم بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر . وتذكر بعض كتب السير أن أول خطبة للرسول ﷺ كانت بصفته رائدا حيث قال فى خطبته «إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ،

---

(١) لاحظ أن الجهاد فى سبيل الله تعالى أحد الوسائل فى الدعوة إلى الله تعالى

وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً . وأنكم لأول من أنذر بين يدى عذاب شديد[1] . ولأهمية الخطابة إتخذها الرؤساء والقواد والقضاة الخ حتى قسم العلماء الخطب إلى أقسام فقالوا : الخطب السياسية والخطب الدينية والقضائية والحفاية ، والنكاح الخ ومن أجل هذا فرض الإسلام الخطابة فى صلاة الجمعة ، وجعلها إحدى الأركان لها حتى لا تصح الجمعة إلا بها . كما سن الإسلام الخطابة فى مثل صلاة الإستسقاء والحج والكسوف والخسوف والعيدين الخ .

والمقصود هنا أن الخطابة ضرورة للدعوة ، وقعد قواعدها رسول الله ﷺ . وإتخذها — لأهميتها — وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى .

٧ — مجالس العلم :

ومن الوسائل البليغة فى الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر أحكام الشريعة ، وبيان فضائلها مجالس العلم ، ولقد اتخذها الرسول ﷺ .

وأتناول هذا الموضوع بشىء من التفصيل لعدة أسباب :

(ا) أن مجالس العلم ضرورة للدعوة ، وكما سبق إستخدمها الرسول ﷺ ، فهو القدوة والمثل .

(ب) أن مجالس العلم تعقد غالباً فى بيوت الله تعالى ، وللمسجد آدابه وحرمته ، والجالس فيه لديه الإستعداد التام للإستماع والإستفادة .

(ج) أن مجالس العلم لها فائدة خاصة دقيقة ، وهى أن المتلقى يستطيع أن يستفسر عن ما يجول بخاطره بخلاف الخطبة مثلا .

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٦١/٢ دار صادر

(د) قد تتعدد موضوعات الدرس الواحد ، بسبب روح الإستطراد والأسئلة المطروحة من المستمعين .

(هـ) فى مجالس العلم قد يتبسط العالم مع المتعلمين ، وتحدث النكات العلمية ، وتسودها روح البساطة وتتخللها الدعابة . مما يروح عن المستمعين ، وهذا يجعلهم فى قمة إنفتاح العقل ، واستقبال العلم .

(و) وإن العالم فى مجلس العلم يتخذ الأساليب المتنوعة فى إلقائه للدرس ، مثل أن يطرح المسألة على المستمعين ، وينتظر منهم الإجابة ، فإن أجابوا شرحها ، وإن لم يوفقوا فى الإجابة ، أجاب هو ، وهذا أسلوب تربوى فى استمالتهم واستنهاض الهمم ، وتثبيت المعلومات . وسيأتى نماذج لهذا ، وبيان أكثر لأهمية مجالس العلم .

(ز) أن سيدنا سعيد بن المسيب رضى الله عنه كان جل دعوته فى نشر الإسلام ، وبيان أحكام الشريعة ، فى مجالس العلم التى كان يعقدها فى مسجد رسول الله ﷺ . وكان سعيد يتخذ هذه الوسيلة لعدة أسباب :

(١) إن سعيد لم يتخذ وسيلة أخرى مثل الكتابة والخطابة لأن الكتابة فى ذلك الوقت كانت عسيرة من حيث وجود أدواتها لتصنيف كتب فى أبواب العلم ، أو لعله كان ممن يكره الكتابة . وكان سعيد من أورع العلماء وكان يخشى من الكتابة عنه ، ومما روى عنه فى ذلك (قال يحى بن سعيد جاء رجل إلى سعيد بن المسيب فسأله عن شىء فأملاه عليه ثم سأله عن رأيه فأجابه ، فكتب الرجل ، فقال رجل من جلساء سعيد ، أيكتب يا أبا محمد رأيك ؟ فقال سعيد : ناولينها ، فناوله الصحيفة فخرقها)[1] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٤٤/٢

أما الخطابة فكانت من خصوصيات الولاة فحسب فى هذا الوقت، ولعله لم يخطب — أيضاً — لما كان بينه وبين بنى مروان — حكام هذه الفترة — من خصومات، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

فانتهز سعيد إتاحة الفرصة فى إلقاء دروسه فى مجلس العلم، ولم يتقاعس عن رسالة التبليغ.

(ب) أن سعيد قبل أن يجلس فى مجلسه كان قد امتلأ علما من فقه وتفسير، وعلوم القرآن، وحديث وعلوم الحديث. الخ، وصار الرجل مشهوداً له بالورع والزهد والعبادة — كما سبق — وأفاض على رواده من فيض علمه.

(ج) وعلى ذلك فقد احتشد له الناس، ورحلوا إليه من كل فج، وحرصوا على سماعه، والأخذ عنه، ونشروا علمه، وكان له تلاميذ نبلاء نجباء، يفخر بهم تاريخ الإسلام فى ضروب شتى فى العلوم والمعارف، كما سبق وأشرت إلى بعضهم.

(د) ولقد أدرك سعيد من ناحية أخرى فضل مجالس العلم عند الله تعالى. كأحد وسائل الدعوة، وبخاصة فى مسجد رسول الله ﷺ، وهو مركز لتجمع الناس، ومهوى أفئدتهم، ومحط رحالهم، ومن منا لا يروم الجلوس فى مسجد رسول الله ﷺ، ويلتقى بعلمائه الإجلاء، ويشرب من علمهم فالمكان له وقاره، ومهيأ تماما لصفاء النفوس، وتفتح القلوب للتلقى، وركوز العلم فى وجدان المستمع، ومن هنا كان الأثر الفعال فى سلوك الناس. وفضل مجالس العلم عامة لا يقدر.

فضل مجالس العلم :

أدرك سعيد بحسه الدقيق المرهف ، وفقه العالم العابد ، فضل الله تبارك وتعالى على من يقوم بهـذا الواجب ، وسعيد يبغي من وراء هذا مرضاة الله عز وجل ، أدرك سعيد هـذا فقام وأدى الرسالة المنوطة به . فعقد للدعوة مجلس علم ، وجند حياته لهذا الواجب . وانطلق سعيد من قواعد ثابتة من سنة رسول الله ﷺ ، وهو يوضح فضائل ومنزلة مجالس العلم ، وعلى سبيل المثال :

ــ «عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مايعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به ، قال أبو عبد الله قال اسحاق : وكان منها طائفة قبلت الماء قاع يعلوه ، والصفصف المستوى من الأرض »[1] .

قال ابن حجر (قال القرطبي وغيره : ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذى يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا حال كل الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحي البلد الميت فكذا علوم الدين تحي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت

---

(١) أخرجه البخاري في العـــلم ، باب : فضل في من علم وعلم ١/١٤٣ ، ١٤٤

فانتفعت فى نفسها وأنبتت فنفعت غيرها ، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله ﷺ : نضر الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التى لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها [١]

— وقد ذكر البخارى فى صحيحه أثراً وفيه « قال ربيعة [٢] لا ينبغى لأحد عنده شىء من العلم أن يضيع نفسه »[٣] ، ومراد ربيعة كما قال ابن حجر (أن من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغى له أن يهمل نفسه ، فيترك الإشتغال به « لئلا يؤدى ذلك إلى رفع العلم ، أو مراده الحث على نشر العلم فى أهله لئلا يموت العالم قبل ذلك فيؤدى إلى رفع العلم ، أو مراده أن يشهر العالم نفسه ، ويتصدى للأخذ عنه لئلا يضيع علمه ، وقيل مراده تعظيم العلم وتوقيره فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضاً للدنيا) [٤] وهذه المعانى كلها مرادة وطيبة ، ومنها ما يؤكد رسالة العلماء ، وواجبهم فى تبليغ شرع الله تعالى .

ومن الأحاديث التى وردت فى شأن الفيض الإلهى على العلماء والمتلقين وهى تشحذ همة الدعاة والمستمعين فى نشر العلم وتلقيه ، بكل الوسائل وبخاصة مجالس العلم .

---

(١) فتح البارى ١/١٤٤

(٢) هو ربيعه بن أبى عبد الرحمن الفقيه المدنى ، المعروف بربيعة الرأى ، وقيل سمى بذلك لكثرة اشتغاله بالإجتهاد .

(٣) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : رفع العلم وظهور الجهل ١/١٤٤ ، ٤٥

(٤) فتح البارى ١/١٤٥

— « عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامه ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[1]

وهذا الحديث أصل عظيم يبث روح المودة والتعاون بين الجماعة المسلمة ، ويبرز خير الله تعالى ورحمته على أهل مجالس العلم ، كما فيه لطيفة دقيقة ، وهى جديرة بالدراسة ، واستخدام الدعاة لها كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ، ألا وهى : أن الجزاء من جنس العمل ، وفقرات الحديث توضح هذه القاعدة الإسلامية [2] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ويؤكد هذه القاعدة مثلا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » سورة المجادلة الآية ١١ ، وقوله تعالى « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » سورة البقرة الآية ١٥٢ وقول رسول الله ﷺ « من بنى مسجداً — قال بكير : حسبت أنه قال — يبتغى به وجه الله تعالى بنى الله له مثله فى الجنة » أخرجه مسلم فى الزهد ، باب : فضل بناء المساجد ١١٣/١٨ عن عثمان بن عفان . وفى السنة كذلك « ... فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما =

— وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله وعز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك . قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ، قال : وهل رأوا جنتي ، قالوا : لا أي رب ، قال : فكيف لو رأوا جنتي ، قالوا : ويستجيرونك ، قال : ومم يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يارب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ، قالوا : ويستغفرونك ، قال فيقول : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا ، قال : فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء ، إنما مر فجلس معهم ، قال : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[1]

— ومن الأحاديث أيضاً في هذا الشأن « عن أبي سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ، قال ما أجلسكم إلا هذا !! قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال : أما إني لم استحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على

= الآخر فأعرض فاعرض الله عنه ، البخاري في العلم ، باب : من قعد حيث ينتهي به المجلس ١٢٧/١ ، والمقصود هنا أن الجزاء من جنس العمل ، وهو أسلوب للدعوة .

(١) أخرجه مسلم في فضل مجالس الذكر والدعاء ١٥/١٧

ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا ، قال : الله ما أجلسكم إلا ذاك ، قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إنى لم إستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه آتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة »[١] ،

وقال رسول الله ﷺ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله قال : مجالس العلم أو مجالس الذكر »[٢] والأحاديث والآثار فى فضل مجالس العلم كثيرة[٣] .

لقد أدرك سعيد بن المسيب مرامى كل هــذا عن رسول الله ﷺ وأصحابه الأبرار ، وهيأ نفسه علميا وأخلاقيا ، وشهد له بالعلم والتقى والورع أجلاء الصحابة — أساتذته — وأثنى عليه العلماء الأتقياء ووجد الوسيلة المتاحة أمامه ، فاتخذ مجالس العلم منبرا ، يبعث من خلالها معارفه، وعلوم الإسلام وتعاليمه ، وليؤدى واجب الرسالة المنوطة به ، وحرص على ثواب جزيل عند خالقه ، وكان سعيد فى مجلسه متأدبا بآداب الداعية الإسلامى .

وسوف أشير هنا إلى بعض الآداب الإسلامية التى يجب أن يتحلى بها الداعية ، وهذه الأخلاق وإن كانت خاصة بالداعية فى مجلس علمه ، إلا أنها تصلح بأن يتخلق بها أو ببعضها الخطيب فى خطبته ، والمحاضر فى محاضرته ، والمدرس فى مدرسته والأستاذ فى قاعات الدرس والمحاضرات فى كليته وأيضا المفتى فى فتواه الخ .

ولكى ينال مجلس العلم فضل الله تعالى ، ويفوز برحماته التى غمر بها

---

(١) أخرجه مسلم فى الكتاب والباب السابقين ١١/٣٢، ٣٣

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الدعوات ورقم الحديث ٣٥٠٩

(٣) انظر : الترغيب والترهيب للمنذرى ٢/٢٨٨، طوزارة الأوقاف .

مجالس العلم ، لكى يقوم المجلس برسالته الشريفة ،ويجنى المستمعين أطيب الثمرات ، ويشربوا أعذب الشراب ، وتتمتع أسماعهم بأرق الكلمات ، وتتفتح عقولهم وتتسرب إليها المعلومات ، وينسب إلى أفئدتهم رحيق العلم ، وتستنشق صدورهم أريج المعارف، ثم ينعكس كل هذا على قدرتهم فى تحصيل العلم ، واستقراره فى القلوب . واعتدال فى السلوك ، لكى يتم هذا فينبغى أن تتوفر شروطا وآدابا فى الداعية، والمدعو أو العالم والمتعلم.

آداب الداعية أو العالم فى مجالس العلم :

ينبغى فى البداية أن نقعد قاعدة أساسية ، وهى أن الإسلام سبق كل المناهج التربوية ، حين أشترط أوصافا وأخلاقا خاصة بالمربى ، وما جاء بعد ذلك عالة عليه ومن هذه الأخلاق .

أولا : ما يتعلق بآدبه فى نفسه :

١ — أن يقصد بتعليمه وجـه الله تعالى ، ولا يقصد به غرضا من أغراض الدنيا كرياسة أو منصب أو جاه أو شهرة ، أو إستمالة الناس ، أو غلبة أقرانه ، أو مال ، أو رضا رئيس أو حاكم الخ ، ومن القواعد التى قعدها الإسلام فى هذا قوله تعالى « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب »(١) .

وقوله تبارك وتعالى « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »(٢) .

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٢

(٢) سورة الإسراء الآيتان ١٨ ، ١٩

والآيات فى هذا كثيرة .

وأسهمت السنة فى تقرير هذا المبدأ من ذلك : قــول رسول الله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أوإمرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » (١) ، ولأهمية ابتغاء وجه الله فى الأعمال كلها ، وفى العلم خاصة بدأ بهذا الحديث إمام أهل الحــديث بلا مدافعة أبو عبد الله البخارى فى صحيحه ، وقد نقل جماعة أن السلف كانوا يستحبون افتتــاح الكتب بهذا الحديث تنبيهاً للعالم والمتعلم على تصحيح النيــة ، وإرادة وجه الله تعــالى بجميع أعمــاله البارزة والباطنــة :

وقد جاء فى السنة أيضاً « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجـل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء فقد قيـل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ، قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجـل وسع الله عليه ، وأعطـاه من أصناف المـال كله ، فأتى به فعرفه نعمه ، قال : فما عملت فيها ، قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيهـا إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت

(١) أول حديث فى صحيح البخارى .

ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه فى النار[1] .

— وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحتازوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار »[2] .

وقال عبد الله بن مسعود (لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها »[3] .

وقال أبو حازم « كان الفقهاء يستغنون بعلمهم عن أهل الدنيا ، ويقضون فى علمهم ما لا يقضى أهل الدنيا فى دنياهم فكان أهل الدنيا يقربونهم ويعظمونهم على ذلك ، فأصبح العلماء اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فلما رأى أهل الدنيا موضع العلم عند أهله زهدوا فيه وازدادوا رغبة فى نياهم »[4] .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه « ياحملة العلم اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، ويخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقا يباهى بعضهم بعضا حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله تعالى :
وعن حماد بن سلمة قال : من طلب الحديث لغير الله مكر به »[5] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الجهاد ، باب : من قاتل للرياء والسمعة ٥٠/١٣ — ٥١ .

(٢) رواه الدارمى فى باب : التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله . سنن الدارمى ١٠٤/١ ، دار الكتب العلمية .

(٣، ٤) جامع ابن عبد البر ١٨٨/١   (٥) المجموع النووى ٢٣/١

وقد ذكر الغزالي كلا مانفيسا ، وذكر بعض الآثار أنقل منه قوله : إن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا ، وأشد عذابا من الجاهل ، وان أقل درجات العالم — المربى — أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها ، وانصرامها ، وعظم الآخرة ، وأنهما — الدنيا والآخرة — لكفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر ، وأنهما كقدحين أحدهما ملآن والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر ، فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمهاثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل . . فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر ، مسلوب الإيمان ، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ، ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة فكيف يعد من زمرة العلماء ، ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان ، قد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته .

قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب ، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال يحي بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا ، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب ، وكان يحي بن معاذ الرازي رحمه الله .

يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كيسرية ، وأثوابكم ظاهرية ... ومراكبكم قارونية ، وأوانيكم فرعونية ، ومآثمكم جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فأين الشريعة المحمدية .

قال الشاعر :

وراعي الشاة يحمى الذئب عنها
فكيف إذا الرعاة لها ذئاب[1]

وكم من العلماء والمربين ضلوا السبيل ، وتنكبوا الطريق السوى ، فصاروا قدوة سيئة ، وأوقعوا الناس عامة ، وطلاب العلم خاصة فى حيرة ، وبلبلة ، ومن هنا فقد الناس الثقة فيهم ،ولا أثر فعال فى قولهم ، ولذلك نرى العملية التعليمية فى عصرنا هذا عاجزة عن أداء دورها المنشود فى حسن تربية النشىء الصالح .

ومن هذا الباب كراهية أن يشهر المربى نفسه للناس بالعلم ومدى اتقانه لمسائله ، وبخاصة فيما تخصص فيه ، ويود من وراء ذلك شهرته بين الناس ، ويبغى احترامهم وتوقيرهم ، وثناءهم وذهاب اسمه كل مذهب ، ويفرح هو لذلك ، ويسعى بكل همة فى إدراك أسبابه ، وهذا كريه ، يكرهه أصحاب النفوس الآبية ، والهمم الشامخة من العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يبغضون هذا المسلك المشين ، بل كانوا يذمون أنفسهم غاية الذم — مع علو مكانتهم — ويسترون أعمالهم غاية الستر .

(كان محمد بن واسع يقول : لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسنى . وكان إبراهيم النخعى إذا دخل عليه أحـــد وهو يقرأ فى المصحف غطاه ، وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عرفوا فى مكان ارتحلوا عنه ، وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء ، ويقول لمن يسأله الدعاء : أى شىء أنا .

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٥٣

ومن روى عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة رضى الله عنهما ،وكذلك مالك بن دينار ، والنخعى ، وكتب رجل إلى الإمام أحمد يسأله الدعاء ، فقال : إذا دعونا نحن لهذا فمن يدعولنا)[1] .

وليس معنى هذا أن يحاول العالم ذم نفسه أمام الناس لإظهار تواضعه وهو يبغى أن يترفع عندهم ، فالأمر دقيق ، والغرض والنية يعلمها الله تعالى ، هذا والآثار به كثيرة .

والمقصود هنا أن يجعل العالم — أى عالم لديه علم — لله تعالى ، ويبتغى به مرضاته ، ويبعد وساوس الشيطان عن نفسه من طلب غرض من الأغراض الدنيوية ،لأنها فانية ، والآخرة هى الباقية ،والعاقل لا يطلب الفانى ويترك الباقى .

٢ — أن يطهر باطنه ، ويقوم بإرساء القاعدة الفقهية الإسلامية وهى التخلية قبل التحلية فى نفسه ، فيطهر باطنه من الأخلاق المرزولة مثل الحسد والغل والحقد والكبر والفخر والخيلاء ، والمداهنة والغيبة والكذب والفحش والسمعة والغش والتنافس على الأشياء الدينوية والتكالب عليها ، إلى آخر هذه الصفات الرديئة . وأن يقوم بتدريب نفسه على غرس مكانها الفضائل النبيلة ، قال الآجرى (أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه ، لا يؤاخذ بالعثرات ، ولا يشيع الذنوب عن غيره . . ولا يفشى سر من عاداه ، ولا ينتصر منه بغير حق ، ويعفو ويصفح عنه ، ذليل للحق ، عزيز على الباطل ، كاظم الغيظ عمن آذاه ، شديد البغض لمن عصى مولاه ، يجيب الفقيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه ،لا مداهن،ولا مشاحن،ولا محتال، ولاحسود،ولا حقود،ولا سفيه، ولا جاف،ولافظ،ولا غليظ،ولا طعان،ولا لعان،ولا مغتاب،ولا سباب يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه ونهاه عما يكره مولاه ،

---

(١) جامع ابن عبد البر ١/١٧٩

ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاء على دينه ، سليم القلب للعباد من الغل والحسد ، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين فى كل ما أسكن فيه العذر ، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد .. الناس منه فى راحة»[1]

٣ — وعلى المعلم قبل أن يقوم بتحضير درسه ، وقبل إلقائه على المتلقين أن يسأل الله تعالى السداد والرشاد والتوفيق ، والهداية ، والعون ويدعو بإخلاص ربه فى ذلك ، لأنه بدون توفيق الله تعالى له لن يصل إلى مايريد توصيله إلى قلوب مستمعيه ، وقد يسمعون ، ولكن لا يصل إلى أفئدتهم ، ولا يحصدون ثمرته المرجوه ، وقد تستعصى عليه المسائل ، وتغرب عن عقله ، ويرتج فؤاده ، ويتعلثم لسانه . والشفاء من هذا هو طلب المعونة والرشاد من الله عز وجل ، وقد وضع الإسلام أساسا لهذه القاعدة لكل المسلمين فى كل شئونهم عامة ، وللمعلم خاصة ، وقد جاء فى القرآن والسنة نصوصا تحث على هذا ، فأصحاب الكهف ذكر الله تعالى دعوتهم عندما طلبوا من الله تعالى أن يمدهم ويحفهم برحمته وأن يهىء لهم من أمرهم رشدا ، فقال تعالى «إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا»[2] ، وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام طلب الهداية ، قال تعالى «قال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين»[3] .

وقال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عندما تمالأ الفراعنة عليه ، وظن قومه أنهم مدركون «قال كلا إن معى ربى سيهدين»[4] .

---

(١) أخلاق العلماء ، لأبى بكر الآجرى ص ٦٤ ، ٦٥ ، مراجعة / اسماعيل محمد الأنصارى ، مكتبة التوعية الإسلامية .

(٢) سورة الكهف الآية ١٠

(٣) سورة الصافات الآية ٩٩

(٤) سورة الشعراء الآية ٦٢

وعند تكليف رب العزة له بتبليغ الرسالة استعان بالله وطلب منه التوفيق والسداد والرشد قال تعالى «قال رب أشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى. وأحلل عقدة من لسانى. يفقهوا قولى»[1] .

وفى سورة الفاتحة التى يحفظها كل المسلمين حتى أطفالهم قوله تعالى وهو يرشدنا إلى الاستعانة به جل ذكره «إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم» وكم فى القرآن الكريم من الدعاء الذى يستطيع المعلم أن يقتبس منه لطلب السداد والتوفيق من ربه ، ويجب أن يدرك المعلم أن الله تبارك وتعالى يستجيب لدعائه إذا أخلص النية ، وحقق شروط الدعاء المستجاب ، ولقد كان رسول الله ﷺ وهو خير معلم ، وأفضل الدعاة على الإطلاق ، وهو النبى والرسول كان ﷺ كثير الدعاء إلى الله تعالى فى كل أحواله . وبخاصة فى طلب السداد والتيسير والهداية والتوفيق ، من ذلك «عن أبى مالك الأشجعى عن أبيه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبى صلى الله عليه وسلم : الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم أغفر لى وأرحمنى وأهدنى وعافنى وأرزقنى»[2] .

و «عن أبى بردة — بضم الباء وسكون الراء — عن على قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قل : اللهم أهدنى وسددنى وأذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم»[3] ، قال النووى (ومعنى أذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم ، أى تذكر ذلك حال دعائك

---

(١) سورة طه الآيات من ٢٥ : ٢٨

(٢) أخرجه مسلم فى الذكر والدعاء .. باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠/١٧

(٣) السابق باب : الأدعية ٤٣/١٧

بهذين اللفظين ، لأن هادى الطريق لايزيغ عنه ، ومسدد السهم يحرص على تقويمه ، ولا يستقيم رميه حتى يقومه ، وكذا الداعى ينبغى أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه ولزومه السنة ، وقيل ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لئلا ينساه)[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ماينفعنى وزدنى علما»[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير ، فإن تيسير كل عسير عليك يسير ، وأسألك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة »[٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى .. وتعصمنى بها من كل سوء .. »[٥]

قال المناوى حول معنى « وتلهمنى بها رشدى » (أى تهدينى بها إلى مايرضيك ، والإلهام : أن يلقى الله تعالى فى النفس أمرا يبعثه على فعل أو ترك ، وهو نوع من الوحى يختص الله به من يشاء من عباده ، قال الراغب : ورشد الله تعالى للعبد تسديده ونصرته ، يكون بما يخوله من الفهم الثاقب ، والسمع الواعى ، والقلب المراعى ، وتقييض المعلم الناصح والرفيق الموافق وامداده من المال بما لا يقعده به عن معزاة قلبه ، ولا يشغل عنه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٤/١٧

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) الفيض القدير للسيوطى شرح المناوى ٢ / ١١٢ ، ١٤٠/٣ ، ١٤٢ ط

كثرته ، ومن العشيرة والعز مايصونه من سفاهة السفهاء ، وعن الغض منه جهة الأغنياء ، وأن يخوله من كبر الهمة ، وقوة العزيمة مايحفظه من التسبب بالأسباب الدنيئة ، والتأخير عن كل منزلة سنية)(١).

وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم أغفر وأرحم وأهد السبيل الأقوم»(٢) وعلمنا أن نقول فى دعائنا فى الصلاة «اللهم أهدنى فيمن هديت ..»(٣) الحديث وأيضا «اللهم إنا نستعينك ونستهديك» الحديث(٤).

والأحاديث فى طلب الرشد والسداد والتوفيق والهداية والتوكل كثيرة .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المربى الأول يطلب السداد من الله تعالى ، وفى الوقت ذاته كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من علم لا ينفع ، «فعن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أربع : من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ودعاء لايسمع ونفس لاتشبع»(٥).

٤ — وينبغى للعالم أن يصون العلم ، ويعزه ويرفعه حيث رفعه الله تعالى فى الذروة والشرف ، فلا يذله ، ولايهينه بحال ، كأن يمشى به إلى غير أهله ، ويذهب به إلى طلاب الدنيا لمآرب فى نفسه، قال الزرنوجى (وينبغى لأهل العلم ألا يذل نفسه بالطمع فى غير مطمع ، ويتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله)(٦) .

---

(١) المرجع السابق ١١٢/٢

(٢ ، ٣ ، ٤) ذكرها ابن حجر فى تلخيص الحبير ، وهى على الترتيب ٢٥١/٢ ، ٢٤٧/١ ، ٢٤/٢ ط دار المعرفة .

(٥) أخرجه النسائى فى كتاب الاستعاذة ، باب : الاستعاذة من قلب لايخشع ٢٥٥/٧

(٦) تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجى ص ١٠ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .

ولقد أطال علماء التربية في الإسلام الحديث عن إعزاز العلم وواجب العلماء في ذلك، ولقد ضرب علماء سلف الأمة النماذج الفذة في هذا الشأن، إنطلاقا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال «من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم «سيكون بعد أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض»(٢). وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الأمراء والملوك.

وعن عمارة بن عبد الله عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن قيل وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول له ماليس فيه.. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن على أبواب السلاطين فتنا كمبارك الإبل. والذى نفسى بيده لا تصيبون من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثله أو مثليه.. وقال وهب ابن منبه إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سقطا فى حظار فيه غنم فباتا يجوسان حتى أصبحا)(٣).

وقال الحافظ ابن رجب البغدادى (ومن أعظم مايخشى على من

---

(١) رواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١٦٣/١، وعزاه إلى النسائى والترمذى وأحمد وأبي داود عن ابن عباس.

(٢) المرجع السابق ١٨٧/١ وعزاه إلى أحمد وابن حبان والترمذى والنسائى عن كعب بن عجرة.

(٣) جامع بيان العلم لإبن عبد البر ١٦٧/١

يدخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم ، ويعينهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الانكار عليهم ، بل ربما حسن لهم بعض أفعالهم القبيحة تقربا إليهم ليحسن موقفه عندهم ، ويساعدوه على غرضه ..

وقال ابن المبارك : ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم ، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم ، وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم ، فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيدا عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ، ويغلظ عليهم ، فإذا شاهدهم قريبا مالت النفس اليهم ، لأن محبة الشرف كامنة في النفس له ، ولذلك يداهنهم ويلاطفهم وربما مال إليهم وأحبهم ولاسيما إن لاطفوه وأكرموه ، وقبل ذلك منهم وقد جرى ذلك لابن طاوس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه على فعله هذا .

وكتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد ، وكان في كتابه : إياك والأمراء أن تدنوا منهم ، أو تخالطهم في شيء من الأشياء وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرء عن مظلوم ، أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلما ... وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء ..) [1] .

وقال الإمام الغزالي (لما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء . قال تعالى « لتبيننه للناس ولا يكتمونه »

---

(١) المرجع السابق ١٧٩/١

واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدونك ممن لم يؤد حقا، ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء. فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»، وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل. فداو دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر سفر طويل «وما يخفى على الله شيء فى الأرض ولا فى السماء» والسلام)[1].

ومن إعزاز العلم وأهله ما قاله الإمام مالك (دخلت على هارون الرشيد فقال لى: يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت: أعز الله الأمير إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أنتم أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتى فقال: صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس)[2]

وقد سبق قول سيدنا سعيد بن المسيب من غشى الحكام فهو لص، وقد كان سعيد — وهو عالم العلماء وفقيه الفقهاء وسيد التابعين يتجر فى الزيت ويقول: إن فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين[3].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ١٢٦/٢ عالم الكتب وذكر الغزالى كلاما طيبا فى هذا فليراجع

(٢) المرجع السابق ٢٤/١

(٣) انظر المرجع السابق ١٢٦/١

كان رحمه الله يأبى كل الإباء الدخول عليهم ، ولقد أصابه منهم محن كثيرة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، والمقصود هنا أن نبين للعالم أو المربى أن ينأى بعلمه عن مواطن الذل والإهانة . والشبه المعرضة ، وأن يبتعد عن مواطن المداهنة والمقامرة بين أصحاب الجاه والسلاطين، حتى يظل العلم والعلماء فى الذروة من المكانة والشرف والعزة ، ويدرك الناس من ورائهم فضل العلم ومكانة رجاله ، ويستقر تعاليمه فى بؤرة قلوبهم ، وتظهر شرائعه فى واقع سلوكهم .

ثانيا : ما يتعلق بآدابه فى درسه :

وعلى المعلم أن يعد الموضوع الذى يرغب التحدث فيه إعدادا جيدا، ولا بأس بأن يسجل — على الأقل — عناصره الرئيسية ، وينظر فيه مرة ومرتين ، ويتأكد من أدلته قبل لقاء مستمعيه ، وأن يكون عله هو شغله الشاغل ، فيكثر من الإشتغال به من قراءة ومطالعة وبحث ،وتعليق ومذاكرة ، قال الإمام النووى (ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسب أو شهرة أو دين أو فى علم آخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده وإن كان دونه فى جميع ذلك ، ولا يستحى من السؤال عما لم يعلم ...

وينبغى أن يعتنى بالتصنيف إذا تأهل له ، فبه يطلع على حقائق العلم ودقائقه ، ويثبت معه، لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والإطلاع على مختلف كلام الأئمة . . وواضحه من مشكله ، وصحيحه من ضعيفه ... وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف ما لم يتأهل له فإن ذلك يضره فى دينه وعلمه وعرضه ، وليحذر أيضا من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه ، وترداد نظره فيه وتكريره ، وليحرص على إيضاح العبارة وإيجازها...

ويفبغى أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر ... وليكن تصنيفه فيما يعم الإنتفاع به ويكثر الإحتياج إليه)[١] .

وهناك أمر يجب الإنتباه إليـــه جيدا ، وهو علاقة العلماء بعضهم ببعض وفى الفكر الإسلامى أن علاقة المسلم بأخيه المسلم يجب أن تسودها المحبة والألفة والتعاون والأخاء والحب إلى آخر الصفات النبيلة المعروفة، ولكنها مع العلماء تكون أشد لصوقا بهم، وهم أشد التزاما بها فهم المثل الصالح ، والقدوة الطيبة ، والناس إليهم ينظرون ، وبهم يقتدون وبخاصة طلاب العلم ، والقدوة فى ذاتها إحدى وسائل الدعوة إلى تعاليم الإسلام، فإذا لم يجد الناس القدوة فى العلماء ، فأين يجدونها ؟! وصحيح أنه قد يوجد بينهم شىء من المنافسة للتحقيق فى إحدى المسائل،وحتى فى مثل هذه الحالة يجب أن تسود بينهم روح المحبة،ويكون الغرض من مثل هذه المناظرات إظهار الحق فحسب وقد كان الشافعى يقول(ما ناظرت أحدا قط إلا وددت أن يوفق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظه ، وعن أبى يوسف قال : ياقوم أريدوا بعلمكم الله فإنى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح)[٢] .

وسلفنا الصالح قد أسس لنا قواعد ثابتة فى تحديد العلاقة بين العلماء مع بعضهم البعض ، وهى علاقة تسودها الحب والإحترام والتوقير والود والتواضع ، فقد روى مسلم بسنده « قال سمرة بن جندب : لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فكنت أحفظ عنه فما يمنعنى من القول

---

(١) المجموع شرح المهذب ٢٩/١ ، ٣٠ (بتصرف) دار الفكر .
(٢) المجموع للنووى ٢٨/١

إلا أن ههنا رجالاهم أسن منى..»[1] الحديث وقد فعل هذا عبدالله بن عمر، وسيأتى إن شاء الله تعالى — وجاء فى البخارى «عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله فقال: والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم»[2] الحديث وقال الشعبى (ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرنى يديك، فأخرج يديه فقبلهما فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا)[3].

وقال سفيان بن عيينه وغيره (كان الأوزاعى إمام أهل زمانه، وقد حج مرة فدخل مكة، وسفيان الثورى آخذ بزمام جمله، ومالك بن أنس يسوق به.

والثورى يقول: أفسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة، وجلسا بين يديه يأخذان عنه)[4].

ولهذا نظائر كثيرة، وإذا كانت بعض الكتب أوردت أقوال بعضهم فى بعض مما يشين بعضهم فيجب الإضراب عنه صفحا، والأخذ بعلمهم هو الأهم (روى مقاتل بن حبان وعطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء

---

(١) أخرجه مسلم فى الجنائز، باب: مكان الإمام فى الصلاة على الميت ٣٢/٧

(٢) أخرجه البخارى فى فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبى صلى الله علية وسلم ٣٩/٩

(٣) البداية والنهاية ٨٠٤/٤

(٤) المرجع السابق ٦١٢/٥

بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة)[١]، وقال ابن عبد البر (أهل الفهم والعلم والميز لا يلتفتون إلى ذلك لأنهم بشر يغضبون ويرضون، والقول فى الرضا غير القول فى الغضب)[٢] .

وقال ابن حجر : (قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مراده)[٣]، وهكذا يحمل كلام السلف فى بعضهم .

وقال ابن حازم (سمعت أبى يقول : العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقى العالم من هو فوقه فى العلم كان ذلك غنيمة ، وإذا لقى من هو مثله ذاكره ، وإذا لقى من هو دونه لم يزه عليه ، حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه ، حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهى على من هو دونه فهلك الناس)[٤] ، وقد قال الشافعى : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل[٥] .

وينبغى للداعية أن يقدم على درسه فى المجلس ما تيسر من آيات الذكر الحكيم، ويستفتحه ببسم الله تعالى ويحمده ، ويصلى ويسلم على رسول الله ﷺ وعلى آله ويترضى على جميع الصحابة ، ويدعو لمشايخه ووالديه والحاضرين وجميع المسلمين .

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١٥١/٢

(٢) المرجع السابق ٢٥٥/٢

(٣) فتح البارى ١٧٦/١

(٤) جامع ابن عبد البر ١٥١/٢ ، ١٥٢

(٥) إحياء علوم الدين للغزالى ٤٣/١

ثم يأخذ فى إلقاء درسه بحب وتواضع حريصاً على تعليم مستمعيه مهتماً بهم مؤثراً لهم بعلمه على حوائج نفسه ومصالحه، فإن سئل أجاب إن كان مدركا الجواب، وإلا قال — دون استحياء — لا أدرى أو الله أعلم، وسل عن هذا غيرى، ويدل السائل على من يفتيه فيما لم يوفق فيه ولا غضاضة فى ذلك على الإطلاق وقد كان هذا دأب علماء الأمة دائماً، ولا يوقع نفسه فى الإثم والحرمة، وارتكاب المنكر، وحمل جرمه مع شناعته فى عنقه يوم القيامة.

ولقد سبق أن ذكرت مبحثاً عن سعيد بن المسيب فقيها واذكر هنا بعض الأمور الخاصة بالفقية وبخاصة عندما يسأل ولا يدرى الجواب، والداعية من شروط قيامه بالدعوة أن يكون فقيها، والقرآن الكريم والسنة النبوية قد أفاضا فى بيان منزلتهم، وذلك لأنهم الذين فقهوا كلام رب العالمين، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وحملوا رسالة توصيلهما للناس صافياً عذبا، وعلى اكتافهم دارت الفتوى بين الأنام، وأخذوا عنهم أحكام الإسلام، وانتشرت حكمته وخصائصه، ورغبوا الناس فى فضائل وجمال تشريعاته، وهم الذين خصوا باستنباط الاحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء، وهم مشاعل النور، ومعالم الحق، بهم يهتدى الحيارى، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وأندر الضرورات، ومع مالهم من فضل عظيم عند الله تعالى، فإن عليهم واجباً كبيراً، فإن فى الإسلام الجزاء من جنس العمل — كما سبق — ومنصب الإفتاء له خطره وجلاله، فقد تولاه رب الأرباب. وخالق الأرض والسماء، قال تعالى: « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء »[1] الآية،

---

(١) سورة النساء آية ١٢٧

وقال تعالى فى آية أخرى ويستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة[١] الآية، وأعطى الله جل جلاله بهذا شرف ومكانة الفقهاء الذين يفتون للناس ، ولقد كان أول من قام بهذا المنصب الرفيع الشريف سيد المرسلين ، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ، فكان يفتى عن رب العالمين ، وذلك بوحيه المبين ، فكانت فتاويه جوامع الأحكام ، ومشتملة على فصل الخطاب ، ومنها أخذ العلماء ، وتلقوها ونشروها بين عباد الله تعالى ، وقاسوا عليها الأشباه والنظائر ، فكانت هى الأساس المتين ..

ثم قام بالفتوى بعده ﷺ أصحابه الأبرار قال عنهم ابن الجوزى (بَرْك الإسلام، وعصابة الإيمان ، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، أولئك أصحابه ﷺ ، ألين الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأحسنها وأصدقها بياناً ، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله تعالى وسيلة ، وكانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط)[٢] .

ثم ذكرهم ، وجعل فصلا تحت عنوان : سادة المفتين والعلماء[٣] ، وعنهم أخذ التابعون، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين. ثم من بعدهم السادة الأئمة والعلماء. وسيظل ينتقل علم رسول الله ﷺ وفتاويه من خير سلف لخير خلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والإفتاء فى الإسلام له خطره ، فإذا كانت الفتوى صحيحه لزم الناس الحق، وإن كانت غير ذلك فقد ضل المفتى وأضل ، وقد حذر الإسلام وشدد على الكذب والتضليل عامة ، وعلى من يفتى بغير علم خاصة ، فقد ورد عن رسول الله

---

(١) آخر آية فى سورة النساء.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية ، مراجعة وتعليق / طه عبد الرءوف ١١/١ ، مكتبة عبد السلام لابن محمد ١٣٨٨هـ . والبرك : الصدر .

(٣) انظر : المرجع السابق ١٤/١

ﷺ أنه قال « من قال على ما لم أقل فليتبوأ بيتاً فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه »[1] .

ولقد توعد الله تبارك وتعالى كذلك أشد الوعيد لمن يقول بغير علم وبخاصة فى الفتيا والقضاء ، وجعل ذلك من أشنع المحرمات ، وأفظع الموبقات فقال « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »[2] .

قال ابن قيم الجوزية (رتب المحرمات أربع مراتب ، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم ، ثم ثلث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه ، ثم ربع بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم ، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم فى أسمائه وصفاته وأفعاله وفى دينه وشرعه)[3] .

وهذا الأسلوب واحد من إعجاز القرآن الكريم ، وهو أسلوب الترقى من الأدنى إلى الأعلى[4] ، وهو هنا ترقى فى الحرمة من أدناها إلى أعلاها فى البشاعة .

ومع علم أصحاب رسول الله ﷺ الوافر، وتقواهم وورعهم، وقلوبهم النقية ، وأفئدتهم البصيرة إلا أنهم ومن بعدهم من العلماء الصالحين كانوا

---

(١) رواه أبو داود فى العلم ، باب التوقى فى الفتيا ٤/٦٦ عن أبى هريرة
(٢) سورة الأعراف الآية ٣٣
(٣) اعلام الموقعين ١/٣٨
(٤) انظر هذا مفصلا : الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/١٠

يتورعون عن الفتيا بقدر الإمكان، ليكون الواحد منهم في فسحة من دينه قال ابن الجوزية (كان الصحابة والتابعون يكرهون التسرع فى الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره ، فإذا رأى أنها تعينت عليه بذل اجتهاده فى معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى . . وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ — أراه قال فى المسجد — فما كان منهم محدث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا ... وقال ابن عباس . إن من أفتى الناس فى كل مايسألونه عنه لمجنون ، قال مالك : وبلغنى عن ابن مسعود مثل ذلك ... وقال سحنون بن سعيد: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما ، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه ... وقال : إنى لأحفظ مسائل منها مافيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء ، فكيف ينبغى أن أعجل بالجواب قبل الخبر؟ فلم ألام عن حبس الجواب ... وكان سعيد بن المسيب واسع الفتيا ...

وعن أبى إسحاق قال : كنت أرى الرجل فى ذلك الزمان، وإنه ليدخل يسأل عن شىء فيدفعه الناس عن مجلس إلى مجلس حتى يدفع إلى مجلس سعيد ابن المسيب كراهية الفتيا ، قال : وكانوا يدعونه سعيد بن المسيب الجرىء)[1] .

ومع علم سعيد بن المسيب الواسع ، وتبحره فيه ، وتلقيه عن جلة الصحابة ، وهو — كما أطلقوا عليه — فقيه الفقهاء ، وعالم العلماء ، ومع تقواه وورعه وضبطه وعدالته وثبته وزهده وإخلاصه ، مع كل هذا فقد كان ابن المسيب لايكاد يفتى فى مسألة إلا قال (اللهم سلمنى وسلم

---

(١) أعلام الموقعين ١/٣٤ ، ٤٠ (بتصرف) .

منى)[1] . وكان سعيد مع هذا كله مدركا مغبة الفتوى فى غير موضعها ، فهو الذى قال : كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، يريد على بن أبى طالب ، وكان عمر يقول لولا على لهلك عمر[2] ، «وسمع النبى صلى الله عليه وسلم قوما يتحاورون فى القرآن فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ،ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، ولا يكذب بعضه بعضاً ، فما علمتم منه فقولوا ، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه[3] » .

ومما هو ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله علية وسلم فقال يارسول الله أى البقاع خير قال : لا أدرى ، فقال أى البقاع شر ، فقال : لا أدرى ، قال : سل ربك ، فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم ، فقال ياجبريل أى البقاع خير ؟ قال : لا أدرى ، فقال : أى البقاع شر؟ فقال :لا أدرى فقال : سل ربك ، فانتفض جبريل انتفاضة كاد يصعق منها محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال : ما أسأله عن شيء ، فقال الله عز وجل لجبريل : سألك محمد أى البقاع خير فقلت : لا أدرى وسألك أى البقاع شر فقلت لا أدرى ، فأخبره : أن خير البقاع المساجد وأن شر البقاع الأسواق[4] » .

وقد ورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنه لما نزل عذرها فى القرآن قبل والدها الصديق رأسها ، فقالت : ألا عذرتنى عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال رضى الله عنه : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت مالا أعلم ... وقال الإمام على بن أبى طالب يوما فى الجنة .وابردها على كبدى،

---

(١) المرجع السابق ١٨٦/٢ .

(٢) المرجع السابق ١٦/١ .

(٣) كنز العمال /١٩٢ عن ابن عمر

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك كتاب البيوع ٧/٢ ، ٨ ، دار المعرفة

ثلاث مرات ، قالوا : يا أمير المؤمنين وماذاك ؟ قال : أن يسأل الرجل عما لايعلم فيقول : الله أعلم وقال أبو حصين الأسدي : إن أحدهم ليفتى في المسألة ، ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر ، وقال ابن سيرين : لأن يموت الرجل جاهلا خير له من أن يقول ما لايعلم ، وقال مالك : من فقه العالم أن يقول : لا أعلم ، فإنه عسى أن يتهيأ له الخير ، وقال كذلك : سمعت ابن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده : لا أدري ، حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه ، وقال الشافعي سمعت مالكا يقول : سمعت ابن عجلان يقول : إذا غفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله ، وذكره ابن عجلان عن ابن عباس ، وقال ابن وهب : قال لي مالك وهو ينكر كثرة الجواب في المسائل : يا أباعبد الله ماعلمت فقل ، وإياك أن تقلد الناس قلادة سوء . وقال مالك : ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني : هل تراني موضعاً لذلك ؟ وقال : من أحب أن يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة أو النار ثم يجيب ، وقد أدركناهم إذا سئل أحدهم فكأن الموت أشرف عليه ، وسئل مالك عن ثمانية وأربعين مسألة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري ، هذا واحد من الأئمة الثقاة ، كتب بيده مائة ألف حديث ، وأخذ العلم عن أكثر من تسعمائة شيخ ، وما أفتى حتى شهد له سبعون إماماً أنه أهل لذلك .

هذا وأقوال العلماء في توريث لا أدري أو الله أعلم أو سل غيري كثيرة جداً[1] .

وأذكر أني كنت جالساً مع مجموعة من الناس فطرح أحدهم عليّ

---

(١) انظر أعلام الموقعين لابن الجوزية ١٨٤/٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، وانظر : شرح الزرقاني على الموطأ ٥/١ (المقدمة) ولابن عبدالبر في جامعه ٤٩/٢ ، والمجموع للنووي ٤٠/١ والإحياء للغزالي ١٦/١ .

سؤالا ، وقبل أن أبدأ بالإجابة ، تقدم أحدهم وأسرع بالإجابة ، وفى الحقيقة كانت إجابته قريبة من الصواب ، فقلت له من أين أتيت بهذه الإجابة ؟فقال كلة معناها بالعقل هكذا تكون ... وتعجبت لجرأة الرجل الذى لا علاقة له بالعلم ، بل هو أحد مزارعى قريتى البسطاء ، وما فعله ويفعله غيره كثير من الناس لا يجوز بحال ، وإن كنت أدركت بعد ذلك مدى توافق أحكام الإسلام للعقول السوية ، وهذه إحدى خصائص ديننا الحنيف ، أنه ميسور ومنسجم مع عقول الناس ، ومع هذا لايجوز الفتوى بغير علم ، ومسألة الفتوى ، وتحريم العلماء لهابدون علم ، يؤكد أن الإسلام دين يوجب الدقة والعدالة والصدق والإخلاص والضبط والتثبت فى الأمور كلها ..

ومن هنا فقد وضع العلماء ضوابط وشروطا للإفتاء ، فإن إنعدمت منع الإفتاء ، ومن هذه الشروط .

ماقاله الإمام الشافعى (لايحل لأحد أن يفتى فى دين الله تعالى إلا رجلا عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، ويكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف الحديث مثل ماعرف من القرآن ، ويكون بصيرا باللغة ، بصيرا بالشعر ، ومايحتاج إليه للسنة والقرآن ، ويستعمل هذا مع الإنصاف ، ويكون بعدأ هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار وتكون له قريحة بعدهذا ، فإذا كان هذا فله أن يتكلم ويفتى فى الحلال والحرام ، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتى[1]، (وقال صالح بن أحمد — الحنبلى — قلت لأبى : ماتقول فى رجل يسأل عن شيء فيجب بما فى الحديث ، وليس بعالم فى الفقه ؟ فقال ينبغى للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالما بالسنن ، عالما بوجوه القرآن ، عالما بالأسانيد الصحيحة[2]) .

---

(١) أعلام الموقعين ٤٦/١ .   (٢) المرجع السابق ٤٦/١ .

وقال أيضاً (إذا كان عند الرجل الكتب المصنفة فيها قول رسول الله ﷺ ، واختلاف الصحابة والتابعين فلا يجوز أن يعمل بما شاء ويتخير فيقضى به حتى يسأل أهل العلم مايؤخذ به) (١) ، وكان الإمام أحمد رحمه الله يشدد ويغلظ على من يتعرض للفتيا ، ومن هذا كان يشترط أن يحفظ جملة من الأحاديث قدرها بعض العلماء بستمائة ألف حديث (٢) . وجل العلماء الأتقياء اعتمدوا فى فتواهم على عدة أصول أساسية هى : الكتاب والسنة ، وفتاوى الصحابة ، والإختيار من أقوال الصحابة إذا اختلفوا فيأخذ من أقوالهم ما كان أقرب إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ وبالحديث المرسل قبل الأخذ بالرأى ، والقياس عند الضرورة (٣) هذه جملة من الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها الداعية أو العالم فى دروسه .

ثالثا آدابه مع طلابه :

وعلماء التربية الإسلامية ذكروا آداباً تتعلق بالمربى مع تلاميذه اذكر جملة منها للاستفادة ، فليدرك العالم أنه يحمل رسالة ، ومسئول عن توصيلها مسئولية شرعية قبل أن يسأل عنها إدارياً ، وفرق كبير بين الرسالة الوظيفية ، وإذا أدرك العالم هذا ، فإنه يكون حريصاً كل الحرص على مستمعيه ، ويتعامل بهم كما يتعامل مع أولاده ، وكل منا يدرك إدراكاً جيداً مدى شغفه بحب أولاده ، ، ومن ثمرات هذا الحب أنه يبذل قصارى جهده فى حسن تربيتهم وتعليمهم ، والأخذ بأيديهم لبلوغهم أقصى الغايات النبيلة ، والمثل فى هذا أمام الدعاة المربين هو

---

(١) المرجع السابق ٤٤/١
(٢) انظر . المرجع السابق ٤٥/١
(٣) انظر المرجع السابق ٤٥/١

سيدنا رسول الله ﷺ ، فكان يقول « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم »(١)

ولقد كان هذا دأب العلماء الصالحين من سلف الأمة ، وبهم — كذلك — نقتدى ، قال الإمام النووى فى شأنه مع طلابه (أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات ، وأن يكون دائماً على ذلك حتى الممات ، ويعرفه أنه بذلك تتفتح عليه أبواب المعارف ، وينشرح صدره ، وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف ، ويبارك له فى حاله وعلمه ، ويوفق للإصابة فى قوله وفعله ، ويزهده فى الدنيا ، ويصرفه عن التعلق بها ، والركون إليها والاغترار بها ... ويرغبه فى العلم ويذكره بفضائله وفضائل العلماء ، وأنهم ورثة الأنبياء ، ولا رتبة فى الوجود أعلى من هذه ، وينبغى أن يحنو عليه ويعتنى بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده ويجريه مجرى ولده فى الشفقة عليه ، والصبر على جفائه وسوء أدب وجفوة تعرض منه فى بعض الأحيان ، فإن الإنسان معرض للنقائص .

وينبغى أن يحب له مايحب لنفسه من الخير ، ويكره له مايكرهه لنفسه من الشر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : أكرم الناس علىَّ جليسى الذى يتخطى الناس حتى يجلس إلىَّ ، لو استطعت ألا يقع الذباب على وجهه لفعلت وفى رواية أن الذباب يقع عليه فيؤذينى ... ويرحب بهم

---

(١) رواه النسائى فى كتاب الطهارة ، باب : النهى عن الإستطابة بالروث ١ / ٣٨ عن أبى هريرة .

عند إقبالهم ، ويظهر لهم — لمستمعيه — البشر وطلاقة الوجه ، ويحسن إليهم بعلمه وماله وجاهه بحسب التيسير .. وينبغي أن يتفقدهم ، ويسأل عمن غاب منهم .. ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ، فلا يعطيه مالا يحتمله .. ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته .. ويسألهم عما ذكره لهم .. فمن وجده حافظه مراعيا له أكرمه وأثنى عليه ، وأشاع ذلك مالم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه . ومن وجده مقصراً عنفه ، إلا أن يخاف تنفيره ويعيده له حتى يحفظه .. وينصفهم فى البحث ، ويعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيراً . . وفضيلته يعود إلى معامه .. فإنه مربيه ، وله فى تعليمه وتخريجه فى الآخرة الثواب الجزيل ، وفى الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل [1] تلك جملة من الأخلاق التى ينبغى للعالم أن يتجمل بها سواء فى نفسه أم فى درسه أم مع طلابه ، والتى وضع أسسها مفكرو التربية الإسلامية منذ مئات السنين وتظهر ذاتيتنا ومناهجنا المستقلة ، وفضل سبق علماء الإسلام إليها ، وهى مضمونة النتائج ، وأعطت أطيب الثمار ، من وجود أفذاذ من العلماء فى كل المعارف والعلوم ، يذكرهم التاريخ بكل فخر وإعزاز . وسجل لهم بحروف من ذهب ثمار جهودهم ، وهو منهج فيه الغنى والكفاية عما وضعه غيرهم ، أضاع وقتنا ، وأفرز أسوأ النتائج والعواقب .

---

(١) المجموع للنووى ٣١/١ : ٣٣ (بتصرف) .

رابعاً : ما يختص بأسلوبه :

إن للدعوة الإسلامية أساليب تربوية متعددة ، لو استخدمها الداعية أفضى مجلسه دوحة فياحه بالمسك من خلال الأزاهير ، والورود التى يقدمها للمتلقين عنه . ومن الأساليب الإيضاحية التى ينبغى للعالم أن يأخذ بها : المثل والقصة ، والتعجب والمحاورة ، والمناظرة وطرح المسألة فى صيغة سؤال ، والتكرار الخ . وحتى لا أطيل أذكر أسلوباً واحداً بإيجاز وضع أساسه رسول الله ﷺ المربى الأول .

طرح المسألة فى صيغة سؤال :

يقوم المعلم بذكر المسألة على جهة التساؤل، ويلقيه على مسامع مستمعيه، ويترك لهم فرصة التفكر والتدبر ، واستخراج ما فى عقولهم من إجابات، ثم يقرر هو الجواب الشافى بعد ذلك فهذا أسلوب أجدى وأنجح لتثبيت المعلومات ، واستقرارها فى العقول . وقد قدمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ ، فعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وأنها مثل المسلم ، فحدثونى ماهى؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله : ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ماهى يارسول الله ، قال : هى النخلة »[1].

وفى الحديث فوائد تربوية ينتفع بها المعلم والمتعلم منها .

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : طرح الإمام المسألة على أصحابه ١١٩/١

١ — على المربي أثناء استخدامه هذا الأسلوب أن لا يبالغ في تعتيم المسألة حتى لا يجعل للطالب منفذاً يستطيع منه الوصول إلى الحل .

قال ابن حجر :(أن الملغز ينبغي له أن لا يبـالغ في التعمية بحيث لا يجعل الملغز له بابا يدخل منه ، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه)(١) .

٢ — على المتلقي أن يبذل جهده ، ويقدح ذهنه ، ويفكر ويتفطن إلى القرائن والأحوال التي سيقت فيها المسألة قال ابن حجر : (أن الملغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال)(٢) .

والقرائن التي تحيط بهذه المسألة — التي طرحها رسول الله ﷺ — هي ما ذكرته إحدى روايات الحديث « عن مجاهد قال : صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم اسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً ، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم — فأتى بجمار فقال : إن من الشجرة شجرة مثلها مثل المسلم ، فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكت، قال : صلى الله عليه وسلم : هي النخلة »(٣)

فالقرائن والأحوال هنا واضحة أدركها عبد الله بن عمر وهو أحد المتلقين .

٣ — على الداعية أن يأخذ جالسيه بإسلوب الامتحان ، واستخراج ما عندهم من العلم ، واجتهادهم في التفكر وإخلاء الذهن من كل شيء سوى طلب العلم ، والانتباه إلى المعلم فيما يلقيه عليهم ، كما عليه أن لا يطرح المسألة على سبيل التعنت أو التعجيز ، أو إظهار تفوقه أمامهم .

(٢،١) فتح الباري لابن حجر ١١٩/١

(٣) أخرجه البخاري في العلم ، باب : الفهم في العلم ١٣٤/١

قال ابن حجر : (وفى الحديث . . امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى ، مع بيان لهم إن لم يفهموه ، وأما مارواه أبو داود من حديث معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الأغلوطات .

قال الأوزاعى : هى صعاب المسائل ، فإن ذلك محمول على مالانفع فيه أو ما خرج على سبيل تعنت المسئول أو تعجيزه)[1] .

٤ — فى الحديث أدب الطالب مع إخوانه من طلاب العلم ، وبخاصة مع من هو أسن منه فى مجلس العلم ، فإن ابن عمر قال : « فاستحييت » وكان سبب حيائه — رضى الله عنه — وجود أكابر الصحابة فى المجلس ففى رواية للحديث « فأردت أن أقول : هى النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكت » ، وفى رواية أخرى : « فإذا أنا عاشر عشرة أنا أصغرهم » ، وفى رواية عن نافع « ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان فكرهت أن أتكلم »[2] .

وأخذ ابن عمر هذا الأدب الرفيع من تربية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو توقير الكبار والحياء ، وبخاصة لو كان أحدهم هو والده .

٥ — حرص الآباء على أولادهم ، ومحبة العلم والفضل لهم ، وهذا تحريض من الإسلام للآباء على تحريض أولادهم لطلب العلم وتهيئة الأحوال لهم ، ومتابعتهم ، ورجاء السبق فى مجالاته ، ومن هنا يكون اغتباطهم بأولادهم فى هذا الميدان .

جاء فى البخارى رواية تذكر غبطة عمر بولده عبد الله ، لإدراكه نجابته وهو فى هذا السن المبكر وتعلقه بمجالس العلم وانتباهه وتحصيله من

---

(١) فتح البارى ١١٩/١ وحديث النهى عن الأغلوطات أخرجه أبو داود فى العلم ، باب : التوقى فى الفتيا ٦٥/٤

(٢) المرجع السابق ١٨٤/١

أساتذته تقول الرواية «... قال عبد الله فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا»[١].

وفسرت رواية ذكرها ابن حبان قال: «أحسبه قال: حمر النعم»[٢].

هذا وإذا كان الحياء خلق رضي وطيب أوجبه الإسلام بعد أن حببه إلى النفس في كل حال، إلا أن الإسلام كرهه بل حرمه إذا أدى إلى ترك أمر شرعي.

قال ابن حجر: (الحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما مايقع سبباً لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة)[٣].

وقد أورد البخاري آثارا صحيحة، وعدة أحاديث في هذا الشأن فقال «قال مجاهد: لايتعلم العلم مستحى ولامستكبر، وقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٤]، ثم ساق حديثاً لأم سليم، وحديثاً لابن عمر.

٦ — وفي الحديث أن العالم الكبير قد يسبقه العالم الصغير، أو كما قيل قد يسبق التلميذ أستاذه، وهذا لا يغمط حق العالم الكبير، بل يشرح صدره — هكذا ينبغي — إذا رأى أحد تلاميذه، أو أحد أقرانه الذين

---

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: الحياء في العلم ١٨٥/١

(٢) فتح الباري ١١٩/٢

(٣) المرجع السابق ١٨٤/١

(٤) أخرجهما البخاري في العلم، باب الحياء في العلم ١٨٤/١

يكبرهم يحمل لواء الإسلام والأمانة من بعده ، فيطمئن قلبه على الدعوة والدعاة التى عاش طوال حياته يحمل همومها ، ويرجو لها النهوض والانتشار وفى الوقت ذاته لا يحمل هذا الصغير على التعالى على من أكبر منه ، فهو الذى دربه وأخذ بيده إلى هذه الدرجة ، وإذا كان أدرك مغزى هذه المسألة ، فقد لا يدرك مغزى كل المسائل التى يفقهها الأكبر منه ، قال ابن حجر : (وفيه — أى الحديث — أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه ، لأن العلم مواهب والله يؤتى فضله من يشاء)[١] .

وحياء ابن عمر كان بسبب وجود كبار الصحابة فى المجلس ، ولن يضيع أمر شرعى هنا .

وهذا الإسلوب التربوى أخذ به علماؤنا الأجلاء من سلف الأمة ، إقتداء برسول الله ﷺ . ولقناعتهم بجماله وآثاره فى نفوس الطلاب ، ومن هؤلاء سيدنا سعيد بن المسيب ، فقد أخذ القاعدة من رسول الله ﷺ ، ثم أبدع عليها من الأساليب التربوية ، واجتهد لطلابه ليصل بهم إلى قمة الإستفادة مما يلقيه عليهم ، ولا ينسوه .

فقد أورد الإمام مالك — رضى الله عنه : « عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب أنه قال : ما صلاة يجلس فى كل ركعة منها ؟ ثم قال سعيد — رضوان الله عليه — هى المغرب — ثم وضح — إذا فاتتك منها ركعة وكذلك سنة الصلاة كلها »[٢] . والملفت للنظر أن ابن عبد البر ذكر بابا فى طرح المسألة على المتعلم ، واستشهد بمجموعة من الأحاديث النبوية فى هذا الشأن ، ولم يذكر أحدا من العلماء أخذ هذا الأسلوب ليستشهد به

---

(١) فتح البارى ١/١٢٠

(٢) رواه مالك فى الموطأ ، كتاب : قصر الصلاة فى السفر ، باب : العمل فى جامع الصلاة ص ١٢٣ ، دار الشعب .

سوى سعيد بن المسيب وبعد أن ذكر المسألة السابقة ذكر قوله (عن يحى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: ماترون فيمن غلبه الدم من رعاف فلم ينقطع عنه؟ قال يحى بن سعيد: ثم قال سعيد بن المسيب: أرى أن يومىء برأسه إيماء)[١].

وقال ذات مرة فى مجلسه «ماترون فى رجل يقع بامرأته وهو محرم فلم يقل له القوم شيئا، فقال سعيد بن المسيب: إن رجلا وقع بامرأته وهو محرم فبعث إلى المدينة يسأل عن ذلك، فقال بعض الناس: يفرق بينهما إلى عام قابل، فقال سعيد بن المسيب لينفذا لوجههما فليتما حجهما الذى أفسداه، فإذا فرغا رجعا، فإن أدركهما حج قابل فعليهما الحج والهدى، ويهلان من حيث أهلا بحجهما الذى أفسداه، ويتفرقا حتى يقضيا حجهما»[٢].

هذا ولكى تحظى التربية الإسلامية بخاصة بجو مناسب وتوتى ثمارها المرجوة، فإن علماء الإسلام لم يغضوا الطرف عن ذكر آداب ينبغى أن يتجمل بها طالب العلم وراغبيه، لتكتمل الأطراف المقصودة بالتربية والتعليم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله / ١٢٠

(٢) رواه مالك فى الموطأ فى الحج، باب: هدى المحرم إذا أصاب أهله ٢/٤٣٩

آداب طالب العلم فى مجالس العلم :

وقبل المضى فى ذكر جملة من آداب الطالب ، أود أن أشير إلى أن طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة ، وإن كان العلماء بينوا هـذا الوجوب ، فقال الزرنوجى (يفترض على المسلم علم ما يقع له فى حاله فى أى حال كان ، فإنه لابد له من الصلاة ، فيفترض عليه مايقع له فى صلاته بقدر ما يؤدى به فرض الصلاة ، ويجب عليه بقدر ما يؤدى به الواجب، لأن ما يتوسل به إلى إقامة الفرض يكون فرضا... وكذا فى الصوم والزكاة إن كان له مال ، والحج إن وجب عليه ، وكذا فى البيوع إن كان يتجر)[١] .

وقال جعفر بن محمد (وجدنا علم الناس كله فى أربع : أولها أن تعرف ربك والثانى أن تعرف ما صنع بك والثالث أن تعرف ما أراد منك والرابع أن تعرف ما تخرج به من ذنبك)[٢] .

وقال ابن عبد البر (أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرىء فى خاصته ، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذ قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع... والذى يلزم الجميع فرضه من ذلك مالا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب ... وأن الصلوات الخمس فرض ، ويلزمه من علمها علم مالا يتم إلا به من طهارة وسائر أحكامها ، وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلا به ، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضاً أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٤

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٣/١

وفى كم تجب ؟ ويلزمه أن يعلم أن الحج عليه فرض مرة واحدة فى دهره إن استطاع إليه سبيلا ، إلى أشياء يلزمه معرفة جملها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا والخمر والخنزير وأكل الميتة والأنجاس كلها والغصب والرشوة على الحكم والشهادة بالزور وأكل أموال الناس بالباطل... وتحريم الظلم كله ، وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذكر معهن ، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق ، وما كان مثل هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأمة عليه[1] .

وقد ذكر البخارى بابا فى صحيحه وجعل عنوانه طويلا ، وفيه إفادات نفسية لمن يتدبرها فقال « باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وقال جل ذكره « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، « وما يعقلها إلا العالمون » ، « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

وقال « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وقال النبى ﷺ « من يرد الله به خيرا يفهمه فى الدين ، وإنما العلم بالتعلم » وقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة[2] على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من النبى ﷺ قبل أن تجيزوا على لأنفذتها » وقال ابن عباس « كونوا ربانيين حلماء فقهاء » ويقال : الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره »[3] .

---

(١) المرجع السابق ١/١٠ ، ١١ (بتصرف)

(٢) بتشديد الصاد الأولى وفتحها مع الثانية وسكون الميم بينهما : السيف الصارم الذى لا ينثنى . أنظر فتح البارى ١/١٣١

(٣) أخرجه البخارى فى العلم ١/١٣٠

قال ابن راهوية (يلزمه — المسلم — طلب علم ما يحتاج إليه ... وما وجب عليه لم يستأذن أبويه فى الخروج إليه، وما كان فضيلة لم يخرج إليه حتى يستأذن أبويه)[1] .

والإسلام أوجب على كل مسلم قادر العمل، والأعمال مختلفة ومتنوعة — وهذا من رحمة الله تعالى — فهناك العامل والزارع والنجار والحداد والخياط والمدرس والطبيب والمهندس والجزار والخادم والحاكم والوزير والقاضى والشرطى والطالب للعلم والمعلم والمفتى والبائع والمشترى إلخ ولكل عمل جملة من الآداب والأخلاق يجب أن يتعلمها حتى يدرك ما هو حلال وما هو حرام وحدود عمله، حتى تمضى مسيرة الحياة نظيفة طاهرة، ولا يتم كل هذا إلا بالعلم، وأفضل وسائل تلقى العلم المشافهة بين العالم والمتعلم، ومن المعالم البارزة فى الإسلام إنتصاب طائفة من العلماء لتفقيه الناس، وبخاصة فى مجالس العلم — ولقد سبق بيان فضلها — ومن سمة الأمراء الصالحين أن يهيئوا للناس — العالم والمتعلم — أماكن مناسبة لنشر العلم، وبخاصة المجالس، وقد فعل كثير من الحكام الصالحين ذلك منهم عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، فعند تولية إمارة المسلمين حرص منذ اللحظة الأولى إلى توجيه نظر العلماء إلى عقد مجالس العلم، حتى يفشو بين الناس، ويعبدون الله تعالى على علم، ويضربون فى أرض الله تعالى — كل فى مجاله — وفق أحكام الشريعة الغراء .

وقد روى البخارى فى صحيحه «وكتب عمر بن العزيز إلى أبى بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبى صلى الله

---

(١) جامع ابن عبد البر ١/٩

عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا »[1] .

والمقصود مما سبق بيان أن الناس جميعاً فى حاجة ماسة إلى تلقى العلم ، وأن المشافهة بين العالم والمتعلم — فى مجالس العلم — من أنجح سبل تلقى العلم ، حيث تشترك حاستى السمع والبصر ، وربما يكتب الطالب والعلم صيد والكتابة قيده فتكون اليد حاسة ثالثة ، فضلا عن وقار المكان ، وملاحظة الإستاذ وآداب العالم والمتعلم المتجسدة فى المجالس .

آداب طالب العلم :

إن للمتلقين فى مجالس العلم آدابا ينبغى مراعاتها . حتى تتم الفوائد المنوطة بها ، وقد أفاض الإسلام وعلماؤه فى بيانها اختصر على بعضها .

١ — وأول ما يطالنا فى هـذا قوله تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فأفسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل أنشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير »[2] .

ومن فقه الآية الكريمة :

(ا) تنظيم مجالس العلم وإعدادها إعداداً جيداً ، والإهتمام بها يتأتى بصور متنوعة منها :

— أن يحدد المكان والزمان ولا يتخلى عنه حتى يعرفوا ذلك عنه ،

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : كيف يقبض العلم ١/١٥٧ .
(٢) سورة المجادلة الآية ١١

ويتنظموا مجلسه ولا يسأموه، وقد قعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصار عليه الصحابة وسلف الأمة من العلماء، وكانت تتأجه رائعة «فإن ابن مسعود قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا»[١]، «وعن أبى وائل قال: كان عبد الله يذكر الناس فى كل خميس، فقال له رجل: ياأباعبد الرحمن: لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال: أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»[٢]:

قال ابن حجر (ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة فى الجد فى العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين إما كل يوم مع عدم التكليف، وإما يوما بعد يوم فيكون الترك لأجل الراحة ليقبل على الثانى بنشاط وإما يوما فى الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. والضابط الحاجة مع مراعات وجود النشاط)[٣].

ومن هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ النساء فى زمان خاص بهن «فعن أبى سعيد الخدرى قالت النساء للنبى صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: مامنكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار، فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: واثنتين»[٤].

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم، باب: ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة ١٣٢/١

(٢) أخرجه البخارى فى العلم، باب: من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١٣٣/١

(٣) فتح البارى ١٣٣/١

(٤) أخرجه البخارى فى العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حده ١٥٨/١

ويستفاد من الحديث منع النساء والرجال من الاختلاط ، وإذا كان هذا ممنوعا فى مجالس العلم ، فالمنع الزم فى غيرها . ويتأدب بهذا طلاب العلم ويحرصوا عليه ، ويعملوا على تطبيقه سواء الرجال أم النساء . كما يستفاد منه حرص النساء على تعلم أحكام الشرع .

(ب) وفى الآية أدب الطالب مع أخيه ، ومعرفة كل منهما قدر زميله فقوله تعالى « وإذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا » .

يؤكد هذا قال ابن كثير (قال قتادة نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض)[١] .

(ج) وفى الآية توضيح أن الجزاء من جنس العمل — كما سبق — ومع هذا لا يعتقد إذا أفسح أخ لأخيه إذا أقبل أن ذلك يكون نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله تعالى والله لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لله رفع الله قدره ونشر ذكره[٢] .

وقد ورد فى السنة « عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا »[٣] .

(د) وليس معنى هذا عدم الإهتمام بمقدم المجالس فإن طلب مجالس العلم والإسراع إليها والجلوس فى مقدمة المجلس لأهل الفضل والنهى أمر مطلوب .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/٤ ، وانظر : أسباب النزول للسيوطى ص ٢٦٥ ، مكتبة نصير .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٦/٤

(٣) أخرجه مسلم فى : السلام . باب من أتى مجلسا فوجد فرجة ١٦٠/١٤

ولقد ورد فى السنة «عن أبى واقد الليثى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذا أقبل نفر ثلاثة ، فأقبل إثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحـــد قال : فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[1].

قال النووى (فى الحديث استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم فى موضع بارز .. والمسجد أفضل ، فيذاكرهم العلم والخير ، وفيه جواز حلق العلم والذكر فى المسجد واستحباب دخولها ، ومجالسة أهلها ، وكراهية الإنصراف عنها من غير عذر ، واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعا بينا ، ويتأدب بأدبه ، وأن قاصد الحلقة إن رأى فرجة دخل فيها وإلا جلس وراءهم ، وفيه الثناء على من فعل جميلا فإنه صلى الله عليه وسلم أثنى على الإثنين فى هذا الحديث ، وأن الإنسان إذا فعل قبيحا ومذموما وباح به ينسب إليه)[2].

والذى نقصد إليه هنا هو النظام والإعداد الدقيق لمجالس العلم ، وعلاقة الطالب مع زميله .

---

(١) أخرجه مسلم فى الكتاب والباب السابقين ١٥٨/١٤ وكذا البخارى فى العلم ، باب : من قعـــد حيث ينتهى به المجلس ١٢٧/١ واللفظ لمسلم .

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم ١٥٨/١٤ وانظر : فتح البارى لإبن حجر ١٢٨/١ ، ويلاحظ فى الحديث كذلك : قاعدة الجزاء من جنس العمل ، وطرح المسألة كأسلوب تربوى .

٢ — ومن آداب المتعلم أن يوقر العلم وأهله ، وأن يوقن الطالب أن استاذه أو شيخه بمنزلة الوالد ، بل إن الإمام الغزالى جعل الإستاذ منزلة أسمى من الوالد وعلل ذلك فقال (صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لإنساق ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الآخروية الدائمة)[١] ، ومصداق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده »[٢] فإذا قلنا — كما سبق — أن المعلم يستيقن أن الطلاب أولاده ، فإن من الواجب أن يستيقن الطلاب أن الأستاذ والدهم ، لتكون العلاقة المتبادلة بينهما علاقة حرص وحب واحترام .

ولقد كان الإمام على بن أبى طالب يقول : (أنا عبد من علمنى حرفا واحدا)[٣] .

وقال الزرنوجى (ومن توقير المعلم : ألا يمشى أمامه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدىء بالكلام عنده إلا بإذنه ، ولا يكثر الكلام عنده إلا بإذنه ، ولا يسأل شيئا عند ملالته ، ويراعى الوقت ، ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج ، ويطلب رضاه ، ويجتنب سخطه ويمتثل أمره فى غير معصية الله تعالى .. ومن توقيره توقير أولاده .. ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب ، فينبغى لطالب العلم ألا يأخذ الكتاب إلا بالطهارة[٤] .

وقد ذكر سعيد بن المسيب جملة من آداب الطالب رواها عن على بن

---

(١) إحياء علوم الدين ٤٩/١

(٢) أخرجه النسائى فى الطهارة ، باب : النهى عن الإستطابة بالروث ٣٨/١ عن أبى هريرة

(٣) تعليم المتعلم ص ١٦

(٤) المرجع السابق ص ١٥ (بتصرف)

أبي طالب فقال (إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تلح عليه إذا كلّ .. ولا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته)[1] .

وكان طلاب العلم من سلفنا الصالح يوقرون أساتذتهم ويهابونهم ، وسعيد بن المسيب من هؤلاء الطلاب فقد روى علي بن زيد (عن سعيد ابن المسيب قال : قلت لسعد بن مالك أني أريد أن أسألك عن شيء وأني أهابك ، فقال : يا ابن أخي إذا علمت أن عندي علماً فسلني)[2] .

وكان ابن عباس يهاب أن يسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ ، وظل كذلك لمدة عام ، حتى وجد الوقت المناسب فسأله ، فقال عمر : عائشة وحفصة[3] ، وإذا كان التملق ممقوتاً في الأمور كلها إلا أن العلماء جعلوه مستحباً ومرغوباً من الطالب للإستاذ[4] ، وذلك زيادة في التوقير والإحترام وتحصيل العلم منه.

٣ — ومن توقير طالب العلم لمجلس العلم والمعلم أنه إذا دخل المجلس ألقى السلام، وإذا كان الدرس في قاعة استأذن قبل الدخول، ولا يتحدث مع زميله في المجلس أثناء إلقاء الدرس.

---

(١) جامع ابن عبد البر ١٢٩/١ وكان طلاب العلم من السلف الصالح، يفخرون بخدمة أساتذتهم . وقد ذكر العلماء أن من مفاخر الشبلي أنه خدم أربعمائة أستاذ . انظر : أيها الولد للغزالي ص١٢١ ، تحقيق علي محيي الدين علي ، دار الإعتصام .

(٢ ، ٣) جامع ابن عبد البر ١١٢/١

(٤) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ٤٤/١

قال على بن أبى طالب (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصة بالتحية . . ولا تشيرن عنده بيدك ، ولا تعمدن بعينك غيره ، ولا تقولن قال فلان خلاف قوله .. ولا تسار فى مجلسه .. ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شىء)[١] .

وقال الإمام الشافعى (كنت أصفح الورقة بين يدى الإمام مالك صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها)[٢] .

(وقال الربيع — أحد تلاميذ الشافعى — والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعى ينظر إلىّ هيبة له)[٣] ، وقال المغيرة : كنا نهاب إبراهيم — أستاذه — كما نهاب الأمير ، وقال البخارى : ما رأيت أحداً أوقر للمحدثين من يحيى بن معين ، وأسند عن عبد الله بن عباس قوله: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحى من الأنصار ، فإن كنت لآتى باب أحدهم فأقيل ببابه ، ولو شئت أن يؤذن لى عليه لأذن لى ، لقرابتى من رسول الله ﷺ ، ولكن كنت ابتغى بذلك طيب نفسه ، وأسند عن أبى عبيد القاسم بن سلام قوله : مادققت على محدث بابه قط ، لقول الله تعالى « ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم » وروى عن عمر بن الخطاب قوله : تواضعوا لمن تتعلمون منه)[٤] .

وإذا سأل يسأل تفقها ، قال على بن أبى طالب لرجل سأله تعنتا — هو ابن الكواء — (ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتا)[٥] ثم أجابه .

(١ ، ٢ ، ٣) المجموع للنووى ٣٦/١

(٤) تدريب الراوى ٢ / ١٤٥ (بتصرف) والآية ٥ من سورة الحجرات

(٥) جامع ابن عبد البر ١٤٤/١

٤ — وطالب العلم يحتاج إلى الصبر والتواضع فى طلبه. وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام فى القرآن الكريم فى سورة الكهف عبر لمن يعتبر، وقد ذكر البخارى هذه القصة فى أكثر من موضع فى صحيحه منها « . . عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى .

قال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبى بن كعب فدعاه ابن عباس فقال: إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل موسى السبيل إلى لقيه هل سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه . قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما موسى فى ملاء من بنى إسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا الخضر ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه »[1] ، الحديث .

وقد ذكر البخارى القصة بتمامها فى موضع آخر فقال « . . عن سعيد ابن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو صاحب بنى إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنى أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك .

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ، باب : ما ذكر فى ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام فى البحر إلى الخضر ١/١٣٧ ، ٢٧٠ .

قال موسى : يارب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ ، فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاة يُوشَع بن نون ، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به ، فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجباً .

قال : فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً ، فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثرهما قصصاً ، قال رجعا يقصان آثرهما حتى أنتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مسجى ثوباً فسلم عليه موسى ، فقال الخضر وأنى بأرضك السلام ، قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى اسرائيل ؟

قال : نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه .

فقال موسى : ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ، فقال له الخَضِر . فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، فلما ركبا فى السفينة ، لم يفجأ إلا والخضر قد أقلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم . فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً

إمرا . قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . قال : قال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسيانا .

قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة، فقال له الخضر: ماعلمى وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة . فبينما هما يمشيان على الساحل ،إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقال موسى : أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقدجئت شيئاً نكراً ،قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً . قال . وهذا أشد من الأولى ، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض ، قال: مائل فقام الخضر فأقامه بيده ، فقال قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا . قال: هذا فراق بينى وبينك إلى قوله : ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما ،[1] الحديث ، وفقه القصة ودلالاتها فى القرآن والسنة واضحة وفى غاية الأهمية لطلاب العلم والعلماء أيضاً :

٥ — وينبغى للطالب أن ينوى بطلب العلم رضا الله تعالى ، والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه ، وعن سائر الجهال ، وإحياء الدين ، وبقاء الإسلام . فإن بقاء الإسلام بالعلم ، ولا يصح الزهد والتقوى والصلاح مع الجهل : كما ينبغى لطلاب العلم — وكذا العلماء — البعد عن الجدل قال الزرنوجى (ينبغى لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه

---

(١) أخرجه البخارى فى التفسير ، سورة الكهف ٨/٢٣٠

مما يحتاج إليه فى أمر دينه فى الحال ، ثم مايحتـــاج إليه فى المال [١] .
وإياك أن تشتغل بهذا الجدل الذى ظهر بعد إنقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد الطالب عن الفقه ، ويضيع العمر ، ويورث الوحشة والعداوة، وهو من أشراط الساعة ، وإرتفاع العلم والفقه [٢] . وقد وضع العلامة الآجرى منهاجاً للمناظرة أو الجدل بهدف الوصول إلى الحقيقة ، لأن الجدل فى حد ذاته غير مأموم العواقب على العالم والمتعلم ، مالم يتقيد بالأدب ، ويكون القصد منه الوصول من الطرفين للحقيقة ، وإلا كان جدلا عقيما يورث العداوة والقطيعة، وذهاب الحقيقة فى المسألة المرادة، قال الآجرى قال محمد بن الحسين (إن من صفة العالم العاقل الذى فقهه الله تعالى فى الدين ، ونفعه بالعلم ، أن لا يجادل ولا يمارى ، ولا يغالب بالعلم إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشـــافى ... فإن قال قائل : فإن احتاج إلى علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها لاختلاف العلماء فيها ، لابد من أن يجالس العلماء ، ويناظرهم حتى يعرف القول فيها على صحته ، وإن لم يناظر لم تقو معرفته ، قيل : بهذه الحجة يدخل العدو على النفس المتبعة للهوى ، فتقول : إن لم تناظر وتجادل لم تفقه ، فيجعل هذا سبباً للجدل والمراء المنهى عنه الذى يخاف منه سوء العاقبة) [٣] ، وقال فى موضع آخر (فان قال قائل : فما يصنع فى علم قد أشكل عليه ؟ قيل : إذا كان كذلك وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه ، قصد — الطالب — إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله .. فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة،

---

(١) هناك علوم ومعارف مذمومة وطالبها ومعلمها كذلك، فلا ينصرف شىء إليها مما ذكر من آداب العالم والمتعلم .
(٢) تعليم المتعلم ص ١١ ، ١٢ (بتصرف) .
(١) أخلاق العلماء ص ٥٦ ، ٥٧ .

وأعلمه أن مناظرتى إياك مناظرة من يطلب الحق ، وليست مناظرة مغالب ، ثم الزم نفسه الإنصاف له فى مناظرته ، وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره ويكره خطأه ، كما يحب ذلك لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، ويعلمه أيضاً أن كان مرادك فى مناظرتى أن أخطىء الحق ، وتكون أنت المصيب ، ويكون أنا مرادى أن تخطىء الحق ، وأكون أنا المصيب ، فإن هذا حرام علينا فعله ، لأن هذا خلق لا يرضاه الله تعالى منا ، وواجب علينا أن نتوب من هذا . فإن قال: كيف نتناظر قيل : مناصحة ، فإن قال : كيف المناصحة ؟ أقول له : لما كانت مسألة فيما بيننا أقول أنا أنها حلال ، وتقول أنت أنها حرام فحكمنا جميعاً أن نتكلم فيها كلام من يطلب السلامة ، مرادى أن ينكشف لى على لسانك الحق فأصير إلى قولك ، أو ينكشف لك الحق على لسانى فتصير إلى قولى مما يوافق الكتاب والسنة والإجماع . فإن كان هذا مرادنا رجوت أن تحمد عواقب هذه المناظرة ، وتوافق الصواب ، ولا يكون الشيطان فيما نحن فيه نصيب)[١]

وقال الإمام الغزالى (لا تناظر أحداً فى مسألة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة ، فإثمها — المجادلة — أكبر من نفعها . إذ هى منبع كل خلق ذميم ، كالرياء والحسد والكبر . والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها[٢]) ثم ذكر علامتين إذا لزمت (إحداهما : ألا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك .

والثانية : أن يكون البحث فى الخلاء أحب من أن يكون فى الملأ[٣]) .

والحق أن هذه ضوابط لابد منها فى المجادلة أو المناظرة . لأن الجدال

---

(١) المراجع السابق ص ٦٠ ، ٦١

(٢،٣) أيها الولد ص ١٣٦ .

فى مجالس العلم — وبحكم التجربة — يضيع مغزاها ، ويحــدث الشحناء والعـداوات ، وهو مرتع خصب للشيطان ، وهو مضيع للوقت وللعـلم ، ويدخل المسلمون فى متاهات وتفريعات هم فى غنى عنها ، وهو مطلب غال عند خصوم الدعوة الإسلامية .

وقد وردت أحاديث شريفة تحذر من مثل هذا الجدل العقيم منها :

« عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترك المراء — الجدل — وهو مبطل بنى له بيت فى ربض — أسفل — الجنة ، ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها[١] » .

« وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما ضل قوم بعد هـدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ « ما ضربوه لك إلا جدلا[٢] » .

« وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[٣] » . وهذه الأحاديث وغيرها صريحة فى النهى عن الجدل العقيم ، وتحذر المسلمين من خصومهم فى كل زمان ومكان إن أعداء الإسلام يجمعون من حين إلى حين مسائل جانبيه فرعية وشبهات من هنا وهناك ويقذفون بها فى ساحة المسلمين بقصد التعتيم على ما يمكرون به ضد الإسلام وأهله ، ويشغل المسلمون بالجدل حول هؤلاء ، وقد

(٢،١) رواهما ابن ماجة فى المقدمة ١/١٩ ، ٢٠ دار إحياء التراث العربى والآية ٥٨ من سورة الزخرف .

(٣) أخرجه البخارى فى الأحكام ، باب : الألد الخصم ١٣/١٥٣ ، ١٥٤ وهو : المجادل بالباطل ، ودائم الخصومة وشديدها والمعوج والمنحرف عن الحق .

تركوا الأهم، وتناسوا مايدبر لهم فى الظلام . وليس معنى هذا أن الدعوة الإسلامية إذا تعرضت من خصومها إلى هجوم أن يتقاعس علماؤها، ولا ينبرون لإقامة الحجج والبراهين لافحامهم، وإرشادهم إلى سبيل الرشاد[١]، بل القصد ألا يشغل المسلمون بالجدل، وبخاصة بين العلماء أو الطلاب والعلماء.

٦ — اذكر فى هذه النقطة نصيحة نفسية من الامام البخارى[٢] لأحد تلاميذه وقد جاء يطلب الحديث فقال له (يا بنى لاتدخل فى أمر إلا بعد معرفة حدوده، والوقوف على مقاديره، وأعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملا فى حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع، كأربع مثل أربع فى أربع، عند أربع بأربع، على أربع عن أربع لأربع، وكل هذه الرباعيات لاتتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلها هان عليه أربع وابتلى بأربع، فإن صبر على ذلك أكرمه الله فى الدنيا بأربع، وأثابه فى الآخرة بأربع. قلت له : فسر لى رحمك الله ماذكرت من أحوال هذه الرباعيات. قال : نعم أما الأربعة التى يحتاج إلى كتبها هى: أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وشرائعه، والصحابة ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم، مع أسماء رجالهم، وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم، كالتحميد مع الخطيب، والدعاء مع التوسل، والبسملة مع السورة، والتكبير مع الصلوات، مثل المسندات، والمرسلات، والموقوفات والمقطوعات، فى صغره، وفى إدراكه وفى شبابه، وفى كهولته، عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه، بالجبال والبحار، والبلدان والبرارى، على الأحجار والأصداف والجلود والأكتاف، إلى الوقت الذى يمكنه نقلها إلى الأوراق، عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه، وعن كتاب

(١) استخدم القرآن أسلوب المجادلة مع خصوم الإسلام .
(٢) هذه النصيحة ألزم لطلاب حديث رسول الله ﷺ .

أبيه ، يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره ، لوجه الله تعالى ، طالباً لمرضاته ، والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها ، ونشرها بين طالبيها والتأليف فى إحياء ذكره بعده ، ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع : هى من كسب العبد معرفة الكتابة والصرف والنحو ، مع أربع هن من عطاء الله تعالى : الصحة ، والقدرة ، والحرص ، والحفظ ، فإذا صحت له هذه الأشياء هان عليه أربع: الأهل والولد والمال والوطن ، وابتلى بأربع: شماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهلاء ، وحسد العلماء .

فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله تعالى فى الدنيا بأربع: بعز القناعة ، وبهيبة اليقين ، وبلذة العلم ، وبحياة الأبد ، وأثابه فى الآخرة بأربع: بالشفاعة لمن أراد من إخوانه ، وبظل العرش حيث لا ظل إلا ظله ، ويسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم ، وبجوار النبيين فى أعلى عليين فى الجنة .

فقد أعلمتك يا بنى بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخى متفرقاً فى هذا الباب ، فأقبل الآن على ما قصدتنى له ، أودع)[١] .

وقال أبو عاصم النبيل : من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدين ، فيجب أن يكون خير الناس[٢] .

وقال الإمام البخارى : (ما وضعت فى كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت وصليت ركعتين)[٣] .

وقال الثورى . ما كان فى الناس أفضل من طلب الحديث ، فقيل : يطلبونه بغير نية ! فقال : طلبهم إياه نية[٤] .

---

(١) تدريب الراوى ١٥٧/٢ (٢) المرجع السابق ١٤١/٢
(٣) مقدمة صحيح البخارى ص ٤٩٤
(٤) تدريب الراوى ١٣٠/٢

وقال حماد بن سلمة : من طلب الحديث لغير الله مكر به[١] .

وعن عمرو بن نجيد أنه سأل أباجعفر بن حمدان : بأى نية أكتب الحديث فقال : ألستم ترون أن ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟ قال : نعم ، قال . فرسول الله ﷺ رأس الصالحين[٢] .

وكان الإمام مالك إذا حضر مجلس التحديث عن رسول الله ﷺ تطهر وتطيب ، ومرح لحيته وجلس متمكنا بوقار ، وقيل له فى ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ وعنه قال : مجالس العلم تحتضر بالخشوع والسكينة والوقار ، وكان مالك إذا رفع أحد صوته فى مجلسه وهو يحدث انتهره وزجره ، ويقول : قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى »[٣] .

ومن توقير العلم عامة وأحاديث رسول الله خاصة مارواه بكر بن منير قال (بعث خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى إلى محمد بن إسماعيل — الإمام البخارى — أن أحمل إلى كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك فقال محمد بن إسماعيل لرسوله : قل له إنى لا أذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فإن كانت له حاجة إلى شىء منه فليحضرنى فى مسجدى أوفى دارى ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من المجالس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة ، إنى لا أكتم العلم ، فكانت الوحشة بينهما)[٤] .

---

(١) المرجع السابق ١٤١/٢
(٢) المرجع السابق ١٤١/٢ .
(٣) المرجع السابق ١٣١/٢ والآية رقم ٢ من سورة الحجرات .
(٤) مقدمة البخارى ص ٤٩٤ سيأتى أنه نفى البخارى من بلده ودعا عليه البخارى

وبعث إليه بعض السلاطين ليسمع أولاده، فأرسل إليه البخارى قائلاله فى بيته العلم والحلم يؤتى [١].

والذى قعد كل هذا هو سيدنا سعيدبن المسيب، فتذكر التراجم أن جاءه رجل وسعيد مريض، فسأله عن حديث لرسول الله ﷺ فجلس فحدثه ثم اضطجع، فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال سعيد: كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع [٢].

٧ — ذكر علماء الإسلام توجيهات تربوية لطلاب العلم تفيدهم فى الحفظ وتساعدهم على التحصيل من ذلك أن يبدأ طالب العلم رحلته بحفظ القرآن الكريم فهو أهم العلوم، وأساسها، وحفظه فى الصغر مفيد للغاية، وكان السلف لايعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن العزيز، ثم بعد حفظه للقرآن يأخذ من كل فن مختصرا، ويبدأ بالأهم مثل الفقه والنحو والحديث.

وهكذا تكون البداية. وعلى الطالب أن يغتنم التحصيل فى وقت الفراغ والنشاط وفترة الشباب وقوة البدن، ونباهة الخاطر، وينتهز فرصة قلة الشواغل قبل عوارض شواغل الحياة ونصبها، وكذلك قبل إرتفاع منزلته. وقد ذكر الماوردى عدة معايير أو مقاييس لإجادة التحصيل منها العقل الذى يدرك به حقائق الأمور، والفطنة التى يتصور بها غوامض العلوم، والشهوة فى طلب العلم، والإكتفاء بمادة تغنيه عن كلف الطلب، والوقت الذى يكون معه التوفر ويحصل به الإستكثار من

---

(١) أنظر: البداية والنهاية ٣٦/٦

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٣٤/٥، صفة الصفوة لابن الجوزى ٨٠/٢، دار المعرفة، والحلية لأبى نعيم ١٦٩/٢

العلم وعدم انشغاله بهموم الدنيا . (١) وأن يكون لديه الإستعداد والنشاط بل النهمة فى طلبه للعلم وأن يودع الكسل واللهو ومضيعة الوقت وداعاً لا لقاء بعده ، ويظل هكذا حتى لقاء ربه « فطلب العلم من المهد إلى اللحد . قال الماوردى (لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ، ويكد نفسه ، وكثرة الدرس كد لا يصبر عليه إلا من يرى العلم مغنماً والجهالة مغرماً ، فيتحمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم ، ويتقى معرة الجهل . فإن نيل العظيم بأمر عظيم ، وعلى قدر الرغبة يكون الطلب ، وبحسب الراحة يكون التعب وعلة الراحة قلة الاستراحة ، وأكمل الراحة ما كانت عن كد التعب ، وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب) (٢) وقد قال الشاعر :

بقدر الجد تكتسب المعالى ومن طلب العلى سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا يغوص البحر من طلب اللآلىء

وقال :

وأسهر للمجد والمكرمات إذا اكتحلت أعين بالكرى »(٣)

وقد ذكر العلماء أن أفضل وقت للمذاكرة الليل ، وكان طلاب العلم من سلف الأمة يفعلون ذلك ، ففازوا .

وقد واصل العلماء نصائحهم لطلاب العلم مالا يخرج عما يقوله تربويو هذا العصر ، بل هم الذين قعدوا القواعد ، ومهدوا الطريق ، وفتحوا على

---

(١) انظر : أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٥٨ ، المطبعة الأميرية والمجموع للنووى ٣٨/١

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٤٧

(٣) انظر : هامش على الإتقان لعلوم القرآن ٢٤٤/١

الدنيا أبواب المعارف فى كل العلوم ، قال الزرنوجى: أن يحترز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع ... وأقوى أسباب الحفظ: الجد والمواظبة وتقليل الغـــذاء ، وصلاة الليل ، وقراءة القرآن ، والسواك وشرب العسل ... ويصلى صلاة الخاشعين فإن ذلك عون على التحصيل والتعلم .. وأن يكون ورعا ومن ورعه أن يتحرز عن الغيبة والحرام، وإضاعة الوقت ، وأن يتجنب أهل الفساد والمعاصى، فإن المجاورة مؤثرة وعليه أن يجاور الصلحاء ، ويحترز عن دعاء المظلومين ويغتنم دعاء أهل الخير والفضل (١).

هذا وقد اهتم علماء الإسلام ومفكروه بطلاب العلم ، وحثوا العلماء على مراعاتهم ، والإهتمام بهم ، وبذل الجهد والنصح لهم وذلك لأن طلاب اليوم علماء الغد ، والمتعلم غداً يصير معلماً ، وهكذا تتواصل الأجيال من العلماء الأجلاء .

ولما كانت مجالس العلم هذه خصائصها وفضائلها ، ومنافعها ، فعلى الآباء والأمهات دفع أولادهم وبناتهم إليها ، وترغيبهم فيها .

وقد ذكر الإمام مالك فى الموطأ نصيحة غالية من لقمان لولده فقال « أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى إبنه فقال : يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك . فإن الله يحى القلوب بنور الحكمة ، كما يحى الله الأرض الميتة بوابل السماء »(٢) .

---

(١) انظر : تعليم المتعلم طريق التعلم فى صفحات متفرقة .

(٢) أخرجه مالك فى الموطـــأ فى كتاب العلم ص ٦١٩ دار الشعب .

هذه لمحات سريعة عن سيدنا سعيد داعية طفنا على أنواره حول بعض المعانى السامية فى حاجة العالم إلى الإسلام، والتعريف بالدعوة، وحكم تبليغها، ومنزلة الداعية، وبعض وسائل التبليغ الأساسية وبخاصة مجالس العلم، وبيان فضلها، وآداب العالم والمتعلم فيها. إلا أن سيدنا سعيد لم يقف عند هذا بل ارتقى بنفسه إلى ما هو أوجب، وهو الداعية المجاهد.

المبحث السابع

سيدنا سعيد داعية مجاهد

الجهاد في سبيل الله تعالى تتعدد جهاته، وتتشعب ميادينه في كل ضروب الحياة.

قال ابن منظور والجهد بلوغ الغاية في الأمر الذي لاتألوا على الجهد فيه . وجهد الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ .. وبذل فيه الوسع والطاقة لبلوغ الغاية .. والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب[1].

وقال الزرقاني: (والجهاد شرعا: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق على مجاهدة النفس بتعلم أمور الدين ثم العمل بها ثم على تعليمها، وعلى مجاهدة الشيطان بدفع ما يأتي به من الشبهات ومايزينه من الشهوات وعلى مجاهدة الفساق باليد ثم باللسان ثم بالقلب)[2].

ولقد جاهد سيدنا سعيد الداعية في كل هذه الميادين، وبذل فيها غاية الطاقة والوسع، وسوف أركز — هنا — على ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سوف أتناول في هذا المبحث ثلاثة موضوعات رئيسية:

الأول: المنهج.

---

(١) انظر: لسان العرب ٧٠٨/١

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ٣/٣، وانظر فتح الباري لابن حجر ٦/٢.

والثانى : التطبيق من حياة سيدنا سعيد .

والثالث : ابتلاءات سيدنا سعيد .

الموضوع الأول : المنهج :

سبق إلقاء أضواء على أن سيدنا سعيد كان مجاهدا — طالباً للعلم ومعلماً إياه — لكنه رضى الله عنه لم يقف عند هذا ، بل اقتحم الحياة بكل ما فيها ، وأشرقت بصماته المشعة عليها ، وجاهد جهاد العلماء العاملين المخلصين للدعوة الإسلامية ، ولم يكن داعية سلبيا يتكلم وفقط .. والحق أن الحياة لكى تمضى قدما ، ويعيش الناس فيها ، لابد لصوت الحق أن يعلو ويرتفع ، ولا يكون كذلك إلا إذا آمن به جماعة من الناس واعتنقوه ، واندمج مع نبضات قلوبهم ، وسرى فى شـــرايين حياتهم ، فيحملون لواءه أينما حلوا وارتحلوا ، ويدافعون به أهل الباطل أينما كانوا ، وقد تكون هذه الجماعة قلة بين كثرة ، لكن لابد من وجودها فى دنيا الناس ، والذى لاشك فيه أنها تلاقى من العذاب ألوانا ، وتضطهد وتعذب وتسجن ، بل قد لايرتفع لواء الحق إلا بعد أن يروى بأناتهم ودماء الشهداء منهم فى ميادين المواجهة — وهذا أشرف ميادين الجهاد — وكل هذا يهون فى سبيل المبادىء الصحيحة ، وصوت الحق يرتفع فى عنان السماء ، يأوى إليه الحيارى ، وينير معالم الطريق المستقيم ، ويقوم العمران ويزداد الخير ، ويبارك فيه .. ولو ترك الباطل دون هذه المقاومة لإنهارت المبادىء القويمة ، وعاش الناس فى ظلماته الكثيفة ، ولعم الظلم وساد ، وفقدت الحياة الأمن وخربت البلاد ، وأنهارت وسقطت بما فيها على من فيها ، لذلك جند الإسلام كتائب من بنيه الفرسان تقوم بأداء هـــذا الواجب المقدس ، وأجزل لهم العطاء ، وأخلد ذكراهم فى الدنيا والآخرة وسيدنا سعيد بن المسيب واحد من هؤلاء فكان عالى الهمة عزيز النفس

أبيا لا يذل لا يجارى ولا يمارى ، ولا يرى لأحد عليه يدا يغضى لها حين يغضب وقد وهبه الله تعالى العلم وأعزه به لا يعتز بسواه ، لم يقف على باب حاكم أو أمير طمعاً فى رفده أو آملا فى جاه عنده ، وامتحن بالمحن والشدائد الضرب والتشهير والسجن فلم تهن له قوة ، ولم يفل له عزم ، واثقا بالله تعالى ، متدرعا بالصبر والرضا ، محتسباً أجر جهاده عند الله تعالى الذى يجزى الصابرين بغير حساب .. ووجد سعيد بن المسيب ميدانا يجب أن لا يترك لعبث العابثين ، وكما نصب نفسه لنشر العلم نصب نفسه للجهاد فيه، وهو ميدان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهو أمر واجب بإجماع الأمة .

قال العلماء : ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكونه لا يفيد فى ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، ومن ثم عليه الأمر والنهى وليس عليه القبول .. وقالوا : لا يختص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين ، قال إمام الحرمين — أبو المعالى — والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة فى الصدر الأول والعصر الذى يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم[1] .

وقال النووى : (واعلم أن هذا الباب أعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه فى هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً ، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح ، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »[2] .

---

(١) انظر : شرح النووى الصحيح مسلم ٢/٢٢

(٢) سورة النور آية ٦٣

فينبغى لطالب الآخرة والساعى فى تحصيل رضا الله عزوجل أن يعتنى بهذا الباب فإن نفعه عظيم وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولايهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: «ولينصرن الله من ينصره»[1] .

وقال تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم»[2].

وقال: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»[3] .

وقال: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون».

ولقد فتنا الذين من قبلهن فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»[4] .

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى فى عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص فى دنياه، وعدوه من يسعى فى ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع فى دنياه، وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا. وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء المؤمنين لسعيهم فى مصالح آخرتهم وهدايتهم

---

(١) سورة الحج آية ٤٠
(٢) سورة آل عمران آية ١٠١
(٣) سورة العنكبوت آية ٦٩
(٤) السورة السابقة الآيتان ٢، ٣

إليها)[1] ، والجهاد فى ميادين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له أدلة كثيرة منها .

أدلة من القرآن الكريم :

قال تبارك وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[2] .

قال ابن كثير : (ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان هذا واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه)[3] .

— وقال جل ذكره : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون »[4] ، ويلاحظ فضيلة هذه الأمة وخيريتها بأداء واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما يلاحظ تقديمهما فى صدر الآية وذلك لأهميتهما ومكانة القائمين بهما ، ومن هنا إثم التارك لها ، لذا قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »[5] وسيأتى حديث فيها .

---

(١) شرح النووى بصحيح مسلم ٢٤/٢
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٩٠/١ (بتصرف) .
(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠
(٥) سورة المائدة الآية ٧٨

وقال جل ذكره فى امتنانه على المؤمنين والمؤمنات «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»[1] والآيات فى هذا الشأن كثيرة.

أدلة من السنة الشريفة :

لقد ورد فى السنة المطهرة أحاديث كثيرة تؤكد هذا الواجب ومنزلة القائمين به، وتبين آثاره الطيبة إذا قام به المؤمنون والمؤمنات. وفى الوقت ذاته تبين الآثار المهلكة إذا تقاعس وتهاون فيه المسلمون. ولنذكر طرفا منها :

قال رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[2].

«وعن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[3].

«وعن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : الدين النصيحة قلنا لمن قال :

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١

(٢)، (٣) أخرجهما مسلم فى كتاب الإيمان، باب : كون النهى عن المنكر من الإيمان ٢/٢٢

لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] . وهذا الحديث عليه مدار الإسلام — كما قال النووى — كما يوضح مجال الدعوة والنصيحة .

« عن زياد بن علاقة قال : سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم بإتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن ، ثم قال : استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد فإنى أتيت النبى ﷺ قلت أبايعك على الإسلام ، فشرط على النصح لكل مسلم ، فبايعته على هـذا ، ورب هذا المسجد : إنى لناصح لكم ثم استغفر ونزل »[٢] . وذكر ابن حجر فائدة نفيسة توسع وتوضح مجالات الدعوة بعد أن ضيقها كثير من الناس فى زمننا هذا فقال (التقييد بالمسلم للأغلب ، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام ، ويشار عليه بالصواب إذا استشار)[٣] .

« وعن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم »[٤].

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان ، باب : الدين النصيحة ٣٧/٢ ، وأنظر شرح الحديث شرح النووى لصحيح مسلم ٣٧/٢ ومابعدها ، وفتح البارى لابن حجر ١١٣/١ ففيهما فوائد ثمينة

(٢) أخرجه البخارى فى الإيمان باب : قول النبى ﷺ الدين النصيحة ١١٤/١ وقد سبق ذكر بعض مناقب سيدنا جرير بن عبد الله

(٣) فتح البارى ١١٤/١

(٤) رواه ابن ماجة فى كتاب : الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٣٢٧/٢ ، ١٣٢٨ ، دار إحياء التراث العربى

« وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فكان فيما قال : لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه »(١) .

« وعنه — أيضاً — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحقرن أحدكم نفسه قالوا : يا رسول الله ! كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمر الله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى »(٢) .

« وعن أبي عبيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » إلى قوله تعالى : « ولكن كثيراً منهم فاسقون » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال : لا حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطرا »(٣) . أي تعطفونه عليه .

« وعن عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثره علينا

---

(١) ، (٢) ، (٣) رواها ابن ماجه في الكتاب والباب السابقين ٣/٣١٧ ، ٢٨

وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم »(١) .

« وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة »(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة عدل — أو حق — عند سلطان جائر »(٣) . وفى رواية « أحب الجهاد إلى الله عز وجل كلمة حق تقال لإمام جائر »(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه »(٥) .

« وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها — العصاة — كمثل قوم استهموا — اقترعوا — على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا أستقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا

---

(١) رواه ابن ماجة فى الجهاد ، باب : البيعة ٩٥٧/٢

(٢) رواه ابن ماجة فى الجهاد ، باب : لا طاعة فى معصية الله ٩٥٦/٢

(٣) رواه ابن ماجة فى الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٣٢٩/٢

(٤) كنز العمال ٩٤/٣ وعزاه إلى أحمد والطبرانى عن أبى أمامة .

(٥) المرجع السابق ٦٥/٣ وعزاه إلى أحمد عن أبى بكرة

هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[1] والأحاديث في هذا الأمر كثيرة[2].

تلقى سعيد بن المسيب من مدرسة النبوة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التعاليم ، فتغلغلت في أعماق قلبه ، وسرت بين ضلوعه ، وامتزجت بدمه الذكي ، فوهب حياته لها، فعاش طوال حياته قوى الإيمان، لا يخشى في الله لومة لائم ، ولم يطق السكوت عن بيان الحق والصدع به ، كما لم يطق السكوت عن إنكار المنكر مهما كان فاعله حاكما أو محكوما ، لم يخش على حياته ولا على رزقه ولا على أولاده ، ولم يطمع في منصب أو جاه أو إمارة أو ترف في حياته ... إن حياة سعيد كلها مواقف راسخة ثابتة ، ورباطة جأش ، صدع بالحق في أحلك الظروف ، عزة نفس أعز بها الإسلام والمسلمين .. لقد ضرب المثل الرائع الفريد أمام الدعاة ليحتذوا به ، لتظل معالم الحق واضحة ، ولا تهتز ثقة الناس في العلماء يوما ما، هكذا كان الرجل داعية مجاهدا ، وتحمل في سبيل هذا كل غال ونفيس ، ولو كان الثمن حياته ، ليكن هذا ، لكن المهم عنده الإسلام وتشريعاته تظل شامخة بشموخ رجاله وأبنائه ، ولتعلم الدنيا كلها أن الإسلام له رجال بررة ، ينافحون عنه ، ويجاهدون في سبيل مبادئه ... ليمضي الناس في ضروب حياتهم وهم واثقون برجاله ، لا يرهبهم شيء . الحق أبلج في دنيا الناس ما دام هؤلاء هم حملته ، وبمثل هذه المبادىء والأخلاق تشرق الدعوة ، وتمضى قدما ، لتقتحم بنورها كل أرجاء الأرض . . إن حياة سعيد بن المسيب هكذا في مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان ابن بجدته والمجلى في حلبته ، وهو فارسه الأوحد . لا ينازعه فيه أحد في زمانه ... وأذكر هنا نماذج لمواقفه الشجاعة .

---

(١) أخرجه البخارى في الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة ٥/٩٩

(٢) أنظر : الترغيب والترهيب ٢٧٦/٣ وما بعدها

الموضوع الثانى — التطبيق :

نماذج من مواقف سيدنا سعيد الداعية المجاهد :

١ — فى عهد يزيد بن معاوية : قال سعيد بن المسيب (لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى المسجد أحد غيرى، وإن أهل الشام ليدخلون المسجد زمراً يقولون : انظروا إلى هذا المجنون . وما يأتى وقت الصلاة إلا سمعت أذانا فى القبر ثم تقدمت فأقمت وصليت وما فى المسجد أحد غيرى)[١] .

وهذه شجاعة نادرة ، وموقف صعب ، وليس له إلا سيدنا سعيد . فأحداث ليالى الحرة مرعبة ودامية ، والويل لمن يقف فى مواجهة هذا التيار العاصف القاصف المهلك . لكن سعيد يرى مسجد رسول الله ﷺ قد خلا من الناس كل الناس ، وقد حان وقت الصلاة، فهل يترك الساحة الشريفة ولا تقام الصلوات فى أوقاتها !! إن سعيد اقتحم هذه الأهوال وأدى الصلاة وحيدا فريدا ، لتظل شعائر الإسلام مقامه ، ولو كان الثمن حياته ، ولو إتهم بالجنون . ولا يخفى على القارىء الكريم أن يوم الحرة كان فى السنة الثالثة والستين من الهجرة ، وكان أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية لشربه الخمر ، وتركه بعض الصلوات وإماتتها فى غالب الأوقات وإقباله على الشهوات ، وفرحه بمقتل سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما عندما بلغه ذلك[٢] . من أجل هذا وغيره خلعه أهل المدينة، وولوا عليهم من قريش عبد الله بن مطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة، فوجه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٨/٤

(٢) قيل ندم على فرحه هذا بعد ذلك

إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرّى[1] ، وأرسل معه عشرة آلاف فارس ، وقيل اثنا عشر ألفا وخمسة عشر ألف رجل ،وأعطى كل واحد منهم مائة دينار ، وحدثت مقتلة رهيبة قال عنها ابن كثير (وقتل خلقا من أشرافها وقرائها ، وانتهبت أموالا كثيرة منها ، ووقع شر عظيم ،

---

(١) يسميه السلف مسرف ومجرم قبحه الله لإسرافه وإجرامه لقتل أصحاب رسول الله ﷺ وأولادهم من التابعين انظر : الإصابة لإبن حجر ٢١٩/٤ والبداية والنهاية ٧٥١/٤ . وانظر : ترجمة يزيد بن معاوية المرجع السابق ٤ / ٧٦١ وما بعدها . وانظر : ترجمة عبد الله بن مطيع الإصابة ٢٩٤/٣ . وعبد الله بن حنظلة بن أبى عامر والده غسيل الملائكة قتل عبد الله يوم الحرة ، ولما اشتد القتال قدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا كلهم وهم ثمانية ، ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل ، وكان فاضلا عظيم الشأن ، كبير المحل ، شريف البيت والنسب ، سمع قارئا يقرأ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » ـــ الأعراف ٤١ ـــ فبكى حتى ظنوا أن نفسه ستخرج ثم قام فقيل له : يا أبا عبد الرحمن اقعد ، فقال : منع منى ذكر جهنم القعود ، ولا أدرى لعلى أحدهم . وقال مولاه سعيد : لم يكن لعبد الله بن حنظلة فراش ينام عليه ، وإنما كان يلقى نفسه إذا أعيا من الصلاة يتوسد رداءه وذراعه ، ويهجع شيئا . قال عبد الله بن أبى سفيان : رأيت عبد الله بن حنظلة فى النوم بعد مقتله فى أحسن صورة، فقلت : أما قتلت ؟

قال : بلى ، ولقيت ربى فأدخلنى الجنة فأنا أسرح فى ثمارها حيث شئت ، فقلت : أصحابك ما صنع بهم قال : هم معى حول لو أنى لم تحل عقده حتى الساعة واستيقظت انظر: الإصابة ٢١٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٢

وفساد عريض ، وأباح مسلم — مسرف — بن عقبة بعد تلك المقتلة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال ، وكان من قتل صبرا بين يديه معقل بن سنان ، وكان صديقه قبل ذلك . ولكنه أسمعه فى يزيد كلاما غليظا فنقم عليه بسببه)[1] .

وفى وسط هـذه الأحداث المروعة والمرعبة جيء إلى مسلم — مسرف — بسعيد بن المسيب فقال له : بايـع ، فقال له سيدنا سعيد بن المسيب : أبايع على سيرة أبى بكر وعمر ، فأمر مسرف بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون ، فخلى سبيله[2] .

وكان سيدنا سعيد يبغى من هـذه المواجهة الصعبة أن تعود الدولة الإسلامية ونظام الحكم فيها إلى الينابيـع الأصيلة ، إلى القرآن والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، وبخاصة ما كان عليه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وبخاصة فى سيرتهما الذاتية ، ومعلوم أن الدولة والدعوة الإسلامية بلغتا أوج عظمتهما فى عهد الشيخين الجليلين ، وصارا فى الناس سيرة رسول الله ﷺ . وعندما وجد سعيد هذا الإنحراف لم يأبه بالأحداث ، ولا بد من الجهر بالحق فى وسطها ، وليعلو مدويا مهما كانت التضحيات، ولو كانت حياة سعيد ، المهم أن الحق يظل موجودا وقويا وله رجاله . والا انتشى الباطل، وحل الدمار والخراب والذل والعار والفقر والجهل .

---

(١) البداية والنهاية ٧٥٣/٧ ، ومعقل بن سنان — بكسر السين — صحابى جليل ومن القادة الشجعان ، وكانت معه راية قومه يوم حنين ويوم فتح مكة وسكن الكوفة وكان موصوفا بالجمـال ، وكان على المهاجرين يوم الحرة فقتله مسلم — مجرم — بن عقبة . انظر : الإعلام للزركلى ٢٧٠/٧ دار الملايين وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٣٣/١٠

(٢) انظر : البداية والنهاية ٤ /٧٥٤

والكوارث والأزمات وكلها إفرازات نتنه يفرزها الباطل وأهله فأى شجاعة وأى صلابة هذه ياسيدى سعيد .

٢ — فى عهد عبد الملك بن مروان : ومن صور شجاعته وصدعه بالحق ما كان منه عندما تولى عبد الملك خلافة المسلمين — وكان له إقدام على سفك الدماء — وكان فى حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بينى وبينك ، وكان يعد من الفقهاء قبل أن يدخل فى الإمارة[1] ، وقال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة ارتكبها ،فقال له سعيد بن المسيب : الآن تكامل موت قلبك[2] ، ولم يخش من سلطانه وبطشه ، فالحق أحق أن يتبع ، وأى انحراف عنه يجب أن يبان ويظهر ، حتى يخمد صوت الباطل . ومن لهذا الا العلماء المجاهدون ، ومن لهذا الموقف والتصريح بالحق إلا سعيد بن المسيب .

— وكان سعيد بن المسيب واقفا فى شموخ لتصحيح المفاهيم والأفعال مهما كان قائلها وفاعلها . فيروى المؤرخون أن أول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصيام ، إنما العبادة التفكر فى أمر الله تعالى ، والورع عن محارم الله[3] .

— أدرك عبد الملك بن مروان عند وفاته ما هو تاركه من جاه الملك وأبهة السلطان ، وترف الحياة الدنيا وزخرفتها ، وما هو قادم عليه من سكرات الموت — بعد زوال الملك — وضمة القبر وظلمته ، وسؤال الملكين ، والميزان والصراط والحساب ، الجنة والنار ، دار كل هذا

---

(١) انظر : ترجمة عبد الملك بن مروان المرجع السابق ٥ /٨٣

(٢) انظر : البداية والنهاية ٥/٩٠

(٣) المرجع السابق ٥ / ٨٤

فى خلده ، فأمر بفتح أبواب قصره ، فلما فتحت سمع قصّارا[1] بالوادى فقال : من هذا ؟ قالوا : قصارا ، فقال : ليتنى كنت قصارا ، أعيش من من عمل يدى ، فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم[2] فكان الرجل واثقاً من خطواته وهو يمضى مجاهداً فى سبيل الدعوة ، فخوراً بعمله فى هذا الحقل ، ويعتز به ، أفضل ما يعتز الملوك بعروشهم ، فهم يحصدون الحسرة والندم عند زوالها ، والدعاة يجدون اللذة ويجنون السعادة عند مفارقتهم الدنيا ، حتى قال أحدهم لو يعلم الأمراء ما نحن فيه لجالدون عليه بسيوفهم .

٣ — ومن نماذج صدعه بالحق ، وتبليغه للناس أياً كانت مواقعهم ومراكزهم ، ما فعله مع الحجاج بن يوسف . ومعلوم من هو الحجاج وبطشه وجبروته وطغيانه ، فهو قاتل عبد الله بن الزبير[3] .

---

(١) القصار هو : محوّر الثياب أى الخياط .

(٢) انظر : المرجع السابق ٩١/٥ .

(٣) أول مولود فى الإسلام بعد هجرة المهاجرين وحنكه رسول الله ﷺ ، فكان ريق رسول الله ﷺ أول شىء دخل جوفه ، ولما ولد كبر المسلمون وفرحوا به كثيراً لأن اليهود قالوا : قد سحرناهم فلا يولد لهم ولد ، فكذبهم الله عز وجل ، وكان صواما قواماً طويل الصلاة . وكان يصلى فكأنه خشبة منصوبة لا تتحرك ، وكان إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا أصل حائط ، وكان يقوم ليلة حتى يصبح ويركع ليلة حتى يصبح ويسجد ليلة حتى يصبح ، وقال بعض الرواة : ركع ابن الزبير يوما فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه ، ولقد كان يركع فيكاد الرخم أن يقع على ظهره فكـ

وكان فى سيفه رهق ، فكان كثير قتل النفوس التى حرمها الله بأدنى شبهة ، حتى قال له أبوه : والله إنى لأظن أن الله عز وجل خلقك شقيا ، وذكر ابن كثير مساوىء كثيرة عنه منها جرأته على سيدنا سليمان عليه

= ثوب مطروح ، وكان يصلى يوما فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن إبنه هاشم فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل واجتمعوا على قتلها فقتلوها وسلم الولد ، فعلوا هـذا كله وابن الزبير فى الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى حتى سلم .

وروى عن النبى ﷺ وعن أبيه وعن عمر وعثمان وغيرهم وكان سيدنا سعيد بعده من فصحاء العرب وخطبائهم . وكان عظيم الشجاعة مجاهداً فى سبيل الله غزا إفريقية مع عبـدالله بن سعد بن أبى سرح وقتل ملكهم وكان الفتح على يده . وقال عنه عبد الله بن عباس : كان قارئاً لكتاب الله متبعاً لسنة رسول الله ﷺ قانتاً لله صائماً فى الهواجر من مخافة الله تعالى ابن حوارى رسول الله ﷺ وأمه إبنة الصديق وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله . وقالت له أمه — أسماء — فوالله لضربة بسيف فى عز خـير من ضربة بسوط فى ذل . وعندما قتلوه — سنة ثلاث وسبعين — كبر أهل الشام فرحا فقال عبد الله بن عمر : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل وجاءت أمه بعد قتله وقد صلبه الحجاج فقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج : المنافق فقالت : والله ما كان منافقا ، ولكنه كان صواماً قواماً وصولا ، قال: انصرفى فإنك عجوز قد خرفت فقالت لا والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، أما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت المبير ، وتعنى بالكذاب المختار بن عبيد .

=

الصلاة والسلام وعلى عبد الله بن مسعود ، فكان فاسقاً فاجراً قبحه الله وأخزاه وأبعده وأقصاه — هكذا دعا عليه ابن كثير — لأنه لم يبق حرمة إلا ارتكبها ، وكان ينقض عرى الإسلام ، واتهمه كثير من العلماء بالكفر[١] . إلا أن سيدنا سعيد بن المسيب لم يخش شيئا من كل هذا ، ويتضح ذلك عندما قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك ؟ قال : والله ما أدرى ، إلا أنه دخل ذات مرة مع أبيه المسجد ، فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفا من حصى فحصبته بها ، زعم أن الحجاج قال : ما زالت بعد أحسن الصلاة[٢] .

ويفصل ابن كثير تلك الواقعة ويقول (أن الحجاج بن يوسف صلى ذات مرة بجنب سعيد بن المسيب وذلك قبل أن يلى شيئا فجعل يرفع قبل الإمام ، ويقع قبله فى السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه — وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة — فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره . ثم أقبل عليه سعيد فقال له : يا سارق ، ياخائن ، تصلى هذه الصلاة ! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك ، فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائبا على الحجاز ، فلما قتل ابن الزبير كر راجعا إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج — حتى جلس بين يدى سعيد فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد

انظر الإصابة ٢٤٢/٤ والسير ٣٦٣/٣ والبداية ٨٩٤/٤ والمبير : الذى لا خير فيه ويسرف فى إهلاك الناس . انظر : لسان العرب ٣٨٥/١ .

(١) انظر : البداية ١٥٧/٥ وما بعدها .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢٦/٤ .

صدره بيده وقال : نعم قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك ، ثم قام ومضى)[1] .

والشجاعة النادرة هنا واضحة أمام الظلمة وكذا الثبات على المبدأ . وعدم التراجع عنه ، وتبليغ الناس مهما كانت مناصبهم .

يقول المؤرخون وهم يسجلون شجاعة وعزة سعيد بن المسيب (قدم عبد الملك بن مروان المدينة فامتنعت منه القائلة واستيقظ فقال لحاجبه انظر هل فى المسجد أحد من حداثنا ؟ فخرج فإذا سعيد بن المسيب فى حلقته فقام حيث ينظر إليه ، ثم غمزه وأشار بإصبعه ثم ولى ، فلم يتحرك سعيد ، فقال : لا أراه فطن ، فجاء ودنا منه ثم غمزه ، وقال : ألم ترنى اشير إليك ؟ قال سعيد : وما حاجتك ؟ قال أجب أمير المؤمنين، فقا : إلى أرسلك ؟ قال : لا ولكن قال انظر بعض حداثنا ، فلم أجد أهيأ منك ، قال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حداثه ، فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً ، وذهب فأخبر عبد الملك ، فقال : ذاك سعيد بن المسيب فدعه)[2] أين هذا الطراز الفريد .

٤ — عهد الوليد بن عبد الملك[3] :

تذكر كتب التاريخ أن الوليد عندما استخلف قدم المدينة ، فدخل المسجد النبوى ، فرأى شيخا قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا ؟

---

(١) البداية والنهاية ٥/١٦٠ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ٤/٢٦٦ .
(٣) إن شاء الله تعالى بعد قليل سيأتى أن الوليد هذا قد رفض سعيد زواجه من إبنته .

قالوا : سعيد بن المسيب ، فلما جلس أرسل إليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد: لعلك أخطأت باسمي، ولعله أرسلك إلى غيري ، فرد الرسول فأخبره ، فغضب وهم به ، وفي الناس تقيَّة ، فأقبلوا عليه ، فقالوا : ياأمير المؤمنين فقيه المدينة ، وشيخ قريش لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه ، فما زالوا به حتى أضرب عنه[1] ، ما هذا ياسيدي سعيد !! شجاعة أدبية سامقة ، قمة السمو والعزة والإباء أمام الملوك والأمراء ، مثل نادر للدعاة المجاهدين . ورحم الله رواد مجلسه فقد كانوا يدركون قدر الرجل فلم يمكنوا الحاكم من إلحاق الضرر به لعفته وعزته ومواقفه المشرفة وحبهم الجم له .

— وفي سنة إحدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين بعد أن توفي والده عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز — وهو نائب الوليد عليها — أشراف المدينة فتلقوه ودخل مدينة رسول الله ﷺ ، فأخلى له المسجد النبوي، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب ، لم يتجاسر أحد أن يخرجه ، وإنما عليه ثياب لاتساوي خمسة دراهم[2] فقالوا : تنح عن المسجد أيها الشيخ فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد، فجعل يدور فيه ويصلي ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه التفاته فقال : من هذا ؟ أهو سعيد بن المسيب ؟ فقلت نعم ، ولو علم أنك قادم لقام إليك وسلم عليك فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : إنه وإنه وشرعت أثني عليه ، فقال : نحن

---

(١) أنظر : سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٤

(٢) يلاحظ زهد الرجل وتقشفه .

أحق بالسعى إليه ، فجاء فوقف عليه وسلم ، فلم يقم له سعيد[1] ويتعلق بهذا وماسيأتى زواج سعيد لإبنته وقد طلبها عبد الملك لإبنه الوليد فرفض .

سعيد وزواج ابنته :

إن الزواج سنة من سنن الله تعالى فى خلقـــه ، وفى الإسلام بيان شاف لحقوق وواجبات كل من الزوج والزوجـة ، كما فيه بيان شاف لكيفية التربيـة والتنشئة للبنات والفتيان ، ومسئولية الآباء والأمهات نحوهما وبخاصة اختيارهما زوجا صالحا تقيا ورعا للفتاة يحفظ العرض والشرف ويحسن المعاملة ويعاشر بالمعروف ، فإن أخل الوالد خاصة بهذا فقد أساء إلى دينه ونفسه وإلى ابنته وقطع رحمها ، دون النظر إلى منصب الشاب أو جاهه أو غناه فالميزان فى الإسلام هو التقوى والورع ..

وسعيد بن المسيب أحسن إلى ابنته فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها القرآن والسنة حتى إذا شبت كانت الفتاة المسلمة التقية الطاهرة ، وإذا تزوجت كانت الزوجة الوفية الصالحة ، وإذا انجبت كانت الأم المثالية التى انجبت للمجتمع الإسلامى أبناء بررة صالحين . وإذا كان الإسلام يحث الوالد على حسن اختيار الزوج الصالح لإبنته فإن سعيد الوالد ضرب أروع وأنبل المثل فى هذا . فقد اختار لإبنته زوجا صالحا تقيا ورعا زاهـدا وكان أحد تلاميذه ، وفضله على أولاد الملوك والرؤساء الذين تسابقوا إلى خطبة ابنته فآثر سعيد أن تعيش فى بيت علم وورع وإن كان قل ماله على أن تعيش فى بيت ابن رئيس أو أمير يملك القصور المشيدة ، والبساتين اليانعة والخدم والأثاث الثمين .

---

(١) أنظر البداية والنهاية ١١١/٥

ولماذا لا يعرض سعيد ابنته على هذا التلميذ الصالح ، فقد فعلها من قبله خيرة أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب . وقد بوب البخارى فى كتاب النكاح بابا وقال : باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير ، ثم ساق الحديث هكذا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس — بضم الخاء وفتح النون — بن حذافة السهمى وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدينة فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى ثم لقينى فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا ، فقال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلى شيئا ، وكنت أوجد عليه منى على عثمان ، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت — غضبت — على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك شيئا ، فقال عمر : نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على إلا أنى علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[1] ، وقد ذكر ابن حجر أن سعيد بن المسيب .

قد روى هذا الحديث مرسلا عند إسحاق فى مسنده وابن سعد[2] ، وسبق أن سعيد كان أعلم الناس بأقضية عمر بن الخطاب ، فما دامت السنة هكذا ، وقد فعله شيوخه ، وهو محب لسنة رسول الله ﷺ ، والخير فى الإتباع والشر فى الإبتداع ، فليضرب سعيد مثلا فى جيله بعد

---

(١) البخارى ١٤٤/٩

(٢) أنظر : فتح البارى ١٤٥/٩

جيل الصحابة لتظل السنة قائمة وتتواصى الإجيال بها ، وليضرب المثل الحى أمام العلماء فى كل زمان ومكان ، وكتب السير والتراجم تذكر زواج سعيد لابنته من تلميذه ورفضه ابن أحد أبناء الحكام بكل التقدير والفخر ويسجلون له هذا بحروف من نور . يقول ابن خلكان (وقال أبو وداعة[١] : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما ، فلما جئته قال أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلى فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناه ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هلا أحدثت إمرأة غيرها ؟ قلت : يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال إن أنا فعلت تفعل ؟ قلت : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة .

قال : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلى ، وجعلت أتفكر ممن آخذ واستدين ، وصليت المغرب ، وكنت صائما فقدمت عشاى لأفطر ، وكان خبزا وزيتا ، وإذا بالباب يقرع ، فقلت من ؟ قال : سعيد ، ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا مابين بيته والمسجد ، فقمت وخرجت ، وإذا بسعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا أبا محمد ، هلا أرسلت إلى فآتيك ؟ قال : لا أنت أحق أن تؤتى ، قلت فما تأمرنى ؟ قال : رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه إمرأتك ، فإذا هى قائمة خلفه ، فى طوله ، ثم دفعها فى الباب ، ورد الباب ، نسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم صعدت إلى السطح ، فناديت الجيران ، فجاءونى وقالوا : ماشأنك ؟ فقلت : زوجنى سعيد بن المسيب اليوم ابنته ، وقد جاء بها على غفلة ،

---

(١) زوج بنت سعيد واسمه : كثير بن المطلب بن أبى وداعة أنظر: سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٤

وها هي في الدار ، فنزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج . فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه ، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته فسلمت عليه ، فرد علي ، ولم يكلمني حتى انفض من بالمسجد . فلما لم يبق غيري قال : ماحال ذلك الإنسان ؟ قلت : هو على ما يحب الصديق ويكره العدو قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي . وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه)[1] .

ويلاحظ فيما سبق .

سؤال الأستاذ عن تلميذه ومتابعة أحواله والإهتمام بشئون المدعوين ومحاولة حل مشكلاتهم ومساعدة المحتاجين منهم وتفريج كروبهم وإدخال السرور عليهم ، ومتابعة الصهر لأزواج بناته أو أخواته والإطمئنان على أحوال تلك الأسر الناشئة ، ومحاولة رأب الصدع — إن وجد — فوراً وعدم كشف المستور أمام الناس وتفضيل الرجل التقي الورع ولو كان فقيراً على أبناء الملوك وأصحاب المناصب والجاه إذا كان لا يساويه في الفضل والتقوى ، وتقوى وورع التلميذ وصلته القوية بالله تعالى فهذا يعينه على قضاء الحاجات والتيسير والتوفيق في كل شئون حياته ، وأدب الطالب مع أساتذته ، وقد يترك الاستاذ لتلميذه النجيب حرية التصرف في بعض الشئون ثقة منه في الذي علمه وفقهه ورباه ...

---

(١) وفيات الأعيان ٣٧٥/٢ وما بعدها وانظر البداية ١٢٥/٥ وسير أعلام ٢٢٣/٤ .

وقد أخذ العلماء تصرف سعيد هذا وذكروا لذلك حكما تتناقلها الأجيال ، ويعمل بها العقلاء من الناس لبناتهم من ذلك :

قال رجل للحسن : قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها قال : ممن يتقي الله تعالى فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

وقال الشعبي : من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها .

وقال الغزالي : والإحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لاخلاص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال ، ومن زوج ابنته ظالما أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى لما قطع من حق الرحم وسوء الإختيار ، ومن قبل قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)[1] ، ومع أن سعيد أصاب كبد الحقيقة إلا أنه عذب بذلك وغيره .

الموضوع الثالث : ابتلاءات سيدنا سعيد بن المسيب:

إن الطريق إلى الدعوة الإسلامية على ما فيه من راحة نفسية ،ومتعة روحية وسعادة قلبية إلا أنه طريق صعب، مملوء بالمخاطر والمتاعب محفوفة جوانبه بالأشواك ، ومن هنا لا يمضي فيه إلا ذووا النفوس الكبيرة ، والهمم العالية ، والقلوب المستنيرة ،يستعذبون في سبيله العذاب، ولايرون أشواك الطريق التي يقذنها الأقدام إلا كما يرى طالب العسل من إبرا لنحل، ويرون العذاب والمشاق حافزين لمواصلة المسير قدما ، ورعاية الله ترعاهم ... إن الدعاة إلى الحق هم أشـــد الناس بالإبتلاءات ، إلا أنهم لا يتقهقرون أبداً إلى الوراء مهما كانت صعوبة المواجهه ، وذلك كله

(١) إحياء علوم الدين ٣٨/٢

راجع لإيمانهم الراسخ العميق بالرسالة التى يحملونها ، ولما أعده الله تعالى لهم من جزيل الثواب مادموا هم على الطريق ، يزرعون معالم الهدى لمن يأتى من بعدهم ، ليظل طريق الدعوة منارة ومنيراً أبدا لا يخفت له صوت ولا نور... إن الله تعالى قد أخبرنا بجزاء الصابرين على البلاء عامة والدعاة خاصة ... إن الصبر والثبات على الحق هو العدة والدرع الذى يحمى الداعية فى أثناء المواجهة ... وما أجمل ثماره اليانعة والتى تفوح مسكا ذاكيا... إن فى القرآن الكريم آيات كثيرة ترفع درجات الصابرين أرقى منزلة .

يقول الله تبارك وتعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »[١] .

ويقول جل ذكره«قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »[٢].

ويقول جل ثناؤه : « واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »[٣].

ويقول سبحانه وتعالى : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »[٤] .

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥ : ١٥٧
(٢) سورة الزمر الآية ١٠
(٣) سورة البقرة الآية ١٥٣
(٤) سورة الشورى الآية ٤٣

ويقول عز وجل مما ذكره سيدنا لقمان وهو يعظ ولده «يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور[1]».

ويلاحظ ذكر الصبر بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويقول تبارك وتعالى «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم[2]».

والآيات فى الحث على الصبر وجزائه كثيرة جداً.

ولقد حظى الصابرون فى السنة النبوية — كذلك — بثواب لا يقدر، وأعطت لهم القوة والسند من الرحمن، ولم تتركهم نهبا لسهام الأعداء، ولقد كانت رسل الله وأنبياؤه أشد الناس — جميعاً ابتلاء مع أنهم صفوة خلق الله تعالى، والعلماء هم ورثتهم..

«فعن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنه قال: قلت: يارسول الله أى الناس أشد بلاء — امتحانا — قال: الأنبياء ثم الأمثل — الأفضل — فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلبا — قويا — اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة — ضعفا — ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة[3]».

«وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط[4]».

---

(١) سورة لقمان الآية ١٧.

(٢) سورة محمد الآية ٣١.

(٣،٤) أخرجهما ابن ماجة فى الفتن، باب: الصبر على البلاء ٢/١٣٣٤ وما بعدها.

« وعن عبد الله قال : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون[1] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم[2] » .

« وعن عبد الله رضى الله عنه قال : قسم النبى ﷺ قسما فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه ، ثم قال : يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر[3] » .

« وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : ما يصيب المؤمن من وصب — الوجع — ولا نصب — التعب — ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته[4] .

« وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه خطيئة[5] .

والأحاديث فى هذا الموضوع كثيرة .

(٢،١) أخرجهما ابن ماجة فى الفتن، باب :الصبر على البلاء ٢ / ١٣٣٤ وما بعدها .

(٣) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ٣٤٠/٦ .

(٤) أخرجه مسلم فى البر والصلة ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٣٠/٦ .

(٥) أخرجه مسلم فى الكتاب والباب السابقين ١٢٨/٦ .

نماذج من ابتلاءات سيدنا سعيد :

لم يركن إلى الدعة والراحة ، ولم يتقوقع داخل جدران بيته ولم يتقاعس كما يفعل بعض العلماء الكسالى فى كل عصر ومكان . بل اختلط بالناس وعاش معهم الحياة بكل ما فيها ، وأدرك البيئة التى يعيش فيها ، وما فيها ، فنصب الرجل نفسه للناس يحل مشكلاتهم ، ويصلح بين المتنازعين منهم ، ويمد يد العون للمحتاجين ، وينصح الشاردين ، ويزور مرضاهم ، ويتبع جنازة موتاهم ويصل رحمه ، ويعلم الجاهلين أمور دينهم . يقدم الخير والمعروف ويبذلها لكل الناس .

وإذا وجد انحرافاً عن أحكام الشريعة صاح وأعان بكل قوة عنه وبخاصة لو كان من الحكام ، فقد كان يرى أن الحكام والعلماء لو صلحوا لصلح الناس ، إلا أن الحكام لم يرقهم هذا من سعيد ، ولا بد من تعذيبه وضربه وسجنه والسخرية منه وإهانته والتشهير به أمام الناس — كل الناس — حتى يتراجع أو يسكت . لكن سعيد أبى ، وذاق العذاب ، لكنه عذاب العلماء العاملين المخلصين الذين يرون أن هذا هو الجهاد الأكبر وبخاصة لو كان جهاد السلطان ، وهذه أمثلة .

١ — عند ما زوج سعيد ابنته من كثير بن أبى وداعة ، وفضله على ولى العهد الوليد بن عبد الملك — كما سبق — اشتاط عبد الملك وولده غيظاً ، إذ كيف يرفض طلب الملوك . إذن فلا بد من تأديبه على هذه الفعلة . لكن كيف لهم ذلك ؟ لا بد من الاحتيال ولصق التهم المزيفة — كما هو شأن الظلمة دائما .

يقول المؤرخون : عندما أبى سعيد بن المسيب أن يلبى طلب عبد الملك ابن مروان فى زواج ابنته لولده الوليد ولى عهده ، لم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه فى يوم بارد ، وصب عليه الماء [1] .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان ٢/٣٧٧

٢ — كان لسيدنا سعيد رأى فيمن يبايعه لخلافة المسلمين ، واستقى رأيه من الكتاب والسنة ، واجتهاد صحابة رسول الله ﷺ — وهو الذى تربى فى مدرستهم — وأدرك أن من الشروط الواجب توافرها فى الإمام أو الخليفة : التقوى والورع ، والعدالة الجامعـــة لشروطها ، والعلم والاجتهاد ، والشجاعة والنجدة المؤديان إلى حماية البيضة وجهاد أعداء الإسلام ، والسهر على مصالح المسلمين وتدبير مصالحهم . ومن قبل ومن بعد العمل بما فى التنزيل ويتم اختياره — أى الخليفة — بالشورى وبخاصة أهل الحل والعقد ، لا بالميراث أو بالوصية ، فإن كان كذلك بايع الرجل وهو مطمئن لإرضاء الله ورسوله ، وإلا رفض بكل إباء وشمم ، وتصدى لمن يكرهه على هذا ، ولو تحمل أنواعاً مؤلمة من العذاب أو حتى القتل ، لأن الإمام إذا كان صالحاً صلح الناس ، وإن كان فاسقاً فاسداً فسد الناس ، وسعيد يود صلاح الأمة ، وصلاحها يتأتى بصلاح الحاكم . وقد حدث أن عبد الملك بن مروان أخذ البيعة من المسلمين لولده الوليد وهو حى . وقد عمل عبد الملك فى سبيل ذلك الأعاجيب — من غش وتخويف ورشوة الخ — وتم له ما أراد ، فبويع لولده الوليد فى دمشق ، ثم فى سائر الأقاليم ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة تصدى لهم سعيد بن المسيب ورفض البيعة وهذا التجاوز الفاضح ، فإن عبد الملك أجبر الناس على مبايعة ابنه الوليد من بعده على أن تكون الولاية لولده سليمان من بعد الوليد .

إذن فهى ملك عضود ، وميراث لاحق لهم فيه . امتنع سعيد ، وصدع بالحق ، وجابههم بكل هذا . ووقف موقف العلماء الأقوياء . . هنا أمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة أنذاك عن عبد الملك بن مروان فضربه ستين سوطاً ، والبسه ثياباً من شعر ، واركبه جملا وطاف به المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب — وهى الثنية التى كانوا يصلبون عندها ويقتلون — فلما وصلوا به إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن فقال

لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذه الثياب [١]. ويروى ابن خلكان تفاصيل أخرى فيقول (قال يحي بن سعيد : كتب هشام ابن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان ؛ إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب، فكتب: أن أعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلده ، وطف به أسواق المدينة ، فلما قدم الكتاب على الوالى ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم ابن عبد الله على سعيد بن المسيب ، وقالوا له :
جئناك فى أمر ، قدم كتاب عبد الملك إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا ، فأعطنا إحداهن ، فإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم .

قال سعيد : يقول الناس : بايع بن المسيب ، وما أنا بفاعل . وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم، قالوا : فتجلس فى بيتك ولاتخرج إلى الصلاة أياما، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك قال سعيد: فأنا أسمع الآذان فوق أذنى: حى على الصلاة حى على الصلاة ، ما أنا بفاعل، قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك .

قال سعيد : أفرقا من مخلوق ؟ ما أنا بمتقدم شبرا ولا متأخر، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر ، فجلس فى مجلسه الذى كان يجلس فيه ، فلما صلى بعث إليه الوالى فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إذ لم تبايع ضربنا عنقك .

قال سعيد : نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين فلما رآه لم يجب أخرج السيف فحدت عنقه ، وسلت السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به فجرد ،

---

(١) انظر : البداية ٨٠/٥، ٨١، وسير ٢٣٢/٤ ، حلية الأولياء ١٧٢/٢

فإذا عليه ثياب شعر ، فقال : لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن ، فضربه خمسين سوطا ، ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة ، ومنعوا الناس أن يجالسوه ، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له : قم من عندى ، كراهية أن يضرب بسببه)[١] .

ويلاحظ فى هذه المحنة :

أن سعيد بن المسيب صدع بالحق ولم يخش فى الله لومة لائم ، ولم يثنه عن الجهر بالحق مهما كانت التضحيات ولو كانت حياته ، وكان يرى أن الناس ينظرون إليه نظرة العالم المعلم وبسيرته يقتدون فإن مال العلماء مالوا وإن صمدوا تشجعوا ومضوا خلفهم . ويرى أن من الخزى والعار أن يتملق العلماء الحكام فعندما كانوا يطوفون به فى المدينة قالت له إمرأة: ما هذا الخزى يا سعيد ! فقال لها : من الخزى فررنا إلى ماترين أى لو أجبناهم وقعنا فى خزى الدنيا والآخرة[٢] .

فلم يكن الرجل يعمل لإظهار بطولة وكسب شهرة . وفى هذه المحنة ظهر أذناب للحكام يفعلون بالناس مايرضى أسيادهم لينالوا عندهم الحظوة وليظلوا فى مناصبهم . وهذا ما فعله هشام بن إسماعيل مع سيدنا سعيد ، ومع هذا التملق فإن القدر قد تربص لهشام ودارت عليه الدوائر — كما تدور على كل ظالم غشوم — فإن عاقبة الظلم وخيمة فقد عزل هشام ووقف فى دار مروان[٣] . بسبب أفعاله مع رجال الدعوة .

---

(١) وفيات الأعيان ٩٦/٥

(٢) أنظر البداية ١٣٥/٥

(٣) المرجع السابق ٩٦/٥ وقارن بين موقفين موقف عمر بن عبدالعزيز =

ومع هــذا فإن سيدنا سعيد عندما عزل هشام وأصبح لا حول له ولا قوة ، قال لأولاده ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل فى فقد تركت ذلك ــ ضربه وسجنه والطواف به فى الأسواق ــ لله والرحم . وقد فعل الشيء نفسه على بن الحسين رضى الله عنهم جميعاً[1] .

وهكذا كان الرجل فى قمة السمو الأخلاقى فقد عفا وصفح ، فلم يكن فظا عنيفاً منتقما ، ولكن كما سبق فى أول هذا الكتاب إستخدم الصعوبة فيما يغضب الله تعالى . وكل ما كان يقوله فى هذه المحن وبعدها : الله بينى وبين ظلمنى[2] .

وإذا كان سيدنا سعيد دخل السجن بسبب مواقفه فليس هـذا عيبا ولا خزيا له ، فقــد دخل السجن من قبله سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ، ودخل السجن علمـاء بعد ذلك بسبب مواقفهم الشجاعة ، وما قال عنهم المؤرخون أنهم خزايا ، بل اعتبروهم معالم شامخة فى التاريخ الإسلامى فمثلا دخل السجن أحمد بن حنبل والإمام مالك ضرب وعذب ، وأبو حنيفة كذلك ، وابن الجوزية عذب وسجن وقتـل[3] وابن تيمية حبس فى مصر وفى الإسكندرية وحبس بالشام مراراً ، ومات أخيراً وهو سجين بقلعة دمشق[4] وحبس كذلك سلطان العلماء عبدالعزيز بن عبدالسلام المشهور بعز الدين بن عبد السلام[5] وغيرهم كثير . وما زال عطاء العلماء

= وهشام بن إسماعيل من سعيد ، والنتيجة عزل هشام وتولية عمر إمارة المسلمين

(١) البداية ٩٦/٥ (٢) انظر : سير ٢٣٢/٤

(٣) أنظر : سير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢٣

(٤) أنظر : مقدمة الفتاوى الكبرى دار المعرفة والبداية ٥١٦/٧

(٥) أنظر : الإعلام للزركلى ٢١/٤

للدعوة غير مقطوع . فمن قال إن أمثال هؤلاء خزايا !!،

٣ — ومن المحن التي تعرض لها سعيد بسبب صدعه بالحق (كان جابر ابن الأسود عامل ابن الزبير على المدينة قد تزوج الخامسة قبل إنقضاء عدة الرابعة ، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، وإنك تزوجت الخامسة قبل إنقضاء عدة الرابعة وما هي إلا ليال فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره ، فما مكث إلا يسير حتى قتل ابن الزبير)[1] فعزل وعذب .

وقد قال الإمام ابن عساكر (لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب)[2] .

ودعاؤهم مستجاب فيمن أذاهم وقد كان سعيد مستجاب الدعوة ومما روى في ذلك ما ذكره علي بن زيد بن جدعان قال : كنت جالساً إلى سعيد بن المسيب فقال : يا أبا الحسن مر قائدك فيذهب بك فينظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده ،فانطلق فإذا وجهه وجه زنجي وجسده أبيض .

فقال سعيد : إني أتيت على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليا عليهم السلام ، فنهيته فأبى فقلت : إن كنت كاذبا فسود الله وجهك ، فخرجت من وجهه قرحة فاسود وجهه)[3] . ودعوة المظلومين عامة مستجابة ،

---

(١) سير ٤/٢٢٩

(٢) المجموع النووي ١/٢٤

(٣) مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبدالقادر عطاص ١٠٧، دار الكتب العلمية وأنظر : سير ٤/٢٤٢

وبخاصة دعوة العلماء على من ظلمهم . فقد ذكر ابن أبى الدنيا دعوات من علماء كثيرين ظلموا فأصابت دعوتهم[1] .

والإمام البخارى دعا على من نفاه من بلده فأصابته دعوته فزال ملكه وسجن وهو خالد بن أحمد الزهلى ، ولم يبق أحد كان يساعده على ظلمه إلا ابتلى ببلاء شديد[2] .

٤ — عشت مع سيدنا سعيد فى تراجم متنوعة ، وكنت أبحث عن جهاده بالسنان — بعد جهاده باللسان ، فلم أعثر على شىء إلا ما ذكره الإمام القرطبى (قال الزهرى : خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل ، فقال : استنفر الله تعالى الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكنى الحرب كثرت السواد ، وحفظت المتاع)[3] .

ولعل من أسباب عدم بروز دور سعيد فى الجهاد بالسيف ، عدم قدرتى شخصياً على قراءة كل ما كتب عن سعيد فى هذا الشأن ، أو لعل المؤرخين أهتموا بدوره فى الجهاد باللسان ، وقد نصب الرجل نفسه فى هذا الميدان وكأنه تخصص فى جهاد الحكام فضلا عن تعلمه وتعليمه ، وكفاه هذا فخرا ومجدا ونبلا .

وقد بلغ فى كل هذا الغاية ... أو لعل بنى مروان خشوا من ذهابه إلى ميادين القتال فيؤلب الناس عليهم ، ويكشف لهم عيوبهم وبخاصة

---

(١) أنظر : مجابو الدعوة
(٢) أنظر : البداية ٣٦/٦
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩٠/٤ فى تفسير «انفروا خفافا وثقالا» التوبة آية ٤١

ما يدعونه من حقهم فى الخلافة . ولم يسمح له بذلك إلا بعد أن كبر سنه، وذهبت إحدى عينيه فلا يخشى منه .

أما قوله لأكثر السواد فهى كلمة حكيمة لها معنى سامق ، فأهل الباطل وأهل الفسق والفجور ، ومنتهكو حرمات الشرع والخارجون عن حدود الله عندما يدركون أنهم قلة ، ولا يوجد فى الساحة غيرهم ، وأهل الحق كثرة ويلتفون حوله مهما كان دور الواحد منهم بسيطا ولا يحتقر هذا الدور وما عليه إلا أن ينحاز إلى الحق وأهله إذا كان ذلك كذلك فإن الباطل وأهله ينزوون فى بؤرهم النتنة ، ويدركون ما وقعوا فيه من أخطاء إذا أن الناس يبغضونهم ويحتقرون مواقفهم المشينة (والسواد الأعظم أى الجماعة الكثيرة ، فإن اتفاقهم أقرب إلى الإجماع ، وقال السيوطى فى تفسير السواد الأعظم : أى جماعة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على سلوك المنهج المستقيم)[1] ، ولعل سعيد أخذ هذا من معنى حديث لرسول الله ﷺ «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم»[2] ، وعلى هذا فسعيد بن المسيب كان داعية مجاهدا فى كل الميادين طوال حياته .

تتمة :

إن الكتابة عن سيدنا سعيد والإحاطة بجميع جوانب حياته وأخذ العبر والدروس منها تحتاج إلى كتب كثيرة وباحثين كثيرين متخصصين فى علوم ومعارف شتى ، وما قمت به ما هو إلا كما قيل مالا يدرك كله لا يترك كله وما هى إلا أضواء على جوانب حياته ، وميادين جهاده فى الدعوة إلى الله عز وجل الإسلامية . ومن هنا اعتـــذر لسيدى سعيد عن تقصيرى

---

(١) هامش سنن ابن ماجه ١٣٠٣/٢

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن ، باب : السواد الأعظم ١٣٠٣/٢ عن أنس بن مالك .

تجاهه ، وأرجو أن يهيء الله رجالا يكتبون عنه أفضل منى وإن كنت اقترح أن يقوم باحث ويجمع فقه سعيد وآخر يجمع تفسير سعيد وثالث يجمع الأحاديث التى رواها سعيد فى كل كتب السنة المسندة والمرسلة، ورابع يجمع ما جاء عنه فى علوم القرآن وهكذا . . وقبل أن أنهى هذا الكتاب أسجل هذه التتمة عن سيدنا سعيد .

١ — زهده : قال بن سعد (كان لسعيد بن المسيب فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفا عطاؤه ، وكان يدعى إليها فيأبى ويقول: لا حاجة لى فيها، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان »[1] ، وقال الزركلى « سعيد بن المسيب جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت وكان لا يأخذ العطاء »[2] ، وقال ابن كثير « كان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس فى فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعنى ... وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة، وكان له مال يتجر فيه ، ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقى الله تعالى فيحكم فىَّ وفيهم ، وأصل منه رحمى ، وأؤدى منه الحقوق التى فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار »[3] .

٢ — تواضعه : سبق أنه كان يمر على الصبيان ويوصى بهم خيرا ويقول: هؤلاء هم الناس بعدنا ، ومن صور تواضعه أن شهاب بن عباد أن أباه حدثه قال : أتينا المدينة فسألنا عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد بن المسيب فأتيناه فقلنا : إنا سألنا عن أفضل أهل المدينة فقيل : سعيد بن المسيب ،

(١) الطبقات الكبرى ١٢٨/٥
(٢) الإعلام ٢٧٥/٤
(٣) البداية ١٣٤/٥ ، ١٣٥

فقال : أنا أخبركم عمن هو أفضل منى مائة ضعف : عمر وابن عمر[١] .

وقال عن عبد الله بن عمر « مات ابن عمر يوم مات ، وما من الدنيا أحد أحب أن ألقى الله بمثل عمله منه[٢] .

٣ — تقدير الناس له : وإذا كان سعيد بن المسيب لم يل المناصب في عهد بنى مروان ، فإن سعيد نال كل الاحترام والتقدير والتوقير عند كافة العلماء — كما سبق — وعند كافة الناس ، سئل أحد العلماء الصالحين أن يتمنى فقال . ليتنى بزهـــد الحسن وورع ابن سيرين ، وعبادة عامر بن قيس وفقـه سعيد بن المسيب[٣] ، وقال ابن سعد « وكان لسعيد بن المسيب عند الناس قدر كبير وعظيم ، لخصال : ورع يابس ونزاهة وكلام بحق عند السلطان ، وعلم لا يشاكله عند أحد»[٤] .

وإذا كان لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال ، فسعيد أحد الرجال وعمر بن عبد العزيز هو الآخر أحد الرجال (فعن مالك بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فأرسل إليه إنسانا يسأله ، فدعاه فجاء فقال عمر بن عبد العزيز : أخطأ الرسول : إنا أرسلناه يسألك فى مجلسك »[٥] ، وقال عبد الرحمن بن حرملة « ما كان إنسان يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شىء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير »[٦] .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى ٣٨١/٥

(٢) انظر : البداية ٩/٥

(٣) انظر : الطبقات الكبرى ١٦٥/٥

(٤) المرجع السابق ٢ / ٣٨٣

(٥، ٦) سير اعلام النبلاء ٢٤٢/٤ : ٢٣٥

٤ — متفرقات عن سعيد :

(أ) كان رضى الله عنه يكره كثرة الضحك لأن أمر الإسلام وهموم الدعوة إليه، وأمور الآخرة لا تستدعى هذا [١].

(ب) وكان رضى الله عنه عنده علم بالتعبير — تفسير الرؤيا — ويقول المؤرخون إنه أخذ هذا العلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها، وأخذته أسماء عن أبيها رضى الله عنه، وقد ذكروا له تفسيرات كثيرة فى هذا الشأن[٢] وهذا من دلائل الصلاح.

(ج) وكان رحمه الله يعجبه لباس البياض من غيره[٣] وهذا من السنة.

(د) سبق أن ذكرت أقوالا كثيرة فى ثنايا هذا الكتاب صدرت من سعيد بن المسيب وأضيف من أقواله :

— (أنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه)[٤].

— «من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله»[٥].

— «ما شيء أخوف عندى من النساء»[٦].

— «إن الدنيا نذالة هى لكل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها فى غير سبيلها»[٧].

— «كفى بالمرء نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله»[٨].

— «لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة»[٩].

— «من استغنى بالله افتقر الناس إليه»[١٠] وله حكم كثيرة أخرى.

(١، ٢، ٣) سير اعلام النبلاء ٤/٢٤٢، ٢٣٥

(٤، ٥، ٦، ٧) صفة الصفوة ٢/٨١، ٨٢ والبداية ٥/١٣٤، ٣٥

(٨) المرجع السابق ٥/١٣٤

(٩، ١٠) المرجع السابق ٥/١٣٤، صفة الصفوة ٢/٨٠، وفيات الأعيان ٢/٢٧٨

(هـ) قد مر طرف عن عبادته ، والمهم هنا أنه فى مرض موته ، وهو شديد المرض والوجع لم يترك الصلاة ، ولما اشتد به المرض صلى وهو مستلق يومىء إيماء(٣) .

(و) تركته : لم يترك وراءه الحقول اليانعة ، والقصور الشاهقة ، والأموال الطائلة ، وكل ما تركه مائة دينار ، وأكثر الروايات مبالغة تقول ترك ألفين أو ثلاثة ، وعلى كل حال قال فيها : ما تركتها إلا لأصون بها دينى(٣) .

(ز) وعند موته قال : أوصيت أهلى بثلاث أن لا يتبعنى راجز ، ولا نار ، وأن يعجلوا بى فإن يكن لى عند الله خير فهو خير مما عندكم(٤) ، وكان رحمه الله يكره النعى (فعن زرعة بن عبد الرحمن قال سعيد بن المسيب يازرعة إنى اشهدك على ابنى محمد لا يؤذنن بى أحدا حسبى أربعة يحملونى إلى ربى ،(٥) .

(ح) توفى سيدنا سعيد بن المسيب بعد حياة حافلة بالجهاد وذلك فى مدينة رسول الله ﷺ ، وكان ذلك فى سنة أربع وتسعين من الهجرة وقيل خمس وتسعين وقيل غير ذلك ، والأول هو الصحيح والمعتمد فى كتب التراجم(٦) .

---

(٣) سير اعلام النبلاء ٢٤٢/٤ : ٢٣٥

(٤) المرجع السابق ٢٤٤/٤ وانظر : الطبقات الكبرى ١٤١/٥ ، وحلية الأولياء ١٧٣/٢

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبى ٢٤٥/٤

(٦) انظر : البداهة ١٢٨/٥ ، وفيات الأعيان ٣٧٨/١ ، والعبر ٨١/١ ، ٨٢

رحم الله سيدنا سعيد فقد فتح على أشياء ما كنت أعرفها ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، وجمعنا الله وإياه فى الجنة ، وتقبل الله تعالى برحمته وفضله هذا العمل وجعله الله فى ميزان حسناتى إنه سبحانه قريب مجيب الدعوات ، ونفع الله به كل من اطلع عليه أو سمع منه وأسأله الدعوات فى حياتى وبعد مماتى ، وأن يقيل عثراتى فإن الكمال لله تعالى وحده .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين أجمعين .

الفقير إلى عفو ربه
الدكتور / محمد رمزى أحمد فواز

المراجـــع

١ – القرآن الكريم

٢ – أسباب النزول، للسيوطى، مكتبة نصير

٣ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر، دار حياء التراث العربى ط ثانية ١٤٠٢ هـ

٤ – صحيح مسلم بشرح النووى، المطبعة المصرية ومكتبتها

٥ – الموطأ للإمام مالك ط دار الشعب

٦ – شرح الزرقانى على الموطأ، دار الكتب العلمية

٧ – عمدة القارى، للعينى مطبعة البابى الحلبى

٨ – سنن الترمذى، دار إحياء التراث العربى، ودار الفكر

٩ – سنن النسائى، دار القلم .

١٠ – سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربى، دار الفكر

١١ – سنن أبى داود دار إحياء التراث العربى، ودار الحديث

١٢ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الفكر

١٣ – الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبى، دار الشعب

١٤ – رجال صحيح مسلم للأصبهانى، دار المعرفة

٢٥ – معرفة علوم الحديث للحاكم، دار الكتب العلمية

١٦ – مراسيل أبى داود، ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

١٧ – كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلونى، مؤسسة الرسالة

١٨ – السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة حميدو

١٩— البداية والنهاية لإبن كثير ، دار الغد العربى
٢٠— وفيات الأعيان لإبن خلكان ، دار الثقافة
٢١— الطبقات الكبرى لإبن سعد ، دار صادر
٢٢— سير أعلام النبلاء للذهبى ، مؤسسة الرسالة
٢٣— تهذيب التهذيب لابن حجر ، دار الفكر
٢٤— تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للمزى
٢٥— تدريب الراوى للسيوطى ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ودار الحديث
٢٦— الديباج المذهب للجرجانى ، دار الحديث
٢٧— تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لإبن حجر
٢٨— تذكرة الحفاظ للذهبى ، دار إحياء التراث العربى
٢٩— صفة الصفوة لإبن جوزية ، دار المعرفة
٣٠— حاشية رد المختار لإبن عابدين ، ط الحلبى
٣١— نيل الأوطار للشوكانى ، مكتبة الكليات الأزهرية
٣٢— الكامل فى التاريخ لإبن الاثير ، دار صادر
٣٣— المجموع للنووى ، دار الفكر
٣٤— جامع بيان العلم وفضله لإبن عبد البر ، دار الإعتصام، ودار الكتب العلمية
٣٥— أخلاق العلماء للآجرى ، مكتبة التوعية الإسلامية
٣٦— تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجى ، محمد على صبيح
٣٧— إحياء علوم الدين للغزالى ، عالم الكتب

٣٨ـ أدب الدنيا والدين الماوردى ط سادسة ١٣٢٩هـ ، المطبعة الأميرية

٣٩ـ أعلام الموقعين لإبن قيم الجوزية ، عبد السلام محمد

٤٠ـ الإعلام للزركلى ، دار الملايين

٤١ـ الإصابة لابن حجر ، دار الكتب العلمية

٤٢ـ مجابو الدعوة لإبن أبى الدنيا ، تحقيق / محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية

٤٣ـ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، ط الحلبى

٤٤ـ المستدرك للحاكم ، دار المعرفة

٤٥ـ لسان العرب لإبن منظور ، دار المعارف

٤٦ـ الفقه على المذاهب الأربعة ط وزارة الاوقاف المصرية

٤٧ـ الأحوال الشخصية للشيخ محمد أبوزهرة ، مطبعة مخيمر

٤٨ـ فقه السنة سيد سابق ، مكتبة الآدب

٤٩ـ الفيض القدير شرح المناوى ، دار المعرفة

٥٠ـ الفتاوى الكبرى لإبن تيمية ، دار المعرفة

٥١ـ هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ، دار الاعتصام

٥٢ـ الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى للدكتور / رءوف شلبى الأخبار

٥٣ـ تذكرة الدعاة للأستاذ / بهى الخولى ، دار مرجان

٥٤ـ اسس الدعوة وآداب الدعاة ، محمد السيد الوكيل ، دار الوفاء

٥٥ـ الخصائص العامة للإسلام الدكتور / يوسف القرضاوى

٥٦ـ الترغيب والترهيب للمنذرى ، ط وزارة الأوقاف المصرية

٥٧ــ شذرات من علوم السنة الدكتور / الاحمدى أبو النور ، ط وزارة الأوقاف
٥٨ــ تحفة الأحوذى ، دار الفكر
٥٩ــ سنن الدارمى ، دار الكتب العلمية
٦٠ــ كنزل العمال ، المتقى الهندى ، موسسة الرسالة
٦١ــ أيها الولد للإمام الغزالى ، دار الاعتصام
٦٢ــ الإعلام الإسلامى ، الدكتور / محى الدين عبد الحليم ، مكتبة الخانجى
٦٣ــ العبر للذهبى ، دار الكتب العلمية
٦٤ــ الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لإبن عبد البر ، نهضة مصر
٦٥ــ حلية الأولياء لأبى نعيم ، دار الكتب العلمية
٦٦ــ حاشية السندى للسيوطى على سنن النسائى ، دار القلم
٦٧ــ سنن ابن حبان ، دار الكتب العلمية
٦٨ــ جامع البيان عن تأويل القرآن للطبرى ، البابى الحلبى
٦٩ــ المفيد فى الفقه ، الدكتور / عبد الرحمن بدوى
٧٠ــ تلخيص الحبير لإبن حجر ، دار المعرفة

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٧٧٠٣ / ١٩٩٣ م
I.S.B.N. —977—00— 0728— 2
٢٢ من ربيع الأول ١٤١٤ هـ — ٩ من سبتمبر ١٩٩٣ م